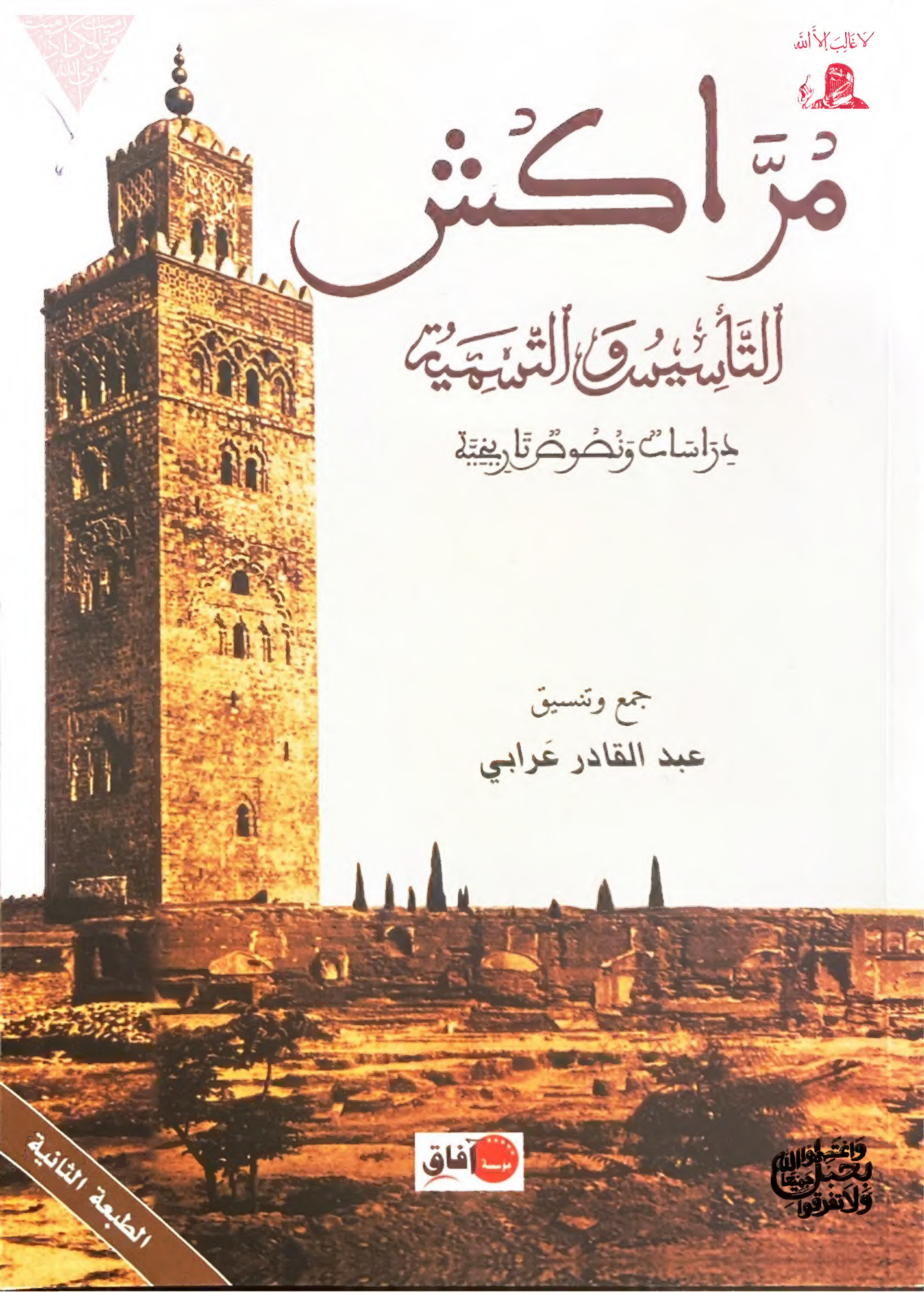


لا غالب إلا الله
مراكش
التأسيس والتسمية
دراسات ونصوص تاريخية
جمع وتنسيق
عبد القادر عرابي
آفاق
الطبعة الثانية
واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا





مراكش

التأسيس والتسمية

دراسات ونصوص تاريخية

جمع وتنسيق

عبد القادر عَرابي

تم نشر هذا الكتاب في إطار سلسلة مراكشيات
ضمن محور: - ذاكرة أماكن -

• الكتاب:

مراكش التأسيس والتسمية: دراسات ونصوص تاريخية

• جمع وتنسيق:

عبد القادر عرابي

• عدد الصفحات: 256 صفحة

• مقاس: 17×24 سنتم

• الطبعة الثانية: مراكش 1440هـ/ 2019م

• الكلمات المفاتيح: مراكش - التأسيس والتسمية - دراسات ونصوص

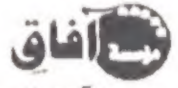
• الحقل المعرفي: تاريخ / / تاريخ مدينة مراكش

• ديوي: 964

رقم الإيداع القانوني: 2019MO0988

الرقم الدولي: 8 - 44 -618-9954 -978

الناشر:



مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال،

483/4الوحدة الرابعة، الداوديات - مراكش - المغرب

Tél/Fax: 05 24 30 73 59

www.afaqedit.com

Email: afaqedit@gmail.com

خطوط الغلاف: الخطاط جلال حديدو

تصميم الغلاف: مؤسسة آفاق

الطباعة: المطبعة والوراقة الوطنية - مراكش- المغرب

لا غالب إلا الله





نشر هذا الكتاب في إطار مشروع

"مراكشيات"

الهادف إلى إعادة إحياء التراث الثقافي المراكشي

مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال

المدير المسؤول: عبد القادر عرابي

483/4، شارع الإمام الجزولي الوحدة الرابعة الداوديات - مراكش

06 66 93 47 36 . 05 24 30 73 59

www.afaqedit.com

afaqedit@gmail.com


وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا

تمهيد

قررنا في مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، إصدار مصنف يضم أغلب ما كتب حول قضيتين أساسيتين متعلقتين بتاريخ مدينة مراكش، هما قضية التأسيس، وقضية التسمية، وذلك للأسباب التالية:

1- عدم وجود مصنف موحد يجمع شتات الدراسات والأبحاث والمقالات والنصوص التاريخية المرتبطة بهاتين القضيتين، ذلك أن مجموع ما أنجز من دراسات موزع في أكثر من مصدر ومرجع، وأن النصوص التاريخية التي تحدثت عن تأسيس المدينة وتسميتها، ترد في مختلف هذه الدراسات على شكل نقول واستشهادات تدعم هذه الفكرة أو هذا التصور، ولم يسبق أن جمعت في كتاب واحد، ولا وردت مجتمعة على هامش دراسة ما.

2- نظرا لتوزع هذه الدراسات والنصوص في أكثر من مصنف، ولأن أغلب وأهم تلك الدراسات قد أنجزت في نهاية ثمانينيات وبداية تسعينيات القرن الماضي، ولكونها لم تطبع من جديد، فقد أصبحت، رغم حداثة عهدها، في حكم الوثائق والمصادر والكتب النادرة التي لا يصل إليها سوى الباحث المتخصص، في حين أن أعداد المهتمين والباحثين في تاريخ هذه المدينة، والراغبين في معرفة بدايات تأسيسها وأسباب تسميتها ومؤسِّسيها يتزايدون يوما بعد يوم. فزوار الحاضرة المرابطية يعدون بالآلاف سنويا، ولن يجدوا في متناولهم - إن طلبوا ذلك- أي مؤلف علمي واف باللغة العربية يوثق قضية تأسيس المدينة وتسميتها، ذلك أن ما هو متوفر يوجد باللغات الأجنبية، وأكثره يندرج في خانة المنشورات السياحية.

3- إن ما أنجز من أبحاث ودراسات حول اللحظات التأسيسية لمدينة مراكش، تم في خمسينيات وثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي، وقد قيض الله لهذه المهمة طليعة مستنيرة وكفأة من الباحثين المغاربة والأجانب.

وعلى الرغم من أن تلك الأعمال بدورها كانت تأسيسية، بالنظر إلى القضايا التي تعرضت لها والنتائج التي خلصت إليها، فقد كان من المفترض أن تتأسس على الأوراش البحثية التي فتحتها والخلاصات النظرية التي انتهت إليها حركة بحث تاريخي وعلمي قوية ومنتجة، إلا أننا

بالكاد نصادف إضافة نوعية أو جديدة إلى ذلك التراكم السابق، وباستثناء بعض ما يجري اليوم من أبحاث أركيولوجية في موقع أغمات، أو بعض الأبحاث الأثرية المتعلقة بمواقع الصهاريج والخطارات، والتي تسابق الزمن لتوثيق ما تبقى من تراث معماري مائي قبل الإجهاز عليه، فإن البحث النظري في هذه الموضوعات لا يضيف جديدا، بل يبدو وكأنه قد توقف إلى حين.

ولهذا فإننا نرى في جمع مختلف الدراسات السابقة، وإعادة طباعتها وإشاعتها وسط الباحثين والطلبة والمهتمين، سببا من أسباب تجديد الاهتمام بهذه الموضوعات، سواء بتطوير تلك الأبحاث، أو بإعادة قراءة النصوص التاريخية وتحليلها واستنطاقها والمقارنة بينها، مما من شأنه أن يحدث دينامية جديدة في أوساط الباحثين والمؤرخين الجدد، ويعيد ظروف تأسيس مدينة مراكش إلى قلب البحث العلمي الجامعي، موازاة مع العناية التي تحظى بها المدينة من طرف وسائل الإعلام ، وإننا نعتبر مشروعنا هذا واجهة وجبهة للعمل على تسويق مراكش الثقافة والعلم والفن والتاريخ، وليس فقط مراكش الشمس والأهازيج والحناء.

4 – لقد كانت مراكش طيلة قرون مركزا للسياسة والتجارة والفقه والأدب والفن والحِرف والعلوم، وبعد أقل من أربعين سنة من اليوم (تاريخ إصدار هذا الكتاب) ستكمِل الألف عام من عمرها، ويلاحظ الجميع كيف تتبدل وتتشكل من جديد، وكيف يتم إتلاف وتدمير عدد غير قليل من الشواهد التاريخية الهشة الدالة على لحظات التأسيس. فمن يدري كيف سيكون حال هذه المدينة، التي تقع في مرمى مختلف أنواع الرساميل، في السنوات المقبلة؟ وهل سيكون بين أيدي الناس ما يذكرهم بلحظة تأسيسها.

إن هذا الإصدار هو محاولة لنقل هذه المعرفة إلى الأجيال الحالية والمقبلة، وسعي لتيسير امتلاكها باعتبارها وثيقة إثبات على تاريخ مضيء تحقق بفضل عزيمة وإرادة وإيمان وقوة رجال ونساء بنوا بدمائهم وأرواحهم وأجسادهم هذا الفضاء البهيج، الذي يسحرنا اليوم، ولطالما سحر الناس من زوارها على مر التاريخ.

إن هذا الكتاب هو محاولة أيضا للفت انتباه المعنيين، و"كلنا معنيون"، للمحافظة على البقايا "الهشة" التي تثبت أن هذه المدينة لم تسقط يوما فجأة من الفضاء الخارجي، بل هي نتاج جهود وآلام وأنات وصراع وصبر وإبداع وعبقرية الأجداد الذين يرقدون فوق كل شبر من ترابها، ما يدعونا لنخفف الوطء، ونصيخ السمع، ونعظم السلام لهم، وندعو لهم بالرحمة والمغفرة، ونحافظ على المشرق من تراثهم باعتباره أحد صمامات أمان هويتنا ووجودنا بين الشعوب والأمم.

لهذه الأسباب، وبعد أن لاحظنا العسر والمشقة التي يعانيها الباحثون للحصول على كتب حول تاريخ مدينة مراكش بحكم اشتغالنا في مجال المكتبة، وتفاعلا مع تشجيعات عدد من الأساتذة الباحثين والمهتمين بتاريخ هذه المدينة، وبعد أن أطلقت مؤسسة آفاق سلسلة كتب تحت اسم "مراكشيات"، كان هدفها إعادة طبع ونشر التراث الثقافي المراكشي، فقد ارتأينا بعد استشارة عدد من الأساتذة الباحثين، واستئذان أصحاب هذه الدراسات، وبعد أن بادر آخرون إلى المشاركة في التنقيب في المصادر والمضان التاريخية على النصوص الدالة على التأسيس والتسمية بمحبة وتطوع، أن نصدر هذا الكتاب، وننشره على نطاق واسع، حتى يحقق الفائدة المرجوة منه.

ويتكون هذا المصنف من مقدمة وقسمين اثنين:

المقدمة، كتبها خصيصا بمناسبة صدور هذا الكتاب مشكورا الدكتور حسن جلاب، عميد كلية اللغة العربية بمراكش سابقا، الباحث في الأدب والثقافة والحضارة المغربية، والرئيس المؤسس لمركز الدراسات والأبحاث حول مراكش، وقد جاءت كلمته المفعمة حبا وإخلاصا وحماسة لهذه المدينة، ملخصة لمجمل القضايا المتعلقة بتأسيس وتسمية مدينة مراكش، ومستعرضة لأهم النصوص التاريخية التي توقفت عند هذين الأمرين، وقد ختم كلمته بدعوة المسؤولين عن جامعة القاضي عياض وعن كلية الآداب بها، إلى العمل على إحياء مركز الدراسات والأبحاث حول مراكش، وتجديد نشاطه، وتوفير ما يحتاج إليه حتى يعود إلى ما كان عليه، ويستمر في البحث حول تاريخ هذه المدينة.

القسم الأول: ويضم مجموعة من الدراسات والأبحاث التاريخية التي اهتمت بقضايا التأسيس والتسمية، وأغلبها دراسات سبق نشرها في مضان مختلفة، أشرنا إلى مصادرها في بداية كل دراسة، وكذلك في لائحة المصادر والمراجع المعتمدة، وذلك حتى يسهل على الباحث العودة إليها، والتزاما بمعايير الأمانة العلمية، وكما سيلاحظ القارئ، وانسجاما مع الهدف العام للكتاب، فإن قضيتي تأسيس مدينة مراكش وتسميتها تشكلان الخيط الناظم لمختلف هذه الدراسات، سواء:

- التي تعرضت بالدراسة للمجال الجغرافي والبشري الذي أحدثت فيه مراكش قبل النشأة والتأسيس، وهنا ترد دراسات كل من الدكتور أحمد بلاوي: "الإطار البشري والحياة الحضرية بناحية مراكش قبيل التأسيس"، ودراسة الدكتور عبد الرزاق ازريكم: "مدينة غمات عاصمة المرابطين الأولى قبل تأسيس مدينة مراكش".

- أو التي تعرضت لقضية التأسيس وما يرتبط به من حديث عن الموضع والتوقيت، وهنا ترد الدراسة المشتركة التي أنجزها كل من الدكتور أحمد عمالك، والدكتور المصطفى فنيتير بعنوان:"مراكش: التأسيس والاسم"، وكذا الدراسة التي خصنا بها الدكتور أحمد عمالك، بعنوان:" حول مبررات اختيار موضع مراكش"، وهي دراسة حديثة ألقيت بمناسبة الاحتفال بالذكرى الثلاثين لإعلان مدينة مراكش تراثا عالميا.

وكذا المقالة التركيبية للأستاذ سمير أيت أومغار، التي أوجزت نتائج البحث الأثري الذي أنجز بمحيط الكتبية في أربعينيات القرن الماضي، ونشرت في كتاب:" Recherches archéologiques à Marrakech".

- أو الدراسات التي عرضت لبعض مظاهر التعمير والتمدين بعد تأسيس مدينة مراكش، وهنا ترد دراسة الدكتور محمد رابطة الدين: "حول تاريخ تأسيس سور مراكش"، ودراسة الدكتور مولاي ابراهيم الكديم الصوصي: "مراكش بين التأسيس والتمدين في العصرين المرابطي والموحدي" ودراسة الأستاذ عبد العزيز المجدوبي: "من مسائل التعمير واستعمال المجال بمراكش في العهدين المرابطي والموحدي".

وطبعا فإن نواة هذا الكتاب ودرته ولحمته، جسدتها دراسة الدكتور أحمد التوفيق المعنونة بـ:"حول معنى اسم مراكش"، وكذا ترجمته لدراسة ليفي بروفنصال، بعنوان: "تأسيس مراكش (462 - 1070)".

وكما أشرنا سابقا فإن هذه الدراسات شكلت وما تزال طليعة ودرر البحث العلمي الجامعي الذي أنجز حول تأسيس الحاضرة المرابطية.

القسم الثاني: ويتكون من النصوص التاريخية التي عرضت لقضيتي التأسيس والتسمية، واستعرضت بموازاة ذلك بعض الأخبار المتعلقة بالأحوال الاجتماعية والسياسية والحضارية والثقافية العامة لمدينة مراكش زمن التأسيس، أو خلال العهود اللاحقة.

وقد قسمناها إلى ثلاثة أصناف:

- **الصنف الأول**: النصوص التاريخية المستقاة من المصادر التاريخية والجغرافية المغربية والأندلسية باعتبارها الأقرب من تاريخ المغرب.

- **الصنف الثاني**: النصوص التاريخية المستقاة من المصادر التاريخية المشرقية، وهي نصوص الغاية من إيرادها التعرف على أخبار تأسيس مراكش لدى مؤرخين وجغارفة بعيدين جغرافيا وزمنيا عن المغرب.

- **الصنف الثالث**: النصوص التاريخية المستقاة من المصادر الأوربية وهي لمؤرخين ورحالة أو تجار أجانب زاروا مدينة مراكش أو سمعوا عنها، فكتبوا عن تأسيسها واسمها، باستثناء النص المقتطف من كتاب "تاريخ مراكش، من التأسيس إلى الحماية 1912م"، لغستون دوفردان، والذي يعتبر بالإجماع، إحدى الدراسات التاريخية الرائدة في مجال الكتابة حول مراكش.

وكل هذه النصوص في مجملها مستقاة من كتب التاريخ والجغرافيا والرحلات والتراجم، وهي في مجملها لا تعدو أن تكون عبارة عن شذور ونقول تتكرر بصيغ متقاربة ومتشابهة أحيانا، من مصدر تاريخي إلى آخر.

وقد نقلنا منها ما يتصل بتاريخ تأسيس مدينة مراكش وتسميتها، وتوسعنا في النقل من بعضها لما يتعلق باختطاط بعض المعالم والمنشآت العمرانية التي أحدثت بعد التأسيس بزمن طويل، بما رأيناه مفيدا في تكوين فكرة عن مختلف الجوانب التأسيسية للمدينة، وأحوالها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والعسكرية.

ولا ندعي أننا جمعنا في هذا الكتاب كل النصوص التاريخية التي ورد فيها حديث عن تأسيس مدينة مراكش وتسميتها، ولكننا بذلنا الجهد لتجميع وتوثيق أغلبها، قديمها وحديثها، شرقيها وغربيها، وذلك بما يسمح للمهتم بتكوين فكرة واضحة عن مضان وأصول الأخبار المتعلقة بالتأسيس والتسمية، وبما يسمح للباحث والمحلل والدارس لكي يقارن بين النصوص المختلفة في الزمان والمكان والأسلوب.

وإن استنطاق هذه النصوص وتمحيصها ونقدها لمن شأنه أن يغني البحث التاريخي عامة، والبحث في تاريخ مدينة مراكش على وجه الخصوص، وهنا لابد من الإشارة إلى أن القسم الأهم من هذه المهمة - مهمة دراسة هذه النصوص وتمحيصها- قد أنجزه الأساتذة الباحثون الذي أوردنا دراساتهم في القسم الأول من هذا الكتاب، وهو جهد سبق أن أشرف عليه مركز الدراسات والأبحاث حول مراكش، الذي كان مقره بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، حيث شرع منذ التأسيس في تنظيم سلسلة ندوات علمية وازنة، كان أبرزها الندوة التي نظمت سنة 1988 حول تأسيس مدينة مراكش، والتي تُوِّجت بإصدار كتاب في

الموضوع بعنوان :"مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي"، والذي يعد المصدر العلمي الوحيد والجامع في موضوع التأسيس والتسمية.

وكذا الجهد العلمي المتميز الذي اضطلعت به لمدة قصيرة -للأسف- مجلة "أطلس مراكش"، التي كان يديرها الدكتور أحمد بلاوي، رفقة زمرة من خيرة الأساتذة الباحثين بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، والتي اضطلعت بنشر عدد من المقالات العلمية التأسيسية حول مدينة مراكش.

ثم الجهد العلمي المتميز الذي صدر في شكل كتاب عن مجموعة البحث في تاريخ المجال والإنسان بتانسيفت، تنسيق الدكتور محمد رابطة الدين، بعنوان: "أسوار المدن بتانسيفت"، ضم مجموع الدراسات العلمية التي شارك بها أساتذة باحثون خلال ندوة الأسوار بمراكش، والتي نظمت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش سنة 2001.

وفي هذا الإطار، لابد أن ننوه بتجاوب مختلف الباحثين والدارسين أصحاب المقالات المنشورة في القسم الأول مع فكرة إصدار هذه الدراسات مجتمعة، كما لا يفوتنا أيضا التنويه بمبادرة عدد من الأساتذة الباحثين إلى المشاركة في تجميع وتوثيق النصوص التاريخية المعززة لموضوع هذا الكتاب والمنشورة في القسم الثاني، ويتعلق الأمر بكل من الأستاذ محمد الزكراوي، الذي قام بمجهود طيب في تجميع مجمل النصوص المشرقية التي عرضت لموضوع تأسيس وتسمية مدينة مراكش. والأستاذ سمير أيت أومغار، الذي قام مشكورا بتجميع وترجمة عدد من النصوص الغربية التي عرضت أيضا لموضوع التأسيس والتسمية.

وفي الختام، فإننا نلتمس العذر عما يكون قد اعترى هذا الكتاب من هنات غير مقصودة، وحسبنا أننا حاولنا من خلال جمع وتنظيم وتبويب مواد متفرقة في مصنف واحد، أن نعطي الباحث المتخصص، والقارئ المهتم بتاريخ مدينة مراكش، صورة مكتملة عن نشأة وتسمية هذه المدينة العظيمة.

ولا نشك أن أهل الدار من المؤرخين المتخصصين في تاريخ مراكش سيكون لهم من الملاحظات النقدية الكثير، كما أن هواة التاريخ من المهتمين بهذه الحاضرة من القراء ستكون لهم رغبات وتطلعات ربما لم نستطع تلبيتها في عملية التجميع التي قمنا بها، لهذا، ولطبيعة هذا العمل الجماعية والموسوعية، ولأننا نتوق مستقبلا لأن يشارك الجميع في تعزيزه بالدراسات والنصوص، فإننا سنكون ممتنين لو تفضل كل صاحب رأي أو ملاحظة أو انتقاد بأن يرسل ملاحظاته، للعمل بها في الطبعات المقبلة، إن دعت الضرورة إلى ذلك.

بقلم ذ. عبد القادر عرابي

مراكش في: 26/ 12/ 2015

تقديم

بقلم الدكتور حسن جلاب

ليس من قبيل الصدفة أن تحتل مدينة مراكش رتبة متقدمة بين المدن العالمية في مجالات: السياحة، والمآثر التاريخية، والعمران، والرصيد الثقافي والعلمي، بل إن وراء ذلك تاريخ مجيد وعريق.

فقد كانت عاصمة لأغلب الدول المتعاقبة على حكم المغرب من مرابطين، وموحدين، وسعديين، وجزء مهم من تاريخ الدولة العلوية... كما أن المغرب كله كان يسمى بمراكش لحقبة طويلة.

وقد اختلف المؤرخون حول مدلول تسمية المدينة، وطريقة النطق بها، وأصل موقع التأسيس وتاريخه.

ومع أن الشائع في الوثائق والمصادر القديمة(1) هو مَرّاكُش بفتح الميم وتشديد الراء المفتوحة، وضم الكاف، فقد أشار ياقوت أن هناك من ينطق الكاف بالكسر(2).

وقد استعمل صاحب كتاب التبيان عبارة مَرُّوكُش بفتح الميم وضم الراء المشددة وضم الكاف، وحسب جورج كولان أنها أصل التسمية الإسبانية Marruecos، وهو تعريب لها. ويعتقد دفردان أن عبارة مُرَّاكِش بميم مضمومة، وراء مفتوحة مشددة وكاف مكسورة من صنع المتأخرين الذين حاولوا إضفاء الصبغة العربية على التسمية كابن خلكان وحاجي خليفة(3).

وبهذا تبقى التسمية الأولى أي مَرّاكُش هي الأصلية والجديرة بالاعتبار.

ولا يخلو مدلول الكلمة من تناقض وأخذ ورد، فعند صاحب المعجب أنها سميت باسم عبد أسود كان يستوطنها يخيف الطريق اسمه مراكش(4)، إلا أن البعض يميل إلى القول بأن الموضع الذي بنيت فيه المدينة هو الذي يحمل هذا الاسم، ومعناه بلغة المصامدة (امش مسرعا) ذلك أنه كان مأوى اللصوص، وكان المارون فيه يقولون لرفقائهم هذه الكلمة، فعرف الموضع بها (5).

ومن الصعب تحقيق الكلمة للاختلاف الحاصل بين لهجة المصامدة الأصلية ولهجتهم اليوم، وأقرب مدلول وجدناه للكلمة هو أمّر بمعنى أسرع، والذي يفيد معنى (مر مسرعا) هو اكرول(6).

وسواء دلت الكلمة على اسم شخص أو اسم موضع، فالرابط بين المدلولين واحد، وهو أن المكان كان قفرا. وقد قال عنه صاحب الحلل الموشية (وهو خلاء لا أنيس به إلا الغزلان والنعام، ولا ينبت إلا السدر والحنظل)(7).

ولا نعجب إذا وجدنا مدلولا ثالثا للكلمة عند بعض المتأخرين، فقد كانت تطلق على بئر يقع وسط البقعة التي شيدت عليها المدينة (8).

ويذهب أحمد التوفيق إلى أن اسم مراكش مركب من كلمتين:

- مر أو أمر ومعناه عند الصنهاجيين الحماية أو الموضع المتمتع بها.

- واكش او اكوش بمعنى الله.

طرأت عليها تغييرات أثبتها الباحث حتى أصبحت تنطق مراكش أي حمى الله، أو المكان الذي ترعى فيه عهود الله(9).

لم يكن بناء مراكش بهذا الموضع عن طريق المصادفة وإنما بعد معاينة وتدبر، ففي البيان المغرب أنه في سنة واحد وستين واربعمائة للهجرة: (ضاق المجمع بمدينة اغمات وريكة عن الخلق فيها، فشكا أشياخ وريكة وهيلانة بذلك إلى الأمير أبي بكر بن عمر مرة بعد أخرى إلى أن قال لهم: عينوا لنا موضعا أبني فيه مدينة إن شاء الله تعالى)(10)..

وبعد المشاورة اتفق أشياخ قبائل مصمودة على مكان محايد بين القبيلتين المتنافستين في المنطقة، قال: (فوقع تدبيرهم أن يكون موضع تلك المدينة بين بلاد هيلانة، وبين بلاد هزميرة، فعرفوا بذلك أميرهم) (11).

وسواء كان المكان في الأصل مفازة يقطع فيها اللصوص على القوافل (12) أو ملكا لعجوز من المصامدة (13) أو مزرعة لنفيس (14) فالمتفق عليه أن ابا بكر بن عمر اشتراه بماله الذي خرج به من الصحراء (15)، ويبدو أن اجتماع الكلمة حول الموضع الذي بنيت عليه المدينة جاء نتيجة تحقيقه لجملة أهداف:

1 – موقع محايد لا يتبع أيا من القبيلتين المتنافستين في المنطقة هزميرة وهيلانة.

2- الطبيعة الصحراوية للموقع، فمكان كثير الأغراس لا يناسبهم كاغمات، فقد وصف الموقع بأنه (صحراء لا أنيس به إلا الغزلان والنعام، ولا ينبت إلا السدر والحنظل)(16) فالغزلان والنعام تناسبهم والسدر يناسب مواشيهم.

3- ولمراكش موقع استراتيجي مهم: منه تسهل مراقبة الجبال، وتشرف على سهول الحوز، وهي متوسطة بين المحيط والصحراء. فقد قال ابن عذارى (فنظروا له ذلك الموضع لكي يكون وادي نفيس جنانها، ودكالة فدانها)(17).

شرع في بناء مراكش بين سنتي تسع وخمسين وأربعمائة واثنتين وستين وأربعمائة(18) فشيد قصر الحجر لإقامة الأمير المرابطي. وبدأ الناس في تشييد منازلهم.

وستعرف المدينة تطورا متواصلا بعد تعميرها وبناء أحيائها ومساجدها ومآثرها التاريخية وعراصيها على امتداد التاريخ المغربي، إلى أن أصبحت على ما هي عليه اليوم.

إلا أن البحث في هذا التاريخ العمراني والأدبي والمجالي لم يواكب هذا التطور ولم يرافقه، لذلك عندما تأسست كلية الآداب والعلوم الإنسانية في أواخر السبعينات، انتبهت مجموعة من أساتذتها إلى هذا الموضع، وأسست مركزا للدراسات والأبحاث حول مراكش.

وقد نهض بنشاط ثقافي وعلمي كبير كتنظيم ندوات حول تاريخ المدينة، وجمع الوثائق والصور الخصة بها، والتعريف بأعلامها وأوليائها ورجالاتها في مختلف المجالات.

وبمناسبة صدور هذا الكتاب أدعو المسؤولين عن الجامعة وعن الكلية، أن يعملوا على إحياء هذا المركز، وتجديد نشاطه وتوفير ما يحتاج إليه حتى يعود إلى ما كان عليه، ويستمر في البحث حول تاريخ المدينة.

كما أوجه شكري الجزيل إلى مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، على نشر هذا الكتاب، وجمع هذا العدد الكبير من النصوص المغربية والأندلسية والمشرقية والأوربية المتصلة بتسمية مراكش وتأسيسها، وتقريبها للقراء والباحثين. وهو عمل جليل تشكر عليه.

ونرجو أن يستمر هذا الاهتمام بنشر نصوص أخرى حول المدينة وتراثها الديني والعمراني والعلمي والأدبي، وما ذلك بعزيز على همة المشرفين على هذه المؤسسة. والله الموفق للصواب.

مراكش في 4 شوال 1436

موافق 21 يوليوز 2015

هوامش

1- المراسلات الموحدية والمصادر مثل **معجم البلدان** ج 8، ص 7، طبعة السعادة 1906، **والإعلام** لعباس بن إبراهيم، ج1/ 60 – 63.

2 – **معجم البلدان**، ج18/ ص 7.

3 – **الإعلام** ج1/ 83 *Marrakech des origines a 1912*, p 64

4 – **المعجب** ص 100، ط. القاهرة 1949.

5 – **وفيات الأعيان** 7/ 124 ط. بيروت.

6 – **اينولتان (1850 – 1912)** أحمد التوفيق ط1، 1978 ج1/ 74.

7 – **الحلل الموشية** ص 16، ط الدار البيضاء.

8 – *Notice sur la ville de Maroc*. P Lambert BSGP n° 107 p 430.

9 – **معنى اسم مراكش**، ندوة مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي، منشورات مركز الأبحاث والدراسات حول مراكش 1988.

10 – **البيان المغرب** ج 4/ 19.

11 – **البيان المغرب** ج4/ 19.

12 – **معجم البلدان** ج8/ 7.

13 – **الإعلام** ج1/ 82.

14 – **وفيات الأعيان** ج 7/ 124.

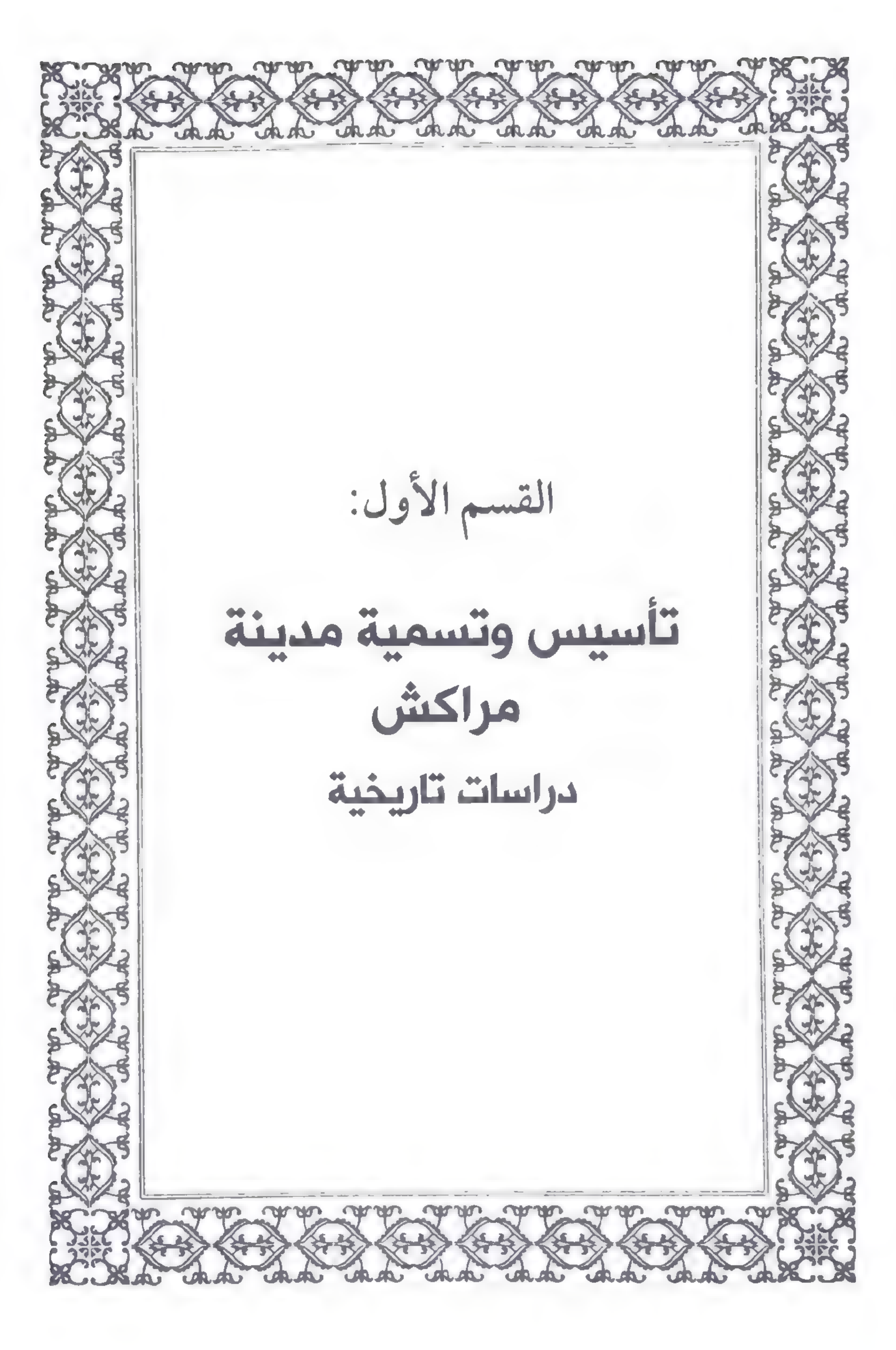
15 – **وفيات الأعيان** ج7/ 124، **والأنيس المطرب** لابن أبي زرع 138.

16 – **البيان المغرب** ج4/ 19.

17 – **البيان المغرب** ج 4/ 19.

18 – رجح Deverdun هذا التاريخ بالنسبة لبدء البناء، ذلك لأن المؤرخين اختلفوا في الأمر فجعلوه بين 452 هـ و490 هـ وهذا الاختلاف راجع بالأساس إلى اختلاف القصد: فمنهم من أشار بالتاريخ إلى وضع الحجر الأساس، ومنهم من قصد انتشار البناء وظهور المدينة، ومنهم من قصد إقامة الأسوار، نزهة الحادي 480.

19 – عند ابن عذاري أن أول دار بنيت بمراكش هي دار تورزجين بن الحسن الكائنة بموضع أسدال، ولعله تحريف لحي أسوال، **البيان المغرب** ج1/ 20.



القسم الأول:

تأسيس وتسمية مدينة مراكش

دراسات تاريخية

لَا غَالِبَ إِلَّا اللهُ

حول معنى اسم مراكش*

د. أحمد التوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسوله الكريم

إن بعض أسماء الأماكن ومنها أسماء المدن وثائق تاريخية، وغير خاف على أحد أن بعض الوثائق عندما تكون مزعجة أو منفرة بما تتضمنه لطرف من الأطراف فإنه يحاول إتلافها. ومن هذا القبيل المحاولة التاريخية المصرة على إتلاف معنى اسم مراكش. فقد اقترحت لشرح معنى هذا الاسم في مسلسل الإتلاف الذي ألمحنا إليه بدائل كقولهم: إن معنى مراكش: مر مسرعاً، لأن المكان كان قبل عمارته غيضة مخوفة. قال صاحب كتاب الاستقصا (1954، 2، 24): "وفي كتاب المعرب: "أن يوسف بن تاشفين اختط مدينة مراكش بموضع كان يسمى بذلك الاسم -ومعناه بلغة المصامدة: امش مسرعا- وكان ذلك الموضع مكمنا للصوص، فكان المارون فيه يقولون لرفقائهم تلك الكلمة بضم الميم وفتح الراء المشددة بعدها ألف، وبعد الألف كاف مكسورة ثم شين معجمة، ويقال كانت في موضعها قرية صغيرة في غابة من الشجر وبها قوم من البربر...".

ولاشك أن المصدر الذي ينقل عنه الناصري هو "المعرب عن سيرة ملوك المغرب" نقلا عن وفيات الأعيان وهو مفقود، وفيه أورد ابن خلكان ترجمة يوسف بن تاشفين (7: 111)، من طبعة بيروت بتحقيق الدكتور إحسان عباس، وقال عن هذا المصدر إنه "أوعب في حديثه من غيره لكنه لم يذكر مؤلفه حتى أذكره غير أنه قال في أول النسخة التي نقلت منها هذا الفصل: إنه

*- صدرت هذه الدراسة في الأصل ضمن كتاب: "مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي"، (خلاصة أشغال الملتقى الأول حول مدينة مراكش سنة 1988)، منشورات مركز الدراسات والأبحاث حول مراكش، وجمعية الأطلس الكبير بإشراف جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية. الطبعة الأولى، 1989. صص 15 – 19.

كتبها في سنة تسع وسبعين وخمسمائة وفرغ منها في غرة ذي القعدة من نفس السنة بالموصل وهو في مجلد واحد لطيف" إلى أن قال: "وكان يوسف هذا رجلا شجاعا عادلا مقداما اختط بالمغرب مدينة مراكش، وكان موضعها مكمنا للصوص [.....] بناها الأمير يوسف بموضع كان اسمه مراكش - معناه امش مسرعا بلغة المصامدة".

إن هذا التأويل مرجعه لسان المصامدة، إذا ما استعرضنا أسماء الأماكن في المجال المصمودي عثرنا بالفعل على اسم مكان وحيد بهذا المعنى (امش مسرعا أو مر منه مهرولاً أو فاراً) وهذا المكان يقع جنوب شرقي دمنات وهو كُرْولْ (= آكّ + رْوْلْ) وليس في لسان المصامدة "مُرّ" بمعنى: امش، ولا "كِشْ" بمعنى مسرعا.

أما أقرب معاني اسم مراكش إلى التأويل المذكور فيتحتم أن نأخذها كلمة واحدة هي: أمراكس، بهمزة مفتوحة مشددة، وكاف عليها حركة بين الضم والسكون وسين ساكنة في الأخير بدل الشين التي في اسم مراكش كما وقع النطق بها منذ أن جرى رسمها، ومن صيغ الكلمات التي على وزنه كلمة أمّدّاكْلْ (= الصديق) وحذف همزة الأول في أمّرّاكْسْ جائز إما على عادة الزنتيين، وكانوا في أغمات، وإما على عادة التعريب استثقالاً، فتصير: مْرّاكُسْ، ومعناه: المخبأ من فعل ر.ك.س، أي اختبأ.

وقد يتبدر إلى الذهن أن كل مذهب أبعد من هذا في التأويل قد ينطوي على تمحل وتقعر بيد أن هذا الظن إنما كان يغني لو لم يرد ما يقربنا من رسم الكلمة على حقيقته الأصلية، ولو لم تكن هنالك قرائن أخرى توعز بتأويل مغاير. إن الروايات المتعلقة بتأسيس مراكش كما وردت عند ابن أبي زرع وعند ابن عذاري وعند مؤلف الحلل الموشية كلها متأخرة عن تاريخ التأسيس بأزيد من قرن ونصف، لذلك نجدها تخطئ حتى في المؤسس فتذكر ابن تاشفين بدل أبي بكر بن عمر، فلا يتعين مع هذا أن نتطلب عندها دقة في رسم اسم المدينة وتأويلا لاسم معناه، إذ الغلب في مثل هذه القضايا عند المغاربة هو الرجوع فيها لكتب المشارقة وتجاهل كل صلة لها بواقع محلي.

إن أقرب مصدر إلى تاريخ تأسيس مراكش يذكر اسمها هو كتاب التبين عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة للأمير عبد الله بن بلكين بن بادس الصنهاجي الذي عزله المرابطون عن عرش غرناطة عام 483 هـ في من عزلوا من ملوك الطوائف، وقد سبق لليفي بروفنصال الذي حقق النص الأصلي من هذه المذكرات الأميرية القيمة أن نبه إلى أن رسم مراكش فيه هو مروكش، وهذه الصيغة المذكورة في النص مرتين هي التي أخذت منه الصيغة

الاسبانية القديمة Marruecos ونبه على هذا الرسم أيضا توفيق الطيبي في هوامش تحقيقه للترجمة الانجليزية لهذه المذكرات (BRILL ،1986).

إن هذه الصيغة تبعدها عن الاسم الذي يعني "المخبأ" وهو أمراكس، يضاف إلى هذا أننا نجد صعوبة في تبرير بدل حرف السين بحرف الشين وإن تجاورا. ومن القرائن التي تشجع على الانصراف عن معنى المخبأ ما أثبتته كل الروايات من كون الموقع المسمى باسم مراكش قبل بناء المدينة كان بين قبيلتين وهما أيلان وهزميرة، ونحن نعلم أن معظم المدن إن لم يكن كلها بنيت على الحدود بين كتل قبلية لأنها المواقع الممتازة للأسواق، ولا نعدم رواية تذكر وجود عمارة في الموقع الذي يهمنا. فننصرف إذا إلى البحث عن معنى آخر قديم لاسم مراكش.

إن فرضيتنا هي أن اسم مراكش اسم تنوسي معناه مركب من كلمتين هما كلمة مُرّ أو أمُرّ وكلمة كُشْ أو أكُشْ يمكن أن تربط بينهما أداة وصل وإضافة في اللسان المصمودي أو الصنهاجي وهي في هذه الحالة واوٌ فيقتضي تركيب هذه الجملة أن يكون النطق: أمُرَكُشْ، فتنوب الفتحة على الحرف الأخير من الكلمة الأولى عن حرف الهمزة الذي تبتدئ به الكلمة الثانية، أو يقتضي التركيب إدخال الحرف الدال على الإضافة في الجملة الأمازيغية وهو النون أو الواو فنقول: أمُرْنُوكُشْ أو أمُرْوَّاكُشْ، ونثير الانتباه مجددا إلى أن الزناتيين الذين تذكر المصادر وجودهم في أغمات قبيل بناء العاصمة المرابطية يسقطون الهمزة في ابتداء الكلمات التي تحملها عند المصامدة أو صنهاجة كما تفعل العربية العامية بكثير من الأسماء الأمازيغية التي يوجد حرف الهمزة في أولها، وبإسقاط هذه الهمزة يصير نطق الاسم المركب هكذا: مُرُكُشْ أو مُرْوَاكُشْ، وهذه الهمزة التي كانت في الأصل تشهد عليها صيغة التأنيث: تامراكشت، وهي مثلها مثل الهمزة التي سقطت من أول أغرناطة لتبقى: غرناطة. فالرسم الوارد في كتاب التبيان ينبغي أن يشكل هكذا: مُرْوُكُشْ ليطابق تمام المطابقة المعنى الذي نفترضه.

أما معنى كلمة أُمُرّ أومُرّ فهو الحماية أو الحمى أو الحرم. وتوخيا للاختصار نحيل للتأكيد من هذا المعنى على عدد من المصادر، منها معجم لغة التوارگ لدوفوكو ونحيل على ما أورده صالح بن عبد الحليم في المخطوط الذي بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم كـ 1275 حيث يذكر أن أحد أمراء البربر عندما لقي عقبة بن نافع قال له عقبة: هذه حرمة بيني وبينكم أن تدخلوا الإسلام، فجعل بينه وبين هذا الأمير الذي يسمى حرما بن توطيس عهداً فكان قومه بعده إذا تحالفوا وتعاهدوا قالوا: أمُورْنْ الحرما. واسم حرما كما هو واضح صنهاجي، كما أن كلمة أمُرّاً ومُرّ من القاموس الصنهاجي الذي هو قاموس الأمراء المرابطين.

كما نحيل في موضوع معنى أمور على مادة Amur الواردة في الجزء الرابع من دائرة المعارف البربرية التي تصدر في إيكس أون بروفنس، وكذا على مراجع كاتب هذه المادة، كما نحيل على الوثائق المتعلقة بدرعة الواردة في رسالة دبلوم الدراسات العليا التي هيأها حول درعة أحمد البوزيدي الأستاذ بكلية الآداب بفاس. والمحصل من هذه المصادر وغيرها أن أمُرْ هو الحماية أو الموضع المتمتع بها كأن يكون حمى أو حرما أو رعاية أو داخلاً في شروط تحمل الفرقاء من القبائل وغيرها على أن يضمنوا الأمن والأمان بعضهم لبعض في مجال معين يكون عادة سوقاً أو مكان انعقاد موسم أو مرعى أو غير ذلك، وكثيراً ما تتم هذه الحماية بضمان أشخاص مبجلين أو رؤساء مقتدرين، وتحيط بها هالة من التقديس، وهذه الكلمة واردة ينسب إليها أيت إيمُورْ القبيلة المعروفة، إنما سميت بذلك لأنهم كانوا محميين أو حماة لغيرهم من القبائل في جهات ملوية العليا قبل أن ينتقلوا إلى جهات تادلا ثم إلى حوز مراكش.

أما أكُشْ أوأكُوشْ فهو الرب عند الأمازيغ الأقدمين كما ورد عند أبي زكرياء الوسياني الاباضي، وعند البكري في المغرب حيث يقول: إن برغواطة كانوا يذكرون في صلواتهم ياكوش مكان اسم الجلالة: الله، وكذا عند الدرجيني في طبقاته وهو يذكر فتوى للشيخ أبي عمرو بن أبي يعقوب الذي عاش بواركَلا في القرن الرابع للهجرة. وليس باكوش الذي في كتاب البيان المغرب سوى تحريف لياكوش أو أكُشْ.

فمعنى مراكش في أصله على هذا الأساس هو حمى الله أو المكان الذي ترعى فيه عهود الله سواء كان القصد معنى إسلامياً أو معنى في سياق النحلة البورغواطية أو معنى سابقاً حتى عن الإسلام.

ولا شك أن الذي استدعى التسمية هو ما ظل يستدعي إلى وقت قريب منا لدى القبائل إقامة عهود الحماية والتكفل أو الرعاية أو تَايْسَّا، وهي مقتضيات الحدود بين المجموعات المتبادلة للمصالح كأهل الجبل وأهل السهل، وبهذه المقتضيات ترتبط الأسواق والرباطات والمواسم وغيرها.

فاسم مراكش يدل على أن هذا المكان قطع به عهد إلهي أو أنه محل نشاط تجاري أو ديني أو هما معا لزم فيه رعاية المواثيق ودرء العدوان. ولا نريد أن نتعرض هنا لذكر الإشارات التريخية المؤيدة لهذا التفسير اللغوي المحض لأننا لم ننطلق من هذه الإشارات ولا نريد أن ننتهي إليها. وبعد هذا الشرح أود أن أشير في عجالة إلى أن السبب في العمل على طمس معنى اسم مراكش قد يكون هو وجود اسم كوش في تركيبه لأنه ينتمي باللفظ أو بالمعنى إلى ما سعى الضمير السني إلى أن يتخلص منه ولو بالنسيان.

الإطار البشري والحياة الحضرية بناحية مراكش قبيل التأسيس*

د. أحمد بلاوي

يكاد لا يجادل أحد في أن المجال الطبيعي والبشري المحيط بالمدن يكتسي بالنسبة لها أهمية قصوىٰ سواء من حيث الموارد الطبيعية (من أراضي خصبة ومياه وافرة) التي يوفرها، أو من حيث الإمكانات البشرية التي يشكلها سكان هذا المجال... أو من حيث الدور الذي يلعبه هذا المجال في تشكيل أساس ساكنة هذه المدن.

وتتجلىٰ هذه الأهمية كما هو معلوم، في العلاقات المختلفة والمتنوعة التي تنسج بين المدن والمجالات المحيطة بها والتي يصطلح عليها بالعلاقات "الحضرية الريفية" وهي علاقات تجسد إلى حد بعيد، مدىٰ الترابط القائم بين هذه الأطراف من جهة ومدىٰ استفادة بعضها من بعض من جهة أخرىٰ.

ولعل خير شاهد علىٰ الترابط القائم بين مراكش وأحوازها ما جاء عند R.Escallier [1]، في موضوع المجال الهجري لهذه المدينة حيث اعتبر أن الوافدين عليها ينحدرون:

- من سهل الحوز بنسبة 46٪.
- من الأطلس الكبير الغربي بنسبة 18,5٪.
- من هضاب احمر والرحامنة بنسبة 11,7٪.
- من سهل السراغنة بنسبة 6٪.

* – صدرت هذه الدراسة في الأصل ضمن مجلة "أطلس مراكش"، العدد 1 السنة 1، مراكش، شتنبر 1993، صص 14 – 30.

[1] –R. Escallier. *Citadins et espace urbain au Maroc*, fasc. de recherches N° 8 et 9, T. I et II, Tours et Poitiers, 1981.

– ومن باقي المناطق المغربية بنسبة 17,8٪.

ومما لا شك فيه أن ما يسترعي الانتباه هنا هو الدور الذي يلعبه سهل الحوز حاليا في تعمير مدينة مراكش. وهذا الدور بالذات هو الذي يبرز في نظرنا موضوع هذه المقالة.

غير أنه إذا كان سكان الحوز حاليا ينتمون إلى قبائل متعددة الأصول، أغلبها قبائل الكَيش التي لم تستقر بالمنطقة إلا خلال القرن 16 الميلادي، فإن مشكل معرفة هوية القبائل التي سكنت الناحية قبل تأسيس مدينة مراكش، يبقى مطروحا، ذلك لأن وجود الإنسان بهذه الناحية- بمفهومها الواسع- يعود إلى ما قبل التاريخ كما تشهد بذلك الرسوم المنقوشة على صفائح حجر الكري التي تم الكشف عنها بمنطقتي أوكايمدن وباكور[1]، في حين لم يتم تأسيس مراكش كما لا يخفى على أحد إلا خلال القرن 11 الميلادي.

بل يمكن الذهاب إلى القول بأن قدم عهد الإنسان بهذه الناحية يسمح ولا شك، بالقول بقدم الحياة الحضرية، بل أي بعبارة أخرى بوجود مدن سابقة لمدينة مراكش بالمنطقة، مما يدفعنا إلى طرح التساؤلين التاليين:

1– من هم سكان هذه الناحية مباشرة قبيل تأسيس مدينة مراكش؟

2– فيم تتجلى الحياة الحضرية بالناحية قبل تأسيس المدينة الحمراء؟

يقتضي الجواب على هذين التساؤلين إمكانية وضع خريطتين:

الأولى عن القبائل التي كنت تشغل الناحية على الأقل إلى حدود تاريخ التأسيس، والثانية عن المدن التي ظهرت بالناحية قبل نفس الفترة.

وليس هذا بالأمر الهين، وذلك لأسباب عدة منها على سبيل المثال لا الحصر:

1– ندرة المعطيات الدقيقة في هذا المجال إن لم يكن غيابها تماما.

2– كون الكتابات التاريخية والجغرافية التي اشتغلت بهذا الجانب لم تكن تهتم لا بمسألة التوطين ولا بمسألة التمثيل الكارطوغرافي إلا في حالات نادرة.

3– اختفاء عدد كبير من أسماء المواقع الجغرافية ومن أسماء المجموعات البشرية واستبدالها بأسماء قد تكون في بعض الأحيان جديدة كل الجدة.

[1] – Simoneau. *Les gravures rupestres du Haut Atlas de Marrakech*, RGM, N 11, pp. 67-75 Rabat, 1967.

4- كون هذه الأسماء تعرضت في غالب الأحيان للتحريف عند تعريبها أولا وعند استنساخها ثانيا مما يجعل الكشف عن أصلها البربري من الأمور الصعبة إن لم يكن مستحيلا...مما يستلزم الاهتمام بعلم المواقعية لما فيه من نفع بالنسبة للتاريخ والجغرافيا معا.

5- عدم تحري الدقة في تسمية المجموعات البشرية من لدن الكتاب الأقدمين.

6- كون الكتابات التي تغطي هذه الفترة أغلبها من صنع مثقفين حضريين أغلبهم أجانب عن المنطقة... ذلك لأن المجموعات القبلية لم تكن تعرف الكتابة إلا نادرا.

وهذه الأسباب تجعل المهتم بمسألة التعمير مرغما على تصيد المعلومات والتنقيب عنها بشتى الوسائل: كإعادة قراءة الكتابات التاريخية والجغرافية القديمة وتأويلها كما فعل المؤرخ الفرنسي لفي بروفنصال عندما حاول وضع خريطة القبائل جنوب مراكش خلال القرن 12 تحت عنوان "التوزيع المحتمل لقبائل جنوب مراكش خلال القرن 12 الميلادي"[1]، والأستاذ أحمد التوفيق عندما حاول هو الآخر وضع خريطة لأماكن دفن المترجمين في كتاب التشوف ولمواقع البلدان ومواطن القبائل المذكورة فيه[2]، أو كالعمل على استعادة الوضع الماضي واستدراكه انطلاقا من الوضع الحالي كما فعل بول باسكون عندما حاول التأريخ لتعمير منطقة الحوز انطلاقا من التوزيع الحالي لقبائل المنطقة[3].

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن مقارنة الخرائط التي انتهى إليها هؤلاء الباحثون تمكننا من التوصل إلى الاستنتاجات الآتية:

1- استمرار أسماء بعض المجموعات على الأقل منذ القرن الحادي عشر وعلى الخصوص المجموعات التي يمتد مجالها جنوب مراكش في اتجاه سلسلة جبال درن، كافروكة، ووريكة وكلميوة وصاودة أو مزوضة.

2- اختفاء أسماء بعض المجموعات كمسكالة التي ورد اسمها عند لفي بروفنصال والتي كانت تسكن شرق أغمات.

3- ظهور أسماء جديدة كمسفيوة وغيغاية من جهة، وجميع القبائل التي تدخل تحت اسم الكيش كالوداية، وأيت ايمور أغواطيم الخ...والتي يكون مجالها حزاما حول مدينة

---

[1] – E. Lévi –Provençal. *Documents inédits d'histoire almohade*, Paul Geuthner, Paris, 1928.

[2] – التشوف إلى رجال التصوف للتدلي، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب بالرباط، سلسلة نصوص ووثائق، 1984.

[3] – P. Pascon. *Le Haouz de Marrakech* T. I et II, Rabat, 1977.

مراكش من جهة ثانية، وقبائل العرب وأولاد أمطاع ومجاط وأولاد أبي السباع التي يفصل مجالها بين مجال قبائل جبل درن ومجال قبائل الكيش السابقة الذكر من جهة ثالثة.

وهي استنتاجات تسمح بالتأكيد على أن جل القبائل التي تمتد مواطنها غرب مراكش والتي يرجع تاريخ استقرارها بالناحية إلى القرن 16 الميلادي حديثة العهد بالوجود بهذه الناحية وأن مجالات قبائل جبل درن بقيت على ما هي عليه على الأقل منذ القرن 12 الميلادي.

ولما كانت مجالات قبائل درن لا تمتد، كما يبدو إلا على الدير والجبل فإن مشكل معرفة القبائل التي كانت تشغل المجال الفاصل بين قدم جبال درن ووادي تانسيفت يبقى مطروحا.

ذكر Jean le Goz في موضوع "قبائل الكيش في المغرب"[1]، بأن القبائل التي تسكن غرب مدينة مراكش والتي تتكون أساسا من عرب بني معقل "استطاعت إبعاد احمر نحو الغرب، الرحامنة نحو الشمال والشرق وإيقاف الشلوح عند قدم الجبل جهة الجنوب".

فهل هذا يعني أن المجال الممتد بين وادي تانسيفت وقدم جبال درن كانت تسكنه قبائل احمر والرحامنة قبل مجيء قبائل الكيش؟

التسليم بهذه الفرضية لا يفك المشكل في شيء، لأن قبائل أحمر والرحامنة نفسها لم تصل إلى الحوز إلا مع بداية القرن السادس عشر الميلادي على أعقاب السعديين من جهة وبعد وصول قبائل أولاد مطاع والشبانات التي كانت تؤلف الجيش السعدي من جهة أخرى.

فما هي إذن القبائل التي سكنت هذا المجال قبل مجيء الكيش السعدي عند بداية القرن 16 الميلادي؟

تدل خريطة ليفي بروفنصال السالفة الذكر على أن المجال الممتد بين وادي تانسيفت وقدم جبل درن كانت تسكنه خلال القرن 12 الميلادي القبائل الآتية:

- قبائل ركراكة، مسكالة، متوكة ودمسيرة فيما بين وادي شيشاوة والساحل الأطلسي.
- بطون فروكة وصودة ولصيفة فيما بين نفيس ووادي شيشاوة.
- بطون سكتانة ووريكة فيما بين وادي نفيس ووادي غذات.
- قبيلة مسكالة شرق هذا الواد.

[1] –J. Le Coz. *Les tribus guich au Maroc*. RGM. N°. 7, Rabat, 1965.PP.1-52.

وهو توزيع يكاد يشبه التوزيع الذي وضعه الأستاذ أحمد التوفيق لقبائل ناحية مراكش خلال القرن 13 الميلادي، عند تحقيقه لكتاب التشوف حيث أورد هو الآخر القبائل الآتية:

- ركراكة غرب وادي أسيف المال (الذي يتوسط بين وادي نفيس شرقا ووادي شيشاوة غربا).
- ركونة وصودة ما بين وادي أسيف المال ووادي غيغاية.
- أيلان أو هيلانة ما بين وادي نفيس ووادي الزات.

التشابه الكبير بين هذين التوزيعين يجرنا إلى القول بأن هذه الناحية كانت مجالا لنفس القبائل على الأقل منذ القرن 12 الميلادي، علما بأن ركونة وفروكة من فرق صودة.

فهل هذا يعني أن هذه القبائل كانت تستوطن هذه الناحية حتى خلال القرن الحادي عشر الميلادي؟

جاء في حديث ابن حوقل[1]، (القرن العاشر الميلادي) عن العلاقات التجارية لقبائل برغواطة ما يلي: "وقد يصل إليهم (أي البورغواطيين) أهل أغمات والسوس أيضا بالتجارة..." وفي مكان آخر جاء على لسان نفس المؤلف أن أهل أغمات من "أصحاب البرانس" دون أي تفصيل.

وهي معلومات غير كافية لوضع خريطة مفصلة لسكان المنطقة.

إلا أن المعلومات التي وردت على لسان أبي عبيد الله البكري (القرن الحادي عشر الميلادي) لا تزيد عنها إلا بقليل.

ففي كلامه عن أغمات، كتب البكري[2]:

"وهي مدينتان سهليتان أحدهما تسمى أغمات أيلان والأخرى أغمات وريكة" ثم يضيف واصفا مجال أغمات وريكة "وهو بلد واسع يسكنه قبائل مصمودة".

وذكر من جهة أخرى في شأن نفيس بأنها "قديمة أولية... يسكنها قبائل من البربر أكثرهم مصمودة".

باستثناء قبيلتي وريكة وأيلان اللتين ارتبط ذكرهما بذكر مدينتي أغمات، لم يأت البكري بجديد إذ اكتفى هو الآخر بإشارة عامة تذكر بإشارة ابن حوقل.

---

[1] - ابن حوقل: **صورة الأرض** ليدن، 1967.

[2] - البكري: **المسالك والممالك**، ترجمة دوسلان، باريس 1965.

غير أنه يمكن استغلال هاتين الإشارتين (الإشارة إلى أصحاب البرانس والإشارة إلى المصامدة) للتأكيد على الأقل بأن سكان هذه الناحية ينتمون إلى قبائل مصمودية.

وليس هذا بغريب إذا سلمنا مع البكري نفسه، بأن المصامدة (إمصمودن باللغة البربرية)، يشكلون أساس تعمير المغرب في واجهته الأطلنتيكية على الخصوص. إذ يكاد يتفق الجميع على أن المصامدة وهم "أكثر قبائل البربر وأوفرهم" على حد تعبير ابن خلدون ينقسمون إلى:

- غمارة الذين "يعتمرون رحاب الريف" في الشمال.
- برغواطة "في بسائط تمسنا وريف البحر المحيط من سلا وأزمور وأنفى وآسفي" في الوسط:
- أهل جبال درن...في الجنوب.

ويتضح على أساس هذا التقسيم أن سكان ناحية مراكش ينتمون إلى المصامدة من أهل جبال درن.

ويزداد هذا تأكيدا عندما نقرأ على لسان علي بن أبي زرع الفاسي مثلا، بأن أبا بكر بن عمر اللمتوني بعد غزوه جميع بلاد السوس ارتحل إلى بلاد المصامدة "ففتح جبل درن، وفتح أيضا بلاد رودة وفتح مدينة شيشاوة بالسيف ثم فتح بلاد نفيس وسائر بلاد كدميوة، وأتاه قبائل رجراجة وحاحة فبايعوه، وارتحل إلى مدينة أغمات"[1].

وهو استشهد، فضلا عن كونه يزكي التقسيم السابق، يضيف أسماء قبائل جديدة إلى اللائحة الهزيلة التي ورثناها عن البكري، منها رجراجة، كدميوة وحاحة.

وهي قبائل قديمة العهد بالاستقرار بحوز مراكش كما جاء في كتاب الأنساب.

ويبدو أن مواطنها الأصلية لم تعرف تغيرا كبيرا إلا بالنسبة لرجراجة التي كانت مساكنهم على عدوتي وادي تانسيفت عند مصبه في المحيط الأطلسي[2]، والتي كانت تمتد شرقا على حدود وادي شيشاوة كما يتضح من كتاب الأنساب الذي يعتبر أن "مرامر وشفشاوة كانت تابعة لركراكة"[3].

---

[1] – ابن أبي زرع الفاسي: **الأنيس المطرب بروض القرطاس** الرباط 1973.

[2] – **كتاب الأنساب** لمؤلف مجهول، مخطوط خ.ع. رقم ك 1275.

[3] – عن ابن منصور في أخبار المهدي.

أما كدميوة وحاحة فيبدو أنها احتفظت بمواطنها الأصلية أي جنوب موطن ركراكة بالنسبة لحاحة وجنوب موطن هزميرة بالنسبة لكدميوة.

غير أن هذا التوزيع يبين أن مواطن هذه القبائل الثلاثة تشغل مجالات تمتد أساسا على هوامش منطقة الحوز.

وهذا يعني أن القبائل التي كانت تسكن منطقة الحوز بمفهومها الضيق لا نعرف منها إلا قبيلة وريكة وأيلان اللتين ارتبط ذكرهما، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، بذكر مدينتي أغمات وريكة وأيلان.

غير أنه إذا كان الجميع يكاد يتفق على أن أغمات وريكة هي أغمات الحالية، فإن موقع مدينة أغمات أيلان لا يزال مجهولا إلى حد الآن إذ لا نعرف عنه إلا أنه يبعد عن موقع أغمات وريكة بنحو 6 إلى 8 أميال (أي ما بين 8.5 إلى 11.5 كيلومترات) في اتجاه الجبل[1].

ومن البديهي أن يشوب نفس الغموض مجال امتداد موطن قبيلة أيلان أو هلانة. ولتحديد موطن هذه القبيلة ارتأينا الاستعانة:

- **أولا**: بالمعلومات التي أوردها الإدريسي في شأن موقع مدينة أغمات أيلان بالنسبة لمدينة أغمات وريكة، والتي يستنتج منها أن موطن هيلانة يمتد شرق مجال وريكة أي شرق وادي وريكة في اتجاه وادي الزات.

- **ثانيا**: بالاستشهاد الآتي المقتبس من البيدق والذي يتحدث عن اندحار الجيش الموحدي بعد وقعة البحيرة (1127 أو 1130) "وجاز الخليفة مع طلبة أغمات على هيلانة فأصبح لنا الصباح بموضع يقال له إيمي ن الزات. فطلعنا مع إيمين الزات حتى وصلنا لدرن وهزرجة يسبوننا".

---

[1] - كتب أحمد التوفيق في موضوع موقع أغمات أيلان "وأغمات أيلان كنت في شمالها على بعد بضعة أميال ولم يبق في أغمات أيلان سوى أنقاض تعرف بأوخربين نايت وأيلان أو أطلال أو أنقاض هيلانة بعد أن اضمحلت هذه القبيلة وحلت محلها قبيلة امسيوان / مسفيوة [التشوف] ص: 142]...دون أن يذكر موقع هذه الأنقاض... في حين يرى بول بسكون أن أغمات أيلان تقع جنوب الخط الواصل بين جبل سل (1247م) وتسغيموت (1262م) فوق ربوة يبلغ ارتفاعها 1101م، بالقرب من زاوية للا تشعوت الكائنة بمجال فرقة أيت ونكا الجبل إحدى فرق قبيلة مسفيوة. وهو موقع يتنافى في نظرنا بحكم توغله في الجبل مع وصف الإدريسي الذي كتب عن أغمات أيلان بأنها "مدينة صغيرة في أسفل جبل درن". وعلى هذا الأساس فإننا نقترح أن يكون موقع أغمات أيلان هو دوار إيكودارنديت أغمات الذي يبعد عن جمعة أغمات بحوالي 11 كلم جهة الشمال الشرقي على الطريق الرابطة بين اثنين وريكة وأيت أورير. والذي يقع هو الآخر ضمن مجال قبيلة مسفيوة.

والبحيرة، كما هو معروف، هو اسم المكان الذي نزل به الموحدون عند حصارهم لمراكش ويوجد أمام باب أيلان وباب الدباغين، في حين أن إيمي ن الزات هو منطقة أيت أورير التي لا تزال تحمل هذا الاسم إلى الآن.

- **ثالثا**: بما ورد من أخبار في ذكر اختطاط مدينة مراكش حيث نقرأ كتاب الحلل الموشية أن السبب في ذلك هو أن اللمتونيين لما احتلوا أغمات وريكة "وكثر الخلق بها وضيقوا على أهلها...شكا أشياخ وريكة وهيلانة إلى الأمير أبي بكر بن عمر ما يلحقهم في ذلك من العناء والمشقة... وقال لهم الأمير "عينوا لنا موضعا نبني فيه مدينة إن شاء الله" اجتمعوا على أن يكون بناؤها بين بلاد هيلانة وبين بلاد هزميرة[1]، وهي رواية وردت عند ابن عذاري المراكشي (القرن الرابع عشر الميلادي) بنفس الأسلوب.

- **رابعا**: بكون باب أيلان أحد أبواب مراكش يوجد هو الآخر شرق المدينة بالقرب من باب أغمات.

فيكون على هذا الأساس موطن هيلانة هو المجال الفاصل بين وادي إسيل ووادي الزات بالرغم من أن الأستاذ أحمد توفيق يرى أن قبيلة أيلان "كانت تستوطن ما يجاور أسوار مراكش في الجنوب والجنوب الشرقي بين وادي غدات ووادي نفيس"[2].

ولن يفوتنا هذا التساؤل حول صحة ما كتبه صاحب الأعلام في موضع موطن هذه القبيلة حيث قال "وبلد هيلانة المذكورة هو بلد كلاوة اليوم والوادي الذي منبعه من بلد هيلانة هو المعروف بوادي سيدي رحال المسمى واد أغدات، وهو تصحيف عن وادي أغمات"[3].

وحجتنا في ذلك كون وادي غدات يبعد عن منطقة وريكة بما يزيد عن 50 كلم أولا وكون موطن كلاوة كان يمتد خلال هذه الفترة التاريخية جنوب الأطلس الكبير الغربي أي خلف موطن هزرجة ثانيا.

وبعد تحديد موطن هيلانة، يبقى السؤال المطروح هو: ما هي القبائل التي تمتد غرب مدينة مراكش؟

---

[1] - **كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق د. سهيل زكار ود. عبد القادر زمامة، الدار البيضاء 1979.

[2] - أحمد التوفيق: **التشوف**، ص: 252.

[3] - **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام** للعباس بن إبراهيم الجزء 1، الرباط 1974.

جاء على لسان الإدريسي أن من بين القبائل التي تقطن جنوب مراكش قبيلتي نفيس وصادة، وجاء من جهة أخرى في كتاب الحلل الموشية أن مدينة مراكش كان بناؤها، كما سبقت الإشارة إلى ذلك بين بلاد هيلانة وبلاد هزميرة.

فما هي مواطن قبائل نفيس، صادة وهزميرة؟

يتضح من كلام الإدريسي عن نفيس أن اسم نفيس يشمل معا اسم المدينة واسم القبائل التي كانت تسكن بجوارها. ولكنه في نفس الوقت لم يربط تماما ما بين نفيس المدينة ونفيس الوادي. فهل هذا يعني أن مدينة نفيس لا تقع على وادي نفيس؟ أن عدم ذكر الإدريسي للوادي ناتج عن قصور في الملاحظة فقط؟

ولربما تساعد الإشارة الآتية الواردة عند ابن عذاري المراكشي حول الموضع الذي بنيت فيه مدينة مراكش- على تحديد موطن قبائل نفيس. يقول ابن عذاري:"وكانت مزرعة لأهل نفيس... ونفيس - بفتح النون وتشديد الفاء وسكون الياء المثناة من تحتها- جبل مطل على مراكش"[1].

ومعنى هذا أن مواطن قبائل نفيس كانت تمتد على طول وادي نفيس إلى حدود موضع مراكش ولربما إلى حدود وادي تانسيفت.

والتسليم بهذا الافتراض يجعل قبيلة هزميرة إحدى قبائل نفيس.

ويؤيد هذا الافتراض كتاب الأنساب من جهة وقول الأستاذ أحمد توفيق في موضوع هزميرة من جهة ثانية إذ يقول:"وأصلها إزامرن وهي الأكباش، وكانوا قبيلة من المصامدة استوطنوا بين أسوار مراكش ورجراجة"[2]، وأخيرا ما جاء عند بن القطان[3]، عن استيطان المهدي لتينمل "أن أهلها بعثوا له بطاعة قبيلتهم هزميرة الجبل".

وفي موضوع قبيلة صادة، ذكر البيدق أن ابن تومرت، بعد خروجه من أغمات وريكة وهو في طريقه إلى داره بإكلي ن هرغة، قام برحلة داخل جبال درن، زار خلالها معظم قبائلها ومنه قبيلة صودة التي قدم إليها المهدي بعد قبيلة إين ماغوس، أحد بطون كلميوة توجد مواطنها على وادي أسيف المال،

---

[1] - ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج. 4 بيروت ط 2، 1980.

[2] - التشوف، تحقيق أحمد التوفيق، ص: 213.

[3] - ابن القطان، نظم الجمان، نقلا عن عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، لمحمد عبد الله عنان، القاهرة 1964.

فإن مواطن قبيلة صودة تقع ولا شك غرب هذا الوادي أي في المنطقة التي تسكنها حاليا قبيلة مزوضة والتي تعد فرقتا أيت أوكماس (كَماسة) وإفروكَن (فروكَة) من بين فرقها.

يستنتج من خلال هذه الجولة عبر مختلف أجزاء الحوز أن القبائل التي كانت تسكن هذه الناحية قبل تأسيس مراكش هي[1] :

- هيلانة أو أيلان ما بين وادي إسيل ووادي الزات.
- وريكة على طول وادي وريكة في اتجاه الجبل.
- هزميرة على وادي نفيس وفيما بين هذا الوادي ووادي أسيف المال.
- صودة ما بين وادي أسيف المال ووادي شيشاوة.

وهي قبائل تنتمي إلى المصامدة من أهل الجبل مما يدل على أن منطقة الحوز كانت خلال هذه العصور جزءا لا يتجزأ من مجال أهل جبال درن وليس هذا بغريب إذا علمنا أن الاقتصاد الجبلي لا يمكنه الاستغناء عن السهل الذي يشكل بالنسبة لسكان الجبال خزانا للحبوب أولا ومرتعا شتويا ثانيا.

وهذا الإطار البشري لن يبلغ الغاية المتوخاة منه إلا إذا كان مرفوقا بدراسة ولو سريعة للحياة الحضرية التي كانت تعرفها الناحية قبل بناء مراكش.

والهدف من هذه المحاولة هو إبراز درجة التحضر التي بلغتها هذه الناحية من جهة والإقرار بأن التمدن ظاهرة قديمة بالمنطقة[2]، من جهة أخرى.

ذكر الزياني[3]، في الترجمانة الكبرى أن قبائل المصامدة بنوا مدينة شيشاوة وأغمات وريكة وأغمات أيلان... ولكنه لم يذكر مدينتي نفيس ومرامر... وهي مدن أقل ما يمكن قوله عنها أنها سابقة لمدينة مراكش.

وإذا كانت مدن أغمات وريكة وأغمات أيلان ونفيس قد استأثرت باهتمام المؤرخين والجغرافيين الأقدمين فإن مدينتي شيشاوة ومرامر لم تردا إلا على لسان عدد قليل منهم...ويعتبر البكري أول من ذكرهما عند ذكر الطريق الرابطة بين أغمات ورباط قوز على الساحل الأطلسي.

---

[1] – انظر الخريطة رقم 1.

[2] – قد تكون هذه المحاولة أفيد لو رافقتها محاولة أخرى حول الحياة الحضرية ببلاد لمتونة في نفس الفترة.

[3] – الترجمانة الكبرى للزياني، تحقيق وتقديم الفيلالي، وزارة الإعلام الرباط، 1967.

وإذا كانت شيشاوة ومرامر في عداد مراكز قبيلة رجراجة حسب كتاب الأنساب، فإن Jacques Berque يستغل التشابه القائم بين كلمتي سكساوة وشيشاوة ليستدل على مجال سكساوة إلى حدود شيشاوة... ويخبرنا J.Berque نفسه بأن شيشاوة خربت من لدن المرينيين على أعقاب ثورة مصامدة جبل درن ما بين 1281 و1307[1].

وفي موضوع مرامر كتب الحسن بن محمد الوزان بأنه "مدينة بناها القوط في الداخل على نحو 14 ميلا من آسفي... وكانت فيما سبق خاضعة لحاكم آسفي، فلما احتل البرتغليون آسفي هرب سكان مرامر وبقيت مدينتهم خالية زهاء سنة، ثم اتفقوا بعد ذلك مع البرتغاليين ورجعوا إلى ديارهم، وهم يؤدون حتى الآن جزية لملك البرتغال"[2].

وتقع مرامر- التي تحمل أنقاضها اليوم اسم صويرة مرامر- على الضفة اليمنى لمسيلة تحمل اسم وادي مرامر الذي ينبع من جبل جغرة (الذي يبلغ ارتفاعه 518 متر) الذي يقع على الضفة اليسرى لوادي تانسيفت.

وكلنا يعرف أن هذه المدن لا تعدو أن تكون اليوم مجرد دواوير أو على الأكثر مجرد مراكز حضرية صغيرة إن لم تكن قد انقرضت نهائيا كما هو الحال بالنسبة لأغمات أيلان ونفيس[3]، وهو وضع يختلف تمام الاختلاف عن الوضع الذي كانت عليه هذه المدن قبل تأسيس مراكش، والذي كان يتسم حسب غالبية المؤرخين والجغرافيين الأقدمين بالثراء والرخاء.

ولن يفوتنا هنا الوقوف عند عوامل هذا الرخاء لنجملها فيما يلي:

1- كون معظم هذه المدن كانت عبرة عن عواصم إقليمية وعن مدن مستقلة عن الحكم المركزي يتولى إدارتها بالتناوب أعيان القبائل وأشياخها. وقد ساعدت هذه الوظيفة ولا شك على استقطاب العديد من العلماء والأدباء كما هو الحال بالنسبة لأغمات[4].

2- كون هذه الحواضر كانت عبارة عن أسواق محلية كبيرة تلعب دور الوساطة بين الجبل والسهل. وخير شاهد على هذا الدور ما كتبه البكري حول سوق أغمات وريكة:"فسوق

---

[1]- J. Berque. *les Antiquités Seksawa*, Hespéris, 3° et 4° trim 1953, pp. 359-418.

[2] - الحسن بن محمد الوزان: وصف إفريقيا ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ج. الأول، الرباط، 1980.

[3] - لم يستطع المؤرخون إلى حد الآن تحديد موقع نفيس وذلك بالرغم من وجود عدة افتراضات لخصها وعلق عليها برنارد روزنبرجي في مقالة له بعنوان "ملاحظات حول قوز" في هيسبريس تمودا، 1967.

[4] - انظر الأعلام.

أغمات وريكة يقوم يوم الأحد بضروب السلع وأصناف المتاجر، يذبح فيها أكثر من مائة ثور وألف شاة، وينفذ في ذلك اليوم جميع ذلك".

ويساعد على القيام بهذا الدور كونها تقع، كما هو معلوم قرب منطقة الدير.

3- كون مواطنها مواطن خصبة كما يظهر من وصف الإدريسي لناحية أغمات وريكة التي قال عنها:"وحولها جنات محدقة وبساتين وأشجار ملتفة...".

ومن البديهي أن ينعكس عنها غنى مواطنها بحكم علاقات التفاعل التي سبقت الإشارة إليها في بداية هذا الموضوع.

4 – كونها تقع على الطرق التجارية الكبرى التي كان لفجاج إدرارن درن دور لا يستهان به في توجيهها... والتي تربط مدن الناحية بكل:

1 – من سجلماسة شرقا عبر فجاج جبال هزرجة وخاصة فج تيزي ن تلوات.

2 – من أوداغست ومن خلالها بلاد السودان جنوبا عبر فجاج تينمل (تزي ن تاست وتزي ن وشدان) أو على مدينة تامرورت (التي يعتقد أنها إيمي ن تانوت الحالية)...

3 – من مدينة فاس على حصن داي شمالا...

4 – من بلاد برغواطة كما سبقت الإشارة إلى ذلك جهة الشمال الغربي[1].

وتتجلى أهمية هذه العلاقات التجارية مع مختلف جهات المغرب:

– أولا: في كون سكان أغمات وريكة، مثلا، على حد تعبير الإدريسي "تجار مياسير"... لم يكن في دولة الملثم أحد أكثر منهم أموالا ولا أوسع منهم أحوالا...

– ثانيا: في كون مدينة أغمات كانت تربطها بالعالم الخارجي علاقات يساعد عليها توفرها على ميناء سماه البكري بميناء قوز وهو ميناء لم يتحدث عنه الإدريسي الذي لم يفصله عن البكري إلا أقل من قرن من الزمن، وهو أفول يرتبط ولا شك بأفول أغمات التي كتب عنها الإدريسي "وأما الآن في وقت تأليفنا لهذا الكتاب (أي حوالي 1154 م) فقد أتى على أكثر أموالهم المصامدة..." ووجود ميناء قوز الذي يعتبر بمثابة مرفأ أمامي لأغمات يحملنا على اعتبار هذه الأخيرة وسيطا تجاريا محتوما لمدينة سجلماسة.

---

[1] – انظر الخريطة، رقم: 2.

5- كون هذه المدن كانت تستفيد ولا شك من قربها من جبال درن التي كانت تشكل بالنسبة لها ظهيرها الرئيسي أي مجالا لتصريف منتوجاتها الحضرية من جهة وللتزود بالمواد الريفية عامة والجبلية خاصة من جهة أخرى.

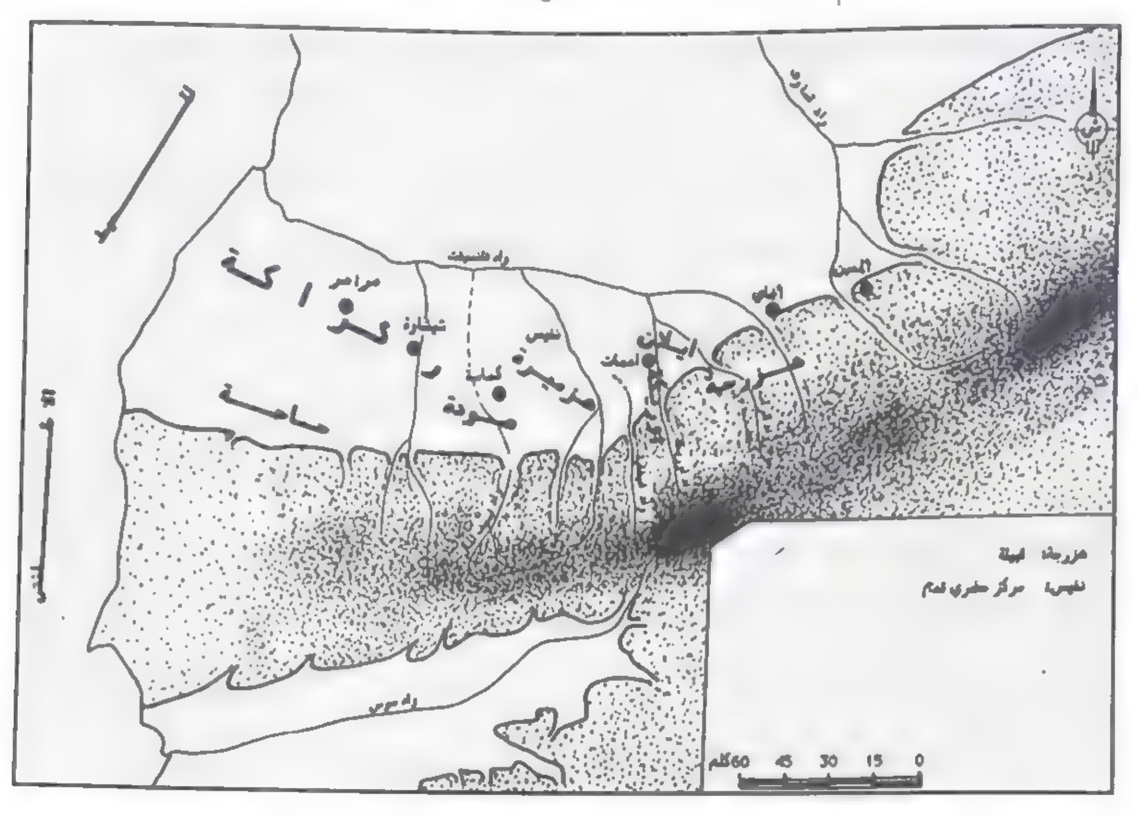
ويزيد هذه الاستفادة أهمية كون جبال درن كانت حسب كتابات معظم الجغرافيين والمؤرخين تزخر بالخيرات أولا وتعج بالسكان ثانيا.

ومما تجدر الإشارة إليه كون هذه المدن تقع بالأساس جنوب وادي تانسيفت وعلى مسافة شبه متساوية بعضها من بعض. وفي هذا يقول البكري "من وريكة إلى نفيس خمسة وثلاثون ميلا ومن نفيس إلى شيشاوة ثلاثون ميلا ومنها إلى مرامر ثلاثون ميلا ومنها إلى رباط قوز خمسة وعشرون ميلا".

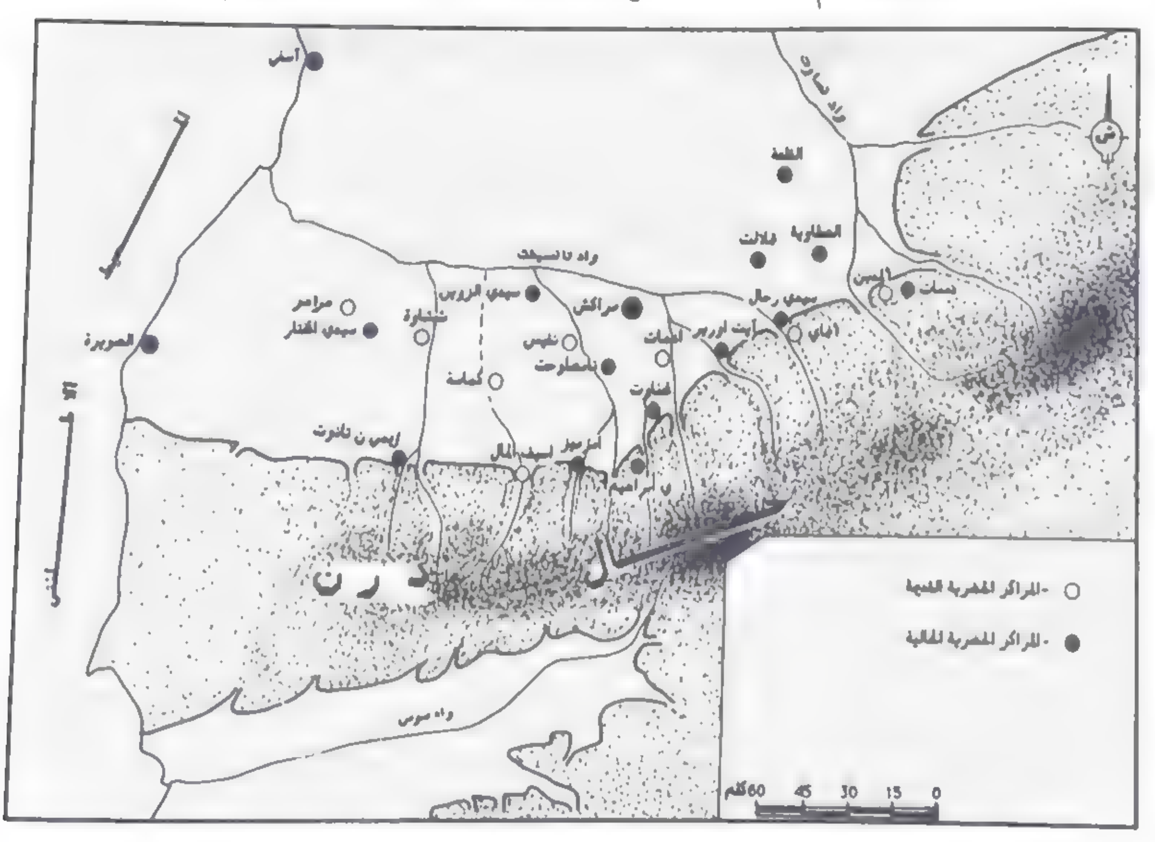
وهي ملاحظات تجعل هذه المدن في نظرنا مدنا درنية - إن صح التعبير - أكثر منه مدنا سهلية، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن المجالات الجبلية كانت خلال تلك العهود تفوق المجالات السهلية من حيث الأهمية.

غير أن تأسيس مدينة مراكش بعيدا عن جبال درن أولا وانتصابها عاصمة لأول إمبراطورية مغربية تجاوزت حدودها الآفاق التي كانت ترنو إليها مدن أغمات نفيس، شيشاوة ومرامر ثانيا، جعل هذه المدن تتقهقر تدريجيا إلى أن اختفى بعضها نهائيا لتحل محلها مدينة مراكش التي كانت تعتبر بحق مفخرة من مفاخر العالم الإسلامي العربي في العصر الوسيط.

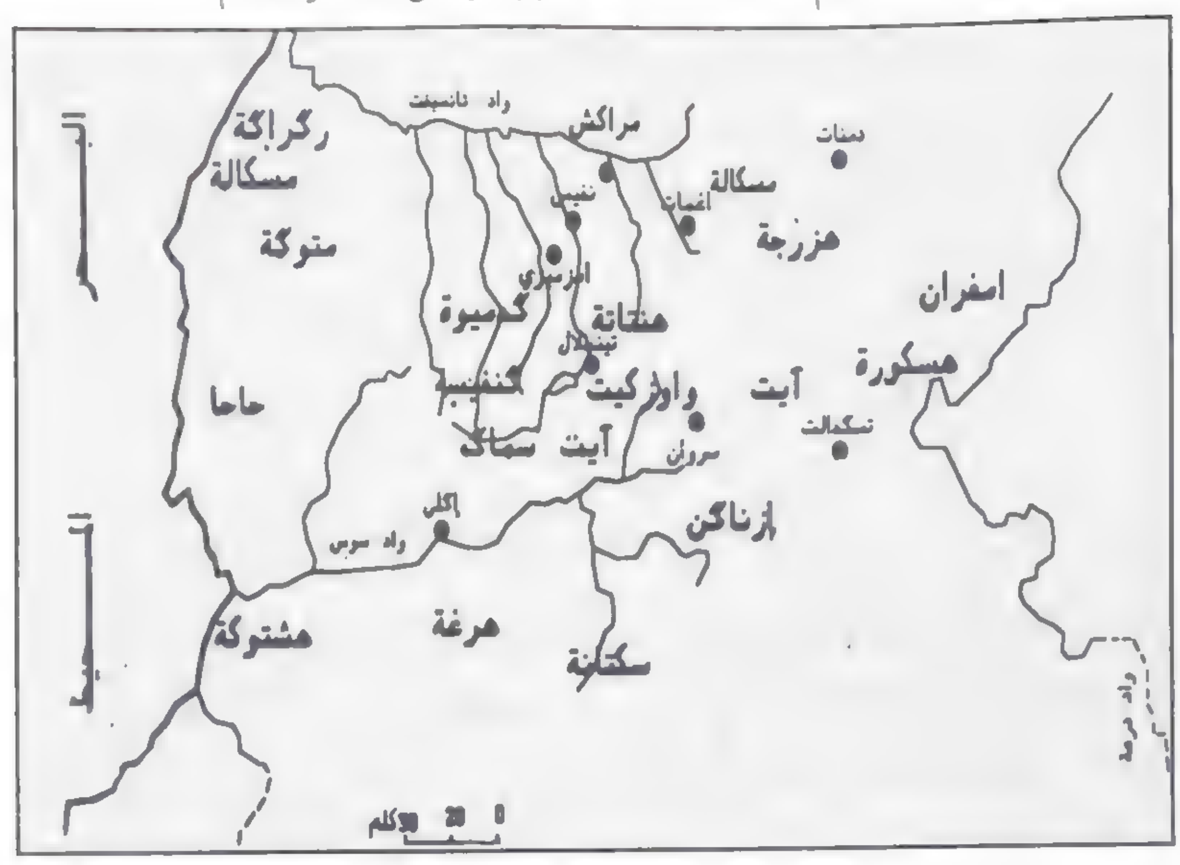
الخريطة رقم 1: السكان والحياة الحضرية بناحية مراكش قبيل التأسيس



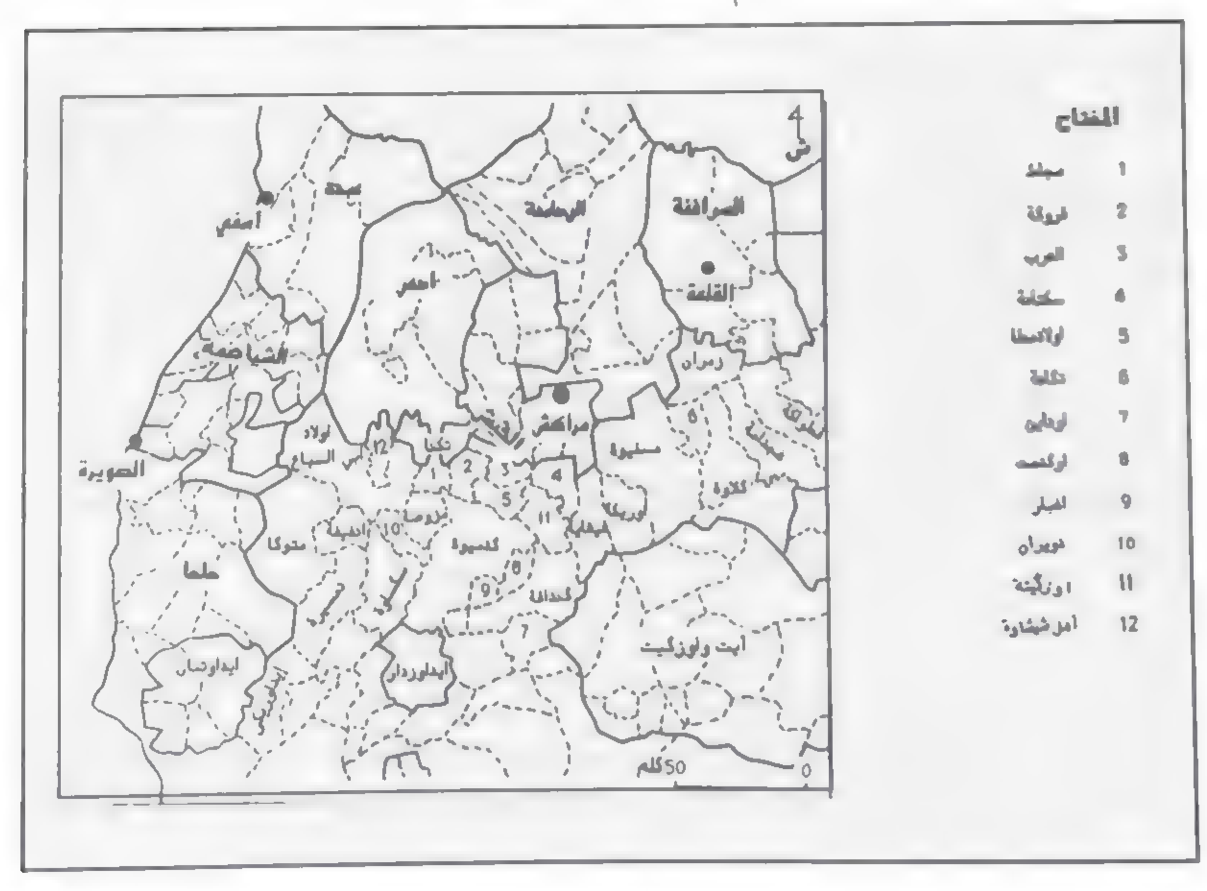
الخريطة رقم 2: الحياة الحضرية بناحية مراكش بين الأمس واليوم



الخريطة رقم 3: المجالات القبلية جنوب مراكش إبان القرن 12م



الخريطة رقم 4: القبائل الحالية بمنطقة تانسيفت




وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا

مدينة غمات عاصمة المرابطين الأولى
قبل تأسيس مدينة مراكش

د. عبد الرزاق ازريكم

اختلفت العديد من المصادر في تحديد أسماء المراكز والمدن التابعة لإِمْرَةِ غمات التي أكدت فعلا مدى استحقاقها لأن تكون حاضرة المنطقة ومقر الإمارة. وهذا يدل على أن بها من المقومات ما جعل الإمارة الإدريسية بها تتسع لتشمل كلا من إكلي وتامدلت من بلاد السوس. وإن كانت كلمة سوس لها مدلول واسع وشاسع، ينعت بالأدنى أحيانا، وبالأقصى أحيانا أخرى وهو يحوي العديد من القرى، والقرى الجامعة، والمراكز الحضرية التي هي في مرتبة المدن، ذكر منها أبو عبيد: "نول لمطة، وإيكلي، وماسة، ومدينة تامدلت، التي نسب تأسيسها البكري إلى عبد الله بن إدريس"[1] .

كما أكد وفاته بالسوس وبها جعل قبره، وكان ذلك سنة 281 هجرية/ 836 ميلادية، حسب رواية ابن القاضي في كتابه جذوة الإقتباس.[2] واستخلف في مرضه عليا ولده، ليضمن استمرارية السلطة الإدريسية على مجال واسع لم تسجل حوله المصادر الإخبارية إلا النزر اليسير. ومع ذلك، يمكن استغلاله للتعريف بهذه الإمارة وتداول السلطة بها.

ويمكن أن يندرج هذا، في الاهتمام بالشمال دون الجنوب، إلا ما فرض بواقع الحال على منطق الأحداث المؤثرة في مصير البلاد الناتج عن هذا التقسيم الذي أضر بوحدتها، ولم يدعم تماسكها كثيرا.

---

[1] - أبو عبيد البكري، **المسالك والممالك**، تحقيق فن لوفن وأندري فيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992،ج2، ص 842.

[2] - ابن القاضي أحمد المكناسي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس**، الرباط، 1974، ج2، ص 454.



هذا التقسيم نفسه يطرح حوله العديد من التساؤلات، فعلى أي أساس كان؟ ولماذا اختير عبد الله لإمارة غمات وأقاليم الجنوب؟ فوقع نصيبه من التقسيم في الجانب الصحراوي من بلاد المغرب. وهذا لا يمكن بحال، أن نعتبره مجرد صدفة طارئة.

ولما صارت الغلبة لبني عبيد على أرض المغرب. أقاموا بني يفرن بتلمسان ومغراوة بفاس وسلا وغمات وتادلا وسيطرت مكناسة على تاهرت وسجلماسة وتازة. وبقي الغموض مسيطرا على مدى الخضوع الذي كانت تسيطر به هذه الدولة الشيعية على مركز غمات بصفتها مدينة التجهز إلى الصحراء؟ وما مدى تأثر أهل المدينة من العامة بخطاب الشيعة المذهبي، الذين كان لهم وجود بالجنوب المغربي بِرُودَانَةَ وينسبون إلى الشيعة البجلية من أتباع البجلي وموسوية ابن وَرْصَنْد؟

والراجح، أن ساحة المدينة غمات لم تنج من الخلاف المذهبي الذي لوحظ في المساجد أثناء إقامة الصلاة، إذ كانت كل فرقة تصلي وحدها لما يتنازع حوله من فروع بين السنة والشيعة، وسهل ظهور هذا الخلاف بين أبناء أهل غمات حين دخل المهدي بن تومرت واقعها الديني والسياسي، حيث انقسم أهلها فرقتين بين مؤيد ومعارض له.

وعم نفوذ مغراوة مجالا واسعا من بلاد المغرب، بحكم السطوة والنفوذ التي مكنت منها، وصارت لها الكلمة العليا في المرحلة الزناتية لسعة المجال المسيطر عليه للشيعة وخدمتهم لمشروعها.

وأخبر ابن حوقل بالمجهود الذي قام به أبو عبد الله الداعي، لتبديل عدد من الأخلاق المشينة لدى أكثر بربر المغرب الذي جعل امتداد مناطقهم فيما بين "سجلماسة إلى السوس، وغمات وفاس إلى نواحي تاهرت وإلى تنس والمسيلة وبسكرة وطبنة وباغاي إلى اكربال وأزقور ونواحي بونة إلى مدينة قسطنطينية الهواء وكتامة ومليلة وسطيف"[1].

وهذه المناطق بهذا التحديد لا تعدو أن تكون جهات ومراكز حضرية ذات أهمية، وما بينها بادية لا يعنى به إلا عند الحاجة. فأهل هذه المناطق، "قد جاهدهم عبد الله الداعي على ذلك الخلق السيئ إلى أن بلغ بهم كل مبلغ فما تركوه."[2] وإلى جوار هذه المجاهدة لظاهرة الأخلاق الفاسدة نجده فيما بعد يشير إلى أعمال ذات بال من التجارة وحسن المعاملة تتجاوز ما

---

[1] – ابن حوقل، صورة الأرض، ليدن، 1938، ص90.

[2] – ابن حوقل، صورة الأرض، ص90.

يمكن أن يشين خلقهم، "مع تجارة غير منقطعة منها إلى بلد السودان وسائر البلدان، وأرباح متوافرة متقاطرة وسيادة في الأفعال وحسن كمال في الأخلاق والأعمال يخرجون برسومهم عن دقة أهل المغرب في معاملاتهم وعاداتهم إلى عمل بالظاهر كثير وتقدم في أفعال الخير شهير وحنو بعض على بعض من جهة المروءة والفتوة"[1] .

وانتقل للحديث عن تداول السلطة عندهم موضحا ذلك بقوله: "وأطرحوها رياسة وسماحة وكرم سجية تختصهم وأدب نفوس، وُقِفَ عليهم بكثرة أسفارهم وطول تغربهم عن ديارهم وتغربهم عن أوطانهم"[2].

وكان دخوله لها سنة 340 هجرية/ 951 ميلادية، وصرح بذلك في قوله: "ودخلتها في سنة أربعين. فلم أر بالمغرب أكثر مشايخ في حسن سمت وممازجة العلم وأهله إلى سعة نفوس عالية وهمم سامقة سامية وسائر أرباب المدن دونهم في اليسار وسعة الحال وتتقارب بالعصبية أوصافهم وتتشاكل أحوالهم."[3] وهنا فيما نعتقد، لا مجال لعوامل التنازع وأطراف الاضطراب، ما دامت هذه الأوصاف متمثلة في أهلها، وقد ناقضت ما وصف به أهل غمات من أخلاق فاسدة، ما دامت المروءة والفتوة فيما بينهم دفاعا وحلما وكرما. وهذا ما لا نتصوره في مجتمع تحكمه النعرات العصبية والدينية، وعناصره غير متجانسة. وإن كانت الحاجة هي المتحكمة في هذه العلاقة المجتمعية كانت نتيجتها رياسة وسماحة وكرم سجية، وهذا ما توافق مع رواية البكري الذي يقول فيها: "وكانت إمرة أهل غمات دولا بينهم يتولى الرجل سنة ثم يُدِيلونه بآخر منهم عن تراض واتفاق. كذلك ذكر محمد بن يوسف القيرواني"[4] .

وركز ابن حوقل في كلامه حول أمور دقيقة تهم الوضع العام للمنطقة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي الذي ساد فيه التنازع بين العديد من القوى الراغبة في السيطرة على أرض المغرب. وكان في عبارته القائلة، "واطرحوها رياسة وسماحة وكرم سجية، بكثرة أسفارهم، وطول تغربهم عن ديارهم" مما يؤكد اهتمامهم البالغ بالتجارة والأسفار وطرح أمور التدبير السياسية جانبا. وكذا الدفاع عن المدينة. ثم صار الأمر بين أهل المدينة دُوَلا بينهم إلى أن

---

[1] – ابن حوقل، صورة الأرض، ص91.

[2] – ابن حوقل، صورة الأرض، ص91.

[3] – ابن حوقل، صورة الأرض، ص91.

[4] – البكري، المسالك والممالك، ج 2، ص843.

تغلب عليهم المغراويون من بني يفرن. وبعد ذلك، وصلها المرابطون وتغلبوا على أهلها وكانت المدينة تحت إمرة لقوط المغراوي.

وهذا التداول، يجعلنا نتساءل عن الدوافع الكامنة وراءه. فهل كان يتم بين أهم العناصر القبلية في هذا المجال التي تتحكم فيه كل من أوريكة وهيلانة فقط؟ أم أنه كان يتم بين أهم العناصر التي كانت موجودة بها من يهود ونصارى البربر والروم والقبائل المستقرة بها وهي أوريكة وهزميرة وهيلانة؟ وما هي الضوابط التي كانت تسمح بتحديد الفترة التي كانت تتم فيها هذه الإمارة الانتخابية لمدة سنة؟ وما واقع الخلاف الحاصل بين الموسوية من أصحاب ابن ورصند الغالب عليهم جفاء الطبع وعدم الرقة، والفرقة الأخرى وهي مالكية حشوية وبينهم القتال الدائم. وبعد انصرام الوقت، لم يتمكن ياقوت الحموي من معرفة أحوال المدينة وهو يقول:"ولا ندري إذن كيف هي؟"[1] وقد اعتمد رواية ابن حوقل لوصف القتال الدائم بين المالكية الحشوية والفرقة الأخرى التي حلت بالمدينة حين زارها حوالي منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

وتتوافق هذه الروايات السالف ذكرها وما ساقه ابن عذاري على لسان ابن ياسين في بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وهو يصف اجتماعه بقبائل وريكة وهيلانة وهزميرة، أي قبائل المجال الأغماتي، فطاف عليهم وعلى قبائل المصامدة وبلاد تامسنا فوجدهم على ما تركهم فيه من فتنة ألفها فيهم، فهو إذن قد ألف هذه الفتنة؛ إذ كان قد مر من أرضهم فيما سبق. ولما أعاد الكرة رأى واقع الأمر مألوفا لديه، مع عدم التحول عما كانوا عليه: فقال لهم: "ألا تعرفون أنه من مات منكم في هذه الحروب الجاهلية فإنه من أهل النار."[2] ومع ذلك فقد وعظهم وحثهم على أن يتركوا القتل وأن يقدموا على أنفسهم من يؤلفهم[3] .

ونلاحظ أن في هذا ما يعارض قول ابن حوقل الذي أكد فيه وجود: "رياسة، وسماحة، وتتقارب بالعصبية أوصافهم، وتتشاكل أحوالهم."[4] وكان هذا في القرن الرابع الهجري. أما مع بداية القرن الخامس الهجري حين مر بهم عبد الله بن ياسين وهو يريد رباط أكلو حيث يرابط

---

[1] – ياقوت بن عبد الله الحموي، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1957، ج1، ص 225.

[2] – ابن عذاري أحمد بن محمد المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1998، ج 4، ص 15.

[3] – ابن عذاري، **البيان**، ج 4، ص 15.

[4] – ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص 91.

وجج بن زلو اللمطي، كان جواب القوم "ما هو فينا، ولا في قبائلنا إلا كل قبيلة منا ترىٰ أن يكون الأمير منها."[1] فتركز الفتنة في المغرب في هذه المرحلة العصيبة من تاريخ المغرب التي تعتبر سهلا ممتنعا، بذلت حوله آراء لم تكن فاصلة وواضحة للحسم في العديد من قضايا المرحلة، وعلى رأسها المسألة البرغواطية، وقضية انحسار المعمار في بلاد المصامدة، والاختلاف حول المذاهب العقدية السائدة في هذا المجال، الواجب دراستها ضمن البحث في التاريخ الثقافي للمغرب.

وحين الحديث عن الشيخ أبو محمد بن تيسيبت بغمات الذي انتدب ثلاثة من تلامذته لقتال برغواطة باعتماد الرباطات للتجمع والانطلاق لمواجهة هذه النحلة التي وصفها ابن الزيات بالكفر في قوله: "وكان يقاتل كفار برغواطة الموسومين بالانحراف، وكان ذلك في قرابة نهاية المائة الرابعة للهجرة"[2].

فهذا مجمل ما أمكن إيراده من أوضاع عامة للمنطقة طبعها الاختزال والاختصار. لأن هذه الفترة الزمنية طويلة جدا وأحداثها متداخلة والروايات التاريخية غير واضحة في مقاصدها. فينظر لهذه الأحداث على أنها متداولة ومعروفة لدىٰ كل من تناول الحديث عن المغرب في هذه القرون الأولى من الفتح الإسلامي لبلاد المغرب. إلا أن الضرورة المنهجية اقتضت انتقاء كل ما اعتبر صالحا لخدمة الموضوع للكشف عن بعض الجوانب التي اعتبرت ثانوية في بعض الأبحاث، وتم التركيز عليها الآن لأهميتها بالنسبة للموضوع. ومنها الفتوىٰ التي خص بها الونشريسي بلاد المصامدة في زمانه. وهي مستخلصة من الإجابة عن سؤال تعلق بأهل بلاد المصامدة الذين لم يكن عندهم سلطان يقيم الحدود على السراق وشربة الخمر من أهل الفساد. وكان السؤال هو: "فهل لعدول ذلك الموضع وفقهائه أن يقيموا الحدود إن لم يكن عليهم وازع السلطان؟"[3] فأخبرهم عن ذلك بقوله: "وأهل العلم يقومون في جميع ذلك مقام السلطان."[4] وهذه الفتوىٰ تقوم بتعويض الفراغ السياسي لممارسة السلطة وتحولها للفقهاء وأهل

---

[1] - ابن عذاري، **البيان**، ج 4، ص 15.

[2] - ابن الزيات أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، **التشوف إلى رجال التصوف**، تحقيق أحمد التوفيق، الدار البيضاء، 1984، ص 51/ 52.

[3] - الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحيى، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف ذ. محمد حجي، بيروت، 1981، ج10، ص 102.

[4] - الونشريسي، **المعيار**، ج10، ص 102.

العلم ولعل هذا مما مورس في فترات الغياب التي شهدتها مدينة غمات، وإن كان الواقع أشد تعقيدا وأكثر غموضا مما تطرحه إجابة الفتوى.

ونختم قولنا هذا بما اقترحه عبد الله بن ياسين على قبائل المنطقة وهم محتاجون لأمير: "إن أنتم سمعتم مني أدلكم على رأي صالح يصلح الله به أحوالكم، هذا أمير لمتونة الصحراء أهل الزهد والورع."[1] وكانوا قد سمعوا به يضيف ابن عذاري ليصير لهم أميرا.[2] ورغبتهم في ذلك جعلتهم يتقبلونه لحسم الخلاف الدائر فيما بينهم. فصارت لهم زعامة خارجية عن نطاق عصبيتهم، تحدثت المصادر عنها ضمن فترة الحصار الأولى لمدينة غمات حيث نزل المرابطون بساحتها لتعرف تحولات سياسية جديدة جعلت من المدينة غمات عاصمة للدولة الفتية منذ حوالي سنة 437 هجرية. حيث كانت منطلق العمليات العسكرية المرابطية في اتجاه المغرب الشمالي لإخضاعه، ولمحاربة البرغواطيين أصحاب النحلة الضالة في اعتقادهم..

إن استقرار المرابطين بمدينة غمات وهي قصبة بلاد المصامدة. دعم فكرتهم السياسية والعقدية الهادفة إلى إنشاء دولة قوية. وظهر هذا جليا من خلال تشبثهم بفكرة محاربة الكفر والدفاع عن المسلمين ضد أعدائهم، بتركيز العقيدة الصحيحة في كل مكان من أرجاء الدولة الناشئة.

وفي هذا الإطار، اعتبر الأستاذ محمد زنيبر. وجود المرابطين بالمنطقة وجودا طارئا لا ينظر إليه المصامدة سكان الجبل والحوز بعين الارتياح، وهم في البداية اتخذوا عاصمة جاهزة لتسيير تحركاتهم قبل الاختصاص بمكان يركزون فيه أمور دولتهم، ويديرون من خلاله دفة الحكم الذي قضى على عصر الإمارة المحصورة في مراكز حضرية محدودة التأثير إلى إنشاء الدولة ذات الأفق الواسع والنفوذ القوي.[3] لأن دخول المرابطين إلى مدينة غمات لم يكن بسبب فتنة أو ضرورة اقتضت تدخلهم، لأن هذه الفترة عرفت الرخاء والاستقرار،[4] مما ساعد الأمراء على البناء والتشييد، والتعمير، وتنشيط الأعمال التجارية والفلاحية والصناعية. وانعكس هذا على عامل الاتصال بين أطراف العدوتين واستغلال المراكز الحضرية ذات المواقع المهمة. وحقق هذا على ما

---

[1] – ابن عذاري، **البيان**، ج 4، ص 15.

[2] – ابن عذاري، **البيان**، ج 4، ص 15.

[3] – محمد زنيبر، **الخلفية الاجتماعية والثقافية لحركة المهدي بن تومرت**، المناهل، ع 24، الربط، 1982، ص 137.

[4] – عبد الوهاب بن منصور، **قبائل المغرب**، المطبعة الملكية، الرباط، 1968، ج 1، ص 122.

يبدو ظاهريا الاندماج بين القبائل، والعناصر الطارئة الظهور بالمنطقة، ولو على مستوى محدود في مجال المدينة غمات. وكان عبد الله بن ياسين يرتب العمال في كل البلاد التي يحل بها ويأمر بإقامة العدل، وإظهار السنة. وأخذ الزكاة والعشر من القبائل. وإسقاط ما سوى ذلك من المغارم.

إن الأوضاع العامة التي عاشها المرابطون بمدينة غمات لمدة ستة أشهر الأولى التي قضاها قادتهم بها، تسجل تغيرا على مستوى الأوضاع الاجتماعية البارزة التي همت علية القوم وكبرائه، لأن العامة كانت محكومة بأوامر الشيوخ لذا لم يهتم لأمرها كثيرا.

فبعد ثلاثة أشهر من استقرار المرابطين بغمات، خرجوا لغزو برغواطة؛ عاقدين العزم على القضاء عليهم. فكان نزال صعب بين الطرفين قتل فيه العديد من الرجال وضع بسببه الكثير من المال. وشكلت النحلة البرغواطية هاجسا قويا لدى عبد الله بن ياسين الذي عقد العزم على القضاء عليها، وهو لا يدري أنها ستودي بحياته.

أدى طول مكث المرابطين بمدينة غمات إلى الدخول في دوامة حياة جديدة، مِلؤُها الميل إلى الاستمتاع بما لذ وطاب بما لم يألفوه في البادية وحياة الترحال. وسيرا على نهج الإقتداء بالأمير فقد اتخذ المرابطون بما يتسرون به من الزيجات كما فعل أبو بكر بن عمر اللمتوني الذي تزوج من زينب النفزاوية الموسومة بكل ما يرغب في النساء البربريات. وقد قيل عنه الكثير حول جماله وصفاتها الأخلاقية ونباهتها السياسية. فهذا الزواج الذي حمل أكثر من دلالة سياسية واجتماعية جعل العديد من المصادر تركز القول حول هذا الحدث الذي خلف فيه الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني، أمير غمات لقوط المغراوي، وكان قد حكم غمات، وسلطتها بيد هذه المرأة التي وصفت بما لم يكن لامرأة بالمنطقة حظ فيه.

وجرت الأحداث بسرعة لم تمهل الأمير أن يهنأ بزواجه في غمات. إذ لم تتجوز هذه المدة ستة أشهر حتى استدعي للذهاب إلى الصحراء لحل ما وقع من نزاع نشب فيها بين ما بقي فيها من القبائل الصنهاجية. وعلى إثر هذا الخبر المفاجئ قرر العودة إلى الصحراء، فكان عليه أن يتنازل عن كل أمنة اعتبرها ثقيلة، أو ستثقل كاهله في غيابه عن غمات. فترك الخلافة في الأمر على المغرب ليوسف بن تاشفين، وطلق زينب زوجته وأمر ابن عمه يوسف بالزواج بها. وهذا أمر غريب، يصعب التعليق عليه. وذلك، لغياب ما يساعد على فهم هذا الوضع. لأنه ميثاق غليظ، ومليء بالخصوصيت التي لا يمكن أن تتجاوز معرفتها إلا الشخصيات الثلاث المعنية به، وهم: أبو بكر وزينب ويوسف.

هذا التنازل السخي الكريم من أبي بكر نموذج لصورة من صور التداول السياسي للسلطة بطريقة أخرى لم يعرفها واقع دولة ناشئة في تاريخها؛ إلا ما وقع بين أبي بكر بن عمر، وابن عمه يوسف بن تاشفين. وقد صورت الروايات التاريخية التنازل عن الزوجة بالشفقة عليها من تعب السفر وشظف العيش وقساوته في أرض لمتونة بالصحراء. ألم يكن يعلم بأن زواج يوسف منها، لم يكن ليسمح لأبي بكر بالتزوج بها مرة أخرى؟ لأن هذا يعتبر نكاح التحليل، وهو غير جائز شرعا إذا أمر يوسف بتطليقها مقابل أن يتزوج بها أبو بكر مرة أخرى.

فكان هذا التنازل أو الاستخلاف إيذانا بتغير الأوضاع المستقبلية التي دشنها أبو بكر بإمرته للمدينة، حيث وفدت عليه الوفود فبايعته؛ وأقام بغمات مع إمامه مدة من ستة أشهر. فلما كان شهر ذي القعدة من سنة 450 هجرية/ 1058 ميلادية. انصرف عنه إمامه أبو محمد عبد الله ابن ياسين، حسب تعبير عبد الله عنان[1] إلى بلد تامسنا دون أبي بكر لمنازلة برغواطة. فقتله البورغواطيون سنة 451 هجرية/ 1059 ميلادية.

وتقول المصادر بأن أبا بكر لبث بضعة أشهر بعد الحادث الذي أودى بحياة ابن ياسين الذي خرج للحرب مخلفا إياه على غمات منذ استقرار المرابطين بها. وفي شهر ذي القعدة أيضا من سنة 453 هجرية/ 1061 ميلادية؛ خرج أبو بكر في جيشه إلى الصحراء بعد أن اخترق بلاد تادلا وسجلماسة ثم صار جنوبا إلى الصحراء. وهذا يدعو للتساؤل حول الأسباب التي أدت إلى المرور عبر هذا الطريق الذي يربط تادلا بسجلماسة بدلا من التوجه من غمات إلى سجلماسة مباشرة؟ لكن قبل هذا نجد يوسف القائد العسكري يواصل الجهاد ضد بورغواطة بعد أن حشد جميع قواته المتمركزة في غمات حتى أذعنوا له. وإن كان في كلمة "أذعنوا"، نوعا من المبالغة القاضية بتصفية برغواطة والقضاء عليهم. وفي هذا القضاء، الحد من محاولاتهم المتكررة عسكريا، دون القضاء على سكان المنطقة الخاضعة لهم. بدليل استمرار الحياة فيها ووجود من تحدث عنهم، ومجابهتهم للموحدين فيها بعد. إلا أن التخفيف من حماسهم وكسر شوكتهم، ساعد على انحصار نشاطهم، ونبذ العديد من تقاليدهم الوثنية المثيرة.

تحققت بذلك للمرابطين السيطرة على أموال عديدة كغنائم قسمت بينهم. وأصبح غناهم يزداد. وباتت طباعهم تتحول تدريجيا بالاستئناس إلى الواقع الجديد الذي وفرته لهم مدينة غمات وباديتها التي رجع إليها يوسف بن تاشفين، وأقام بها حتى شهر صفر من سنة 452

[1] – محمد عبد الله عنان ، **دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، القاهرة، 1960، ص 298.

هجرية/ 1060 ميلادية، حيث خرج في حملة جديدة إلى مناطق المغرب الأقصى الشمالية، ليفتح بلاد فازاز ومكناسة، وسائر الأراضي الواقعة تحت النفوذ الزناتي. وتم اعتبار هذه السنوات مرحلة للتوسع في المغرب الشمالي انطلاقا من مدينة غمات.

وبموت عبد الله بن ياسين، انتقلت الزعامة الدينية لأبي بكر، وأصبح بذلك الرجل الأول في غمات. ونظرا لمكانة زينب في أهلها وقومها. كانت متصدرة للأخبار المتناقلة بين الرواة والإخباريين. وتألق نجم هذه المرأة المميزة عاليا، كونها السيدة الأولى في المجتمع الأغماتي؛ حيث عاشت مرحلة المشيخة بمدينة غمات، وهي زوجة يوسف بن علي بن عبد الرحمن بن وطاس شيخ وريكة. وبعد ذلك صارت زوجة للأمير لقوط بن يوسف بن علي المغراوي أمير غمات، وهي مرحلة الإمارة. ثم اختار أبو بكر بن عمر القِرَان بها، فصارت زوجته بحكم موقعه السياسي ومكانته في التنظيم المرابطي.

إن حَزم هذه المرأة، وكونها مبادرة لدرايتها بالأمور الوقتية، جعلها القائمة بشأن زوجها وهي العالمة بلسن قومها، والخبيرة بشؤون المنطقة. وبحكم هذه الخبرة أضحت مستشرة أولى للأمير الزوج الذي لا يتردد في إتباع ما تشير به عند الضرورة.

وخلال هذه السنوات التي قضاها المرابطون بغمات. كانت الأوضاع الاجتماعية تتأزم تدريجيا. أولا من الناحية العددية، حيث عرفت المدينة زيادة غير متوقعة في عدد سكنها، واضطرت شيوخ المدينة إلى الشكوى المتكررة من ذلك إلى الأمير أبي بكر.

تحدث ابن عذاري عن هذا الوضع بقوله: "ضاق الجمع بمدينة غمات وريكة عن الخلق فيها، فشك أشياخ وريكة وهيلانة بذلك إلى الأمير أبي بكر بن عمر مرة بعد أخرى، إلى أن قال لهم: عينوا لنا موضعا أبني فيه مدينة."[1] فهو من خلال هذا الكلام يركز على حال غمات وريكة دون هيلانة. ويقول بان الشكوى من أشياخ المدينتين مما يوحي باستقرار الزعمتين في مدينة وريكة. واعتبار مدينة غمات أيلان كملحقة لها لا تتوفر على نفس أهمية مدينة أوريكة.

فسكنى أبي بكر وإخوانه من لمتونة -والمرابطين عموما- كن بالأخبية على العادة الصحراوية خارج سور المدينة. لأنهم لم يستأنسوا بعد بالمنازل المبنية بالطوب أو الآجور والطين. ولما ابتَنَى أبو بكر بزوجه زينب. انتقل من سكناه بخارج المدينة إلى داخلها. وبفعل

---

[1] - ابن عذارى، **البيان**، ج4، ص 19.

انتقال الأمير بسكناه إلى داخل المدينة زاد الخلق بغمات بفعل تقليد الأمير. فكثر الضغط والهرج والمرج والشكوى. وعليه، تم اختيار أشياخ هيلانة وهزميرة، دون أشياخ وريكة على أن يعينوا موضعا حيث يكون بناء المدينة المرتقبة.

نشب عن هذا الاختيار خلاف فيما بين القبيلتين، لما كان بينهما من الفتنة حتى نزول المرابطين بساحتهم، وبقي تصدر الزعامة حاضرا حتى أثناء اختيار موقع مدينة لن يكون لهم الاستقرار بها إلا كأفراد من الرعية. وهم يتوفرون على مدينتيهم إيلان جارة وريكة، حيث كان تداول السلطة سجية، ومداولة الإمارة سماحة بينهم.

فاجتمع أشياخ قبائل المصامدة وغيرهم، إذ لم يقتصر حل النزاع على الأطراف المتنازعة، بل اشتركت فيه أطراف أخرى ساهمت في حل الأزمة؛ "فوقع تدبيرهم على أن يكون موقع تلك المدينة بين بلاد هيلانة وبلاد هزميرة فعرفوا بذلك أميرهم أبا بكر بن عمر وقالوا له: قد نظرنا لك موضع صحراء لا أنيس به إلا الغزلان والنعام ولا تنبت إلا السدر والحنظل."[1] ولم يقبل أن "تكون المدينة على واد تانسيفت فامتنع لهم من ذلك."[2] لأنه لا يصلح لمواشيهم وسكناهم بالقرب منه لخوف الفيض، وقد عبر عن ذلك أصحاب الرأي من المرابطين بقولهم: "نحن من أهل الصحراء ومواشينا معنا لا يصلح لنا السكنى على الوادي."[3] فكان لهذا الاختيار أسباب ودواعي رغم طابعها الصحراوي. ولكي "يكون وادي نفيس جنانها، ودكالة فدانها، وزمام جبل درن بيد أميرها طول زمانها. فركب الأمير أبو بكر في عسكره مع أشياخ القبائل فمشوا معه إلى فحص مراكش وهو خلاء لا أنيس به فقالوا له: ابن هنا مدينة تكون متوسطة بين هيلانة وهزميرة."[4] وفي سياق عرض هذه الميزات الخاصة بموقع المدينة؛ يورد النويري القصد من اختيار موضع مراكش، "وهو قاع صفصف لا عمارة فيه، وهو صقع متوسط في مملكة بلاد المغرب كالقيروان من بلاد إفريقية تحت جبال المصامدة الذين هم أشد أهل المغرب قوة وأمنعهم معقلا"[5].

والخلاصة التي يمكن استنتاجها من هذه المعطيات، التي على أساسها تم اختيار موقع مراكش، على الرغم من أن هذا الاسم لم تعرف به المدينة إلا فيما بعد، لأن يوسف جعل منها

---

[1] – ابن عذارى، **البيان**، ج4، ص 19.

[2] – ابن عذارى، **البيان**، ج4، ص 19.

[3] – النويري أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب من فنون الأدب، تحقيق، مصطفى أبو ضيف أحمد، الدار البيضاء، 1985، ص 383.

[4] – ابن عذارى، **البيان**،ج 4، ص 19.

[5] – النويري، **نهاية الأرب**، ص 383.

نزلا لعسكره ومكانا للتمرس بقبائل المصامدة، المضيفة لهم بمواطنهم في جبل درن، فلم يكن في قبائل المغرب أشد منهم بأسا، ولا أكثر جمعا. فصرف عزمه لمطالبة مغراوة وقبائل زناتة بالمغرب. وجذب الحبل من أيدهم، وكشف ما حل بالرعايا من جور على حد تعبير ابن خلدون في العبر.[1] وحتى سنة 461 هجرية/ 1068م لازال بناء مراكش لم يتم بعد، حسب رواية ابن عذاري[2] الذي يخبر بأن "أبا بكر بن عمر بعث عسكرا كبيرا قَدَّم عليه ابن عمه يوسف بن تاشفين وبعث معه جملة من أشياخ لمتونة ومن قبائل البربر والمصامدة وغيرهم وذلك برسم قتال رؤساء القبائل القاطنين بأرض المغرب."[3] وكان أكبرهم شوكة بنو يفرن الزناتيين المستوطنين قلعة مهدي ابن تَابَلاَ. ومكث أبو بكر بغمات الذي كانت من نصيبه أميرة المدينة الموسومة بالجمال والمال، وكان لها "محاسن وخصال محمودة وروية مستظرفة"[4] حسب تعبير ابن عذارى، وهو ما جعل أبا بكر يركن إلى جوارها.

لكن سكوت المصادر عن واقع هذا التخلف وعدم الخروج إلى الجهاد، إما لتركيز حكمهم بغمات. أو للتخطيط لما يستقبل من الأيام حيث لم يستمر طويلا بعد اختيار موضع البناء الذي ستكون فيه مراكش. وبعد توالي شكاوي شيوخ القبائل المصمودية جاءه من يخبره من لمتونة بالصحراء أنهم تعرضوا لغارات كَدالة التي على إثرها فكر أبو بكر بالعودة إلى الصحراء بعد هذه المدة القصيرة التي قضاها ينعم بما حبا الله به مدينة غمات في سني الرخاء دون مجاعة ولا قحط، رغم الازدحام المنبئ بكثرة الاستهلاك والمضايقات لما يمكن أن يحدث من جراء الصدام اليومي في إطار المعاملات التي يفرضها منطق التكافل والتعايش، في ذات المجال الواحد والنطاق الحضري المحصور امتداده بالسور.

نجد كلا من ابن عذاري وصاحب الحلل يؤخران بناء مدينة مراكش إلى سنة 462 هجرية / 1069 ميلادية.[5] وهما بذلك يؤجلان خروج المرابطين من المدينة غمات، ويطيلا مدة

---

[1] – عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، 1959، ج6، ص 378.

[2] – ابن عذارى، البيان، ج4، ص 18.

[3] – ابن عذارى، البيان، ج4، ص 18.

[4] – ابن عذارى، البيان، ج4، ص 18.

[5] – مؤلف أندلسي مجهول (عاش في القرن الثامن الهجري)، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق، سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، 1979، ص16. ابن عذارى، البيان، ص 4، ص 19.

إقامتهم بها منذ سنة 449 هجرية/ 1050م، إلى سنة 462 هجرية / 1069ميلادية. حيث ركب الأمير أبو بكر بن عمر ومن معه من قومه الملثمين، وأشياخ المصامدة ووجوه الناس. وساروا معه إلى فحص مراكش وهو خلاء لا أنيس به إلا الغزلان والنعام، ولا ينبت إلا السدر والحنظل؛ "فانتقلوا إلى تلك الرحبة، فوجدوا في فحصها من المسرح الخصيب للجمال والدواب ما يرضيهم. وهذا ما يؤكد طبيعتهم الصحراوية المتأثرة بطبيعة الترحال ما غبطهم بها. وشرع الناس في بناء الدور من غير تسوير عليها."[1] وهذا، يظهر تحولا في الفكر المرابطي وأخلاقهم الاجتماعية. إذ شرعوا في بناء الدور وتخلوا عن التفكير في الأخبية التي لا زالت مضروبة خارج أسوار غمات.

وقال ابن عذاري بعد هذا التفصيل الذي أتى به صاحب الحلل: "كان الأمير أبو بكر بن عمر قاعدا على السور والفعلة أمامه يعملون في السور وفي غيره، إلى أن وقف عليه رجل راكب على فرس أشعث يخبره بأن كدالة ثارت على إخوتك"[2] وتشكل في هذا الخبر من المبررات ما دعا أبا بكر إلى السفر من أجل النجدة. وقد تحقق له من الوسائل المادية ما يسرع به إلى إخوته لنصرتهم، فكانت العودة إلى الصحراء. وبقي بناء مراكش في بدايته، وحال غمات يميل إلى الانفراج من جراء الإكتضاض والازدحام الذي خلقه المرابطون بها.

ونعتبر هذه هي المرحلة التالية التي بدأت منذ انسحاب أبي بكر بن عمر إلى الصحراء، واستخلاف يوسف على "الملك" بغمات والإشراف على البناء بمراكش. وبما أن ابن عذاري[3] لم يغفل وضع زينب وزواجها من أبي بكر الذي ارتأى أن يطلقها، وقيل: إنها هي التي طلبت الطلاق منه فأسعفها بذلك. فبدت الأمور تجري نحو مستقر لها بسرعة لم يكن يتوقعها أحد إلى أن حطت بحجر يوسف بن تاشفين.

وبعد سفر أبي بكر إلى نجدة إخوانه بالجنوب المغربي، تزوجت زينب النفزاوية بيوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن تورجوت، وهي طامعة في تحقيق حلمها، وأن يكون من يتزوجها يملك المغرب كله.[4] واشتغل يوسف ببناء مراكش لحل الأزمة التي تطوق غمات، وليبني بذلك عاصمة للملك جديدة. "فأعانته القبائل في جميع أموره وأحواله، وحبب نفسه إليهم وأفاض

---

[1] – مجهول، **الحلل الموشية**، ص 16.

[2] – ابن عذارى، **البيان**، ج4، ص 20.

[3] – ابن عذارى، **البيان**، ج4، ص 21.

[4] – ابن عذارى، **البيان**، ج4، ص 18.

إحسانه عليهم وكان له من زينب ما لم يكن لغيره من أزواجها السالفين. إذ أخبرته أنه يملك المغرب كله فبسطت آماله، وأصلحت أحواله، وأعطته الأموال الغزيرة فأركب الرجال الكثيرة، وجمع له القبائل أموالا عظيمة فجند الأجناد وأخذ في جمع الجيوش من البربر والاحتشاد بنفسه وبتدبير زوجته زينب في كل يوم مع أمسه، حتى سلك أهل المغرب في قانون الضغط فتأتى من ملكه ما لم يتأت"[1].

استفاد يوسف من خبرته كقائد للجيش، واستفاد من سياسة زوجته وتدبيرها لأموره التي كانت موفقة دائما في سلوك ما يفيد سياسته بتدبير زوجته زينب لأمره "في كل يوم مع أمسه" وكأنها لا تتركه قيد أنملة. وقد عبر ابن عذارى عن ذلك "بقانون الضغط"[2] وهو الحاسم في بناء الدول. إذ أن هذا القانون هو الذي سلكته دولة الموحدين في القضاء على المرابطين قبل غيرهم. وحين الحديث عن سيرة يوسف بن تاشفين نجد من خصال الزهد والتقشف وقوة الشخصية ما ينسجم مع واقع المرحلة التي عين فيها. إذ أصبح سيدا على إقليم مراكش وأخضع له العرب ومغراوة وجعل مقر حكمه في مدينة غمات، وتسمى بأمير المومنين أو ملك المسلمين"[3] فهو يجعله سيدا على إقليم مراكش الذي عاصمته مدينة غمات. واكتسب من السياسة للتقرب إلى الرعية ما لم يفقده مما يتحلى به من الصفات كالتواضع وحسن الخلق وكثرة الحياء وكان جامعا لخلال الفضل برأي ابن القاضي في الجذوة[4].

ونظرا لأهمية الفترة التي قضاها المرابطون بغمات التي شكلت عاصمتهم قبل اتخاذ مراكش عاصمة دعت الضرورة المنهجية لإيراد جدول زمني لأهم المصادر التي اختلفت في سنة تأسيس مراكش وهو بمثابة المرحلة الانتقالية من مدينة غمات إلى مدينة مراكش؛ وإن بقيت مرتبطة بغمات سنوات طويلة لم تستطع أهم شخصية تحدثت عنها المصادر وهي زينب النفزاوية سيدة غمات أن تفارق مدينتها، وظلت قاطنة بها إلى أن توفيت سنة 464 هجرية/ 1071 ميلادية. وبعدها تزوج يوسف امرأة أندلسية تدعى قمر ولا تذكر المصادر عنها أي شيء، والظاهر أن

---

[1] – ابن عذارى، **البيان**، ج4، ص 22.

[2] – ابن عذارى، **البيان**، ج4، ص 22.

[3] – مارمول كربخال، **إفريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد زنيبر وآخرون، الرباط، 1984، ج1، ص 227.

[4] – ابن القاضي، **جذوة الاقتباس**، ج2، ص 454.

سيرة زينب طغت على سيرة نساء يوسف[1] لما كان لها من القيام بأمور الملك والدراية بالسياسة حتى وفاتها التي جاءت متأخرة حسب بعض الروايات عن تاريخ بناء مراكش الذي اعتبره منذ البداية تأسيسا حقيقيا كقاعدة للحكم، ولم يكن كقاعدة عسكرية مؤقتة لمراقبة القبائل المصمودية المجاورة لهم[2].

[1] - سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين، بيروت، 1985، ص 38.

[2] – Deverdun, Marrakech, VI, p 55 /61.

تأسيس مراكش*

(462- 1070)

ليفي- بروفنصال

ترجمة د.أحمد التوفيق

إن الفترة الموافقة لأيام استقرار المرابطين في جنوب المغرب وبداية نشاطهم السياسي بعد أن تجاوزوا المفاوز القفراء من الصحراء الغربية، من الفترات التي تقل معرفتنا عنها بالنسبة لغيرها في تاريخ بلاد المغرب في العصور الوسطى. فترة تقع حوالي منتصف القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي). ذُكرت معالم تاريخها باقتضاب عند الإخباريين مؤلفي النصوص العربية، وعنهم أخذ من أرخ في هذا العصر الحديث لإفريقيا الشمالية، وقد اعتمد هؤلاء المتأخرون اعتماداً أساسيا على ابن خلدون فركنوا دون تشكك أو نقاش لتواريخ الوقائع كما قدمها، علما بأنها هي نفسها، ما عدا في اختلافات نادرة، لا تختلف عن تواريخ الوقائع كما وردت في روض القرطاس.

وهكذا نجد جميع كتب تدريس التاريخ في بلدان المغرب تستند إلى ابن خلدون وابن أبي زرع لتحدد سنة 454 (1062) تاريخا لتأسيس مراكش ولتنسب هذا التأسيس إلى يوسف بن تاشفين، ولو وقع التنبه إلى هذين المعطيين لظهر ما بينهما من قلة الموافقة، فيتحتم، إذا، مراجعة هذا وذاك، ذلك بأن القواعد الأولى لحاضرة الجنوب المغربي الكبرى إنما وضعت بعد مرور ثمان سنوات على هذا التاريخ المُجمَع عليه، كان ذلك على وجه التدقيق يوم 23 رجب من عام 462

*- صدرت هذه الدراسة في الأصل ضمن كتاب: "مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي"، ط 1 الدار البيضاء، 1989، صص 21 – 25، وقد نشر هذا البحث قبل ذلك، ضمن كتاب الأعمال المهداة لجورج مرسي، صص 117 – 120. وهو من الأبحاث الأخيرة، إن لم يكن آخرها بقلم الفقيد ليفي بروفنصال قبل موته بباريس في يوم 24 مارس 1956.

(8 مايو 1070). ولم يكن يوسف بن تاشفين هو صاحب المبادرة في هذا التأسيس وإنما كان هو ابن عمه سالفه الأمير أبو بكر بن عمر.

إن تاريخ 462 (1070) يندرج في سياق من تاريخ المرابطين مختلف اختلافاً محسوساً عن التاريخ الذي تقترحه مجموعة القرطاس- العِبَر، وله على هذا الأخير ميزة إضفاء ترتيب وتتابع أكثر موافقة للمنطق يتحاشى الفجوات الممتدة في الزمن. إن هذا التاريخ تعطيه مجموعة أخرى من الحوليات يرجع تاريخ تأليفها هي أيضاً إلى القرن الثامن (XIVم) ولكنها تستند في أخبارها استناداً مباشراً إلى مصدر معاصر للمرابطين أنفسهم نأسف على ضياعه ألا وهو كتاب المؤرخ الرسمي للدولة، الأندلسي أبي بكر بن الصيرفي. وتتكون هذه المجموعة الثانية من كتاب البيان المغرب لابن عذاري، وكنا قد عثرنا منه على نبذ موسعة تهم عصر المرابطين، ومن كتيب أخبار نجهل مؤلفه وهو كتاب الحلل الموشية، وقد طبع مرتين وترجم مؤخراً إلى اللغة الإسبانية.

وليس في نيتي قط أن أقوم في هذه الصفحات القليلة بمعالجة نقدية مفصلة لمصادر تاريخ المرابطين، ولا أن أتعقب ابن أبي زرع أو ابن خلدون في نقائصهما سيما وأن هذا الأخير لم يفتأ يعتبر، عن تقدير مبالغ فيه بالنسبة لتاريخ المغرب قبل عصر المرينيين، مصدراً أساسياً للأخبار يحظى بالثقة أكثر مما يحظى بها غيره من المصادر. أما المسألة التي تهمنا في الحال، وهي مسألة تاريخ تأسيس مراكش وشخص مؤسسها، فقد كان من السهل حتى ولو لم تستعمل التواريخ الجديدة التي يعطيها البيان المغرب والحلل أن يقع التدليل على أن المعطيات التي تُقُبلت لحد الآن على أنها صائبة يوشك أن يبين وهمها.

إن لدينا في واقع الأمر عن هذه المسألة شهادة لا تناقش قيمتها، شهادة الجغرافي الأندلسي الكبير أبي عبيد البكري، وهو من هو في وثوق الأخبار وجودتها، وإن قد تسرع في مناقشته أحياناً م.ج دوسلان ناشر كتابه ومترجمه عند المقطع الذي نورده أسلفه. إننا نستطيع بالاستناد إلى البكري أن نؤكد أنه في عام 462 (1068) أي بعد مرور ست سنوات على التاريخ الذي زُعم أنه تاريخ تأسيس مراكش، لم يكن يعرف شيء عن هذه المدينة الجديدة سواء في المغرب أو الأندلس. فالبكري يذكر صراحة في النبذة القيمة التي خصصها لتاريخ المرابطين إلى غاية وقت تحرير كتابه المسالك والممالك أن: "أمير المرابطين إلى اليوم وذلك سنة ستين وأربعمائة أبو بكر بن عمر وأمرهم منتشر وغير ملتئم ومقامهم بالصحراء"[1].

---

[1]- طبعة البارون دوسلان، ص: 170 من النص العربي.

فما عسانا نستنتجه من هذا الخبر الجازم الذي لا مجال فيه للارتياب إن لم نستنتج أنه في عام 460 لم تكن مراكش قد تأسست ولا فاس قد فتحت ولا المغرب الأوسط والشرقي قد ناوشته كتائب اللمتونيين، بينما لو أننا ركنا إلى أخبار ابن أبي زرع وابن خلدون لكان علينا أن نسلم بأن سنوات عدة قد انصرفت على خلافة يوسف بن تاشفين لأبي بكر بن عمر في إمارة المرابطين. على بلوغه في غزوه المغرب جهة ملوية وعلى زواجه بالأميرة زينب وتأسيسه للعاصمة الجديدة؟.

لنكتف بهذه الاعتبارات الموجزة ولنتتبع الآن من خلال شواهد البيان ومن خلال شواهد الحلل كمكمل لها، رواية ابن الصيرفي المتميزة بمعاصرتها للأحداث، ومنها يعلم أنه في سنة 461 (1069)[1] وهي السنة الموالية لسنة وضع نبذة البكري عن المرابطين، قرر أبو بكر بن عمر إنشاء قاعدة مرابطية على مقربة من أغمات، وكان قد نزل لتوه بهذه المدينة. فهي تقع عند قدم الأطلس الكبير على بعد حوالي أربعين كلمتراً إلى الجنوب من مراكش على ضفاف مجرى مائي صغير، وكانت تتكون من قريتين كبيرتين متميزتين تفصل الواحدة منهما عن الأخرى أجنة وبساتين، والمسافة بينهما من ألفي متر إلى ثلاثة آلاف متر. وتحمل كل قرية منهما اسم القبيلة المصمودية التي تنتمي إليها: أغمات وريكة وأغمات هيلانة. وبالرغم من كون هذه المدينة واقعة في عمق جهة اعتادت التمرد عن كل نظام فإنها كانت على درجة من الرخاء في القرن الحادي عشر، وكانت حاضرة إمارة صغيرة قائمة على التجارة يتولى تدبير شؤونها شيخ من الشيوخ (أمغار). وكانت، إضافة إلى ما ذكر، مركزاً نشيطا بفضل ترحيب أهلها ببعض من حل بها من فقهاء الأندلس وإفريقية. وقد دخلت أغمات تحت إمرة أبي بكر بن عمر، كما دخل في طاعته المصامدة المستوطنون في الجبال المجاورة، وذلك في عام 450 (1058)، أي قبل بضعة شهور من سقوط عبد الله بن ياسين داعية المرابطين قتيلاً في حرب برغواطة بتامسنا. وفيما بين عام 450 وعام 460 واصل أبو بكر بن عمر غزوه للصحراء وفي اتجاه ساحل المغرب على المحيط الأطلسي. وفي ذي القعدة عام 460 (شتنبر 1068) عاد هذا الأمير اللمتوني إلى أغمات وقد جذبه جمال زينب النفزاوية الشهيرة ذات المواهب السحرية والذكاء الوقاد، كانت تحت شيخ البلد، وهي في أصلها إفريقية، إذ هي كريمة مهاجر من القيروان، وقد تزوجها أبو بكر وأسلم لابن

---

[1] – وفي البيان 1/ 300: وفيها (أي سنة 461) شرع أبو بكر بن عمر اللمتوني في بناء مراكش.

عمه يوسف بن تاشفين الذي يظهر في صدارة الأحداث لأول مرة، قيادة جيش الغزو المتكون من اللمتونيين ومن حلفائهم المصامدة ضد بني يفرن ومن انضم إليهم من زناتة.

وما كان استقرار أبي بكر بن عمر بأغمات، هو ومن معه من غزاة المرابطين المتبقين معه، ليحدث مشكلة لو أنه ظل كما كان في السابق يسكن خيامه. غير أنه قام، بإشارة من زوجته زينب، باحتلال عدد من الدور ليسكنها هو وقومه، فلم يسلم من لوم السكان وتكرار شكواهم، فما كان منه إلا أن أصغى لالتماس شيوخ وريكة وهيلانة، وطلب منهم أن يدلوه على موضع يتأتى له فيه بناء مدينة، وبعد مخابرة ومفاوضة، وكان كل فريق يتمنى أن تقوم المدينة الجديدة في بلاده، انتهوا إلى قرار يقضي بالبحث على الحدود بين القبيلتين: وريكة وهيلانة، عن موقع قفر بعيد عن مجرى الماء ليكون بمنجاة من الفيضان في فصل ارتفاع مستوى مياه الأودية والشعاب.

ولنورد الآن نص البيان المغرب بحرفه حيث يقول: "فعرَّفوا بذلك أميرهم أبا بكر بن عمر وقالوا له: "قد نظرنا لك موضع صحراء لا أنيس به إلا الغزلان والنعام ولا تنبت إلا السدر والحنظل". ثم كان أراد بعضهم أن تكون المدينة على وادي تانسيفت فامتنع لهم من ذلك وقال: "نحن من أهل الصحراء ومواشينا معنا لا يصلح لنا السكن على الوادي" فنظروا له ذلك الموضع لكي يكون وادي نفيس جنانها، ودكالة فدانها، وزمام جبل درن بيد أميرها طول زمانها، فركب الأمير أبو بكر في عسكره مع أشياخ القبائل، فمشوا معه إلى فحص مراكش وهو خلاء لا أنيس به".

وقد تابع ابن عذاري كلامه بقوله: "وفي سنة اثنتين وستين وأربعمائة في الثالث والعشرين لرجب ابتدئ بأساس مراكش وذلك قصر الحجر وشرع الناس في بناء الدور دون السور"[1]، فقام سور قصر الحجر في نحو ثلاثة أشهر واشتغل الناس ببناء الديار، و"أول دار بنيت من ديار لمتونة دار تورزجين بن الحسن الكائنة بموضع أسدال، بناها بالطوب وجددها وهي الآن ظاهرة على المقر بالموضع المذكور إلى وقتنا هذا سنة ست وسبعمائة (07-1306)".

كان العمل متواصلاً في بناء مراكش في العام الموالي وهو عام 463 (71-1070)، وكان الأمير أبو بكر بن عمر قاعدا على السور والفَعَلة أمامه يعملون إلى أن وقف عليه رجل أخبره بأن القبيلة الصحراوية الكبرى كَدالة قد أغارت على لمتونة الصحراء وهزمتهم. فقرر أن يسافر

---

[1] - أثبتنا هنا هذا النص كما ورد في الجزء الرابع من البيان المغرب وهو من تحقيق إحسان عباس، أما الترجمة التي قام بها ليفي بروفنصال لهذه الفقرة على أساس المخطوط فتعتمد قراءة مخالفة وهي: "وشرع الناس في بناء السور دون دَوْر".

بنفسه لقتال المتمردين، وكان قد وصل لتوه يوسف بن تاشفين، فعهد إليه بخلافته، وطلق زينب بطلب منها، فتزوجها يوسف بعد اكتمال العدة وذلك في شعبان عام 463 (مايو 1071). فهل استقر الأمير المرابطي الجديد في مراكش، قبل استئناف الغزو أو اختار سكنى أغمات لكونها ألطف جواً؟ لا يدقق صاحب البيان في هذه النقطة. والذي صح، أنه أمر عام 464 ببناء دار لسك النقود في المدينة الجديدة، وقد كانت مقرا لولده علي بن يوسف عندما خلفه عام 500 (1106) وصارت تشتمل في عهده على مرافق حضرية متكاملة، بينما كانت قبل ذلك مقرا عسكريا قبل كل شيء ليس فيه سوى بناء أوسط مشيد بالحجارة الصغيرة، وليس كباقي البناء من الآجر المطبوخ، وثكنات للحرس من فرسان النصارى وللجنود السود الذين انتظموا مؤخرا في الخدمة وعهد إليهم بحراسة الأمير وحاشيته.

ثم إن مما تجدر ملاحظته كون الأميرين الأندلسيين اللذين نفاهما يوسف بن تاشفين من إسبانيا إلى المغرب وهما عبد الله الزيري صاحب غرناطة والمعتمد بن عباد صاحب إشبيلية، لم ينقلا إلى مراكش، بل نقلا إلى أغمات حيث كان العيش في ذلك العهد ألين والمقام أقل شظفاً، إذ أن ما ينسب للسلطان المرابطي من قسوة في حقهما وما ذُكر من قضاء المعتمد خاصة بقية أيامه في الفاقة والحرمان التام، ضرب من ضروب الخرافة.

وكلمة الختام، أننا نعرف أن مراكش في الأصل لم تكن تسمى مراكش كما رسمت فيما بعد وشكلت، بل كانت تسمى مروكش (بواو في مكان الألف) هكذا نجدها مرتين في مبيضة مذكرات[1] عبد الله بن بلكّين، ولعلها بخط مؤلفها. ولا شك أن التسمية على ذلك النطق قد استمرت عدة قرون. وهكذا، وكما سبق لي التنبيه على ذلك، فإن هذه الصورة الأصلية هي التي اقتبسها الرسم الاسباني Marruecos، ومنه اشتقت أنواع رسم الاسم في اللغات الأوروبية الأخرى. فهل هو اسم مكان بربري يدل على موقع المدينة قبل تأسيسها؟ لا علم لنا بذلك، فهذا على أي حال التفسير المرجح الوحيد لهذا اللفظ الذي وقع تبنيه فيما بعد في الاستعمال الحديث لنعت مجموع البلاد.

---

[1] – عنوانها: التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة وصاحبها هو آخر ملوك الطوائف بغرناطة المعزول عام 483هـ وقد نشر كتابه بعناية ليفي بروفنصال، عام 1955 بالقاهرة.

لَا غَالِبَ إِلَّا اللهُ

مراكش: التأسيس والاسم*

د. أحمد عمالك

د. المصطفى فنيتير

"فنظروا له ذلك الموضع لكي يكون وادي نفيس جنانها، ودكالة فدانها، وزمام جبل دُرَنْ بيد أميرها طول زمانها، فركب الأمير أبو بكر في عسكره مع أشياخ القبائل، فمشوا معه إلى فحص مراكش وهو خلاء لا أنيس به" **.

من الشائع أن تاريخ تأسيس مراكش يرجع إلى سنة 454/ 1026، وأن المؤسس هو يوسف بن تاشفين، وأن معنى اسم مراكش: امش مسرعا، أو مر مسرعا...

ثلاث قضايا كثيرا ما درجت الكتب المدرسية، بل حتى بعض الدراسات الأكاديمية في بلادنا، على قبولها وكأنها مسلمات[1].

لا نثير من جديد هذه القضايا لنحسم فيها، أو نعطي أجوبة نهائية، ولكننا نهدف إلى تعميم بعض النتائج على أوسع نطاق، اعتمادا على استحضار أهم النصوص من المصادر والدراسات ومناقشتها.

---

* – صدرت هذه الدراسة في الأصل ضمن مجلة "أطلس مراكش"، العدد 1 – السنة 1، شتنبر 1993، صص 31 – 45.

**– "ابن عذاري: البيان المغرب. ص. 17"

[1] – انظر مثلا:

A- Laroui: *l'histoire du maghreb- Essai de Synthése* Pte Collection Maspero (149: 1).

1- إشكالات حول تاريخ التأسيس والمؤسس:

يشير البكري إلى أن "أمير المرابطين إلى اليوم وذلك سنة [460] ستين وأربعمائة أبو بكر بن عمر، وأمرهم منتشر وغير ملتئم..."[1]، لا يتعدى ما خصصه البكري لتاريخ المرابطين فقرات منها هذا المقطع المقتضب. وقد عرف المذكور بالدّقة والضبط، فهو المصدر الأقدم والمعاصر لتاريخ المرابطين في أيامهم الأولى[2]، ولا ينبغي بحال ألا نثق فيه ما دمنا لا نتوفر على مصادر أخرى معاصرة. ومن خلال الفقرة المشار إليها يتّضح أن البكري كان يجهل كل شيء عن مراكش، فهو لم يذكرها في كتابه ولو مرة واحدة. فهل يرجع ذلك إلى بطء انتقال خبر تأسيسها، أم إلى تجاهل المؤلف لهذا التأسيس؟

بالنسبة للشطر الأول من السؤال يمكن القول إن المدّة الفاصلة بين التاريخ الشائع (454) والسنة التي يندرج في أثنائها حديث البكري عن المرابطين كافية لوصول الأخبار من المغرب إلى الأندلس. ومما يدعم هذا الرأي حالة عدم الاستقرار، والتطاحن التي ميّزت بلاد الأندلس آنذاك، وخاصة إذا تعلق الأمر بظهور دولة جديدة، والإسلام مهدّد في تلك البلاد المنقسمة على نفسها.

أما الشطر الثاني من التساؤل فرغم أن البكري يبدو متحاملا على المرابطين[3]، فإن تجاهله لتأسيس مراكش غير وارد، لاسيما إذا تعلق الأمر بجغرافي مثله، مع ما عرف به من الدّقة والتثبت، مهما كانت تحفظاته تجاه الدولة الناشئة.

يتضح إذا أن مراكش لم تكن قد تأسست بعد، سنة 460/ 1068. لكن ما سبب شيوع سنة 454/ 1062 تاريخا لتأسيسها؟ لعل ذلك راجع إلى أن كثيرا من الأبحاث والدراسات اعتبرت ابن خلدون أهم مصدر بالنسبة لهذه الحقبة التاريخية[4]. نشير بسرعة إلى أن هذه الهفوة، حتى وإن وقعت فعلا، فإنها لا تقلّل من شأن صاحب كتاب العبر. لكن فيلسوف التاريخ، وناقد المؤرخين القدامى أُخذ مأخذ الثقة المطلقة، وكثر الرجوع إلى مؤلفه حتى صار مصدرا أساسيا.

---

[1] - أبو عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، طبعة دوسلان. ص. 170.

[2] - محمد المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب- الرباط 1983 (1:20).

[3] - البكري. م. س. ص. 164-170.

[4] - ابن خلدون: كتاب العبر... دار الكتاب اللبناني 1983 (11: 377).

ولم يكن ابن خلدون الوحيد الذي ذهب إلى أن تاريخ بناء مراكش كان سنة 454، بل إن ابن أبي زرع قبله، قد ذهب المذهب ذاته[1]، وقبل ابن أبي زرع اعتقد مؤلف الاستبصار أن تأسيسها تم سنة 459/ 1067[2].

وبالمقابل نجد فريقا آخر من الكتاب اعتبروا أن اختطاط موضع مراكش قد تمّ بعد ذلك بزمن غير يسير، يتراوح ما بين عشر سنين وعشرين سنة[3]. لعلّ هؤلاء قد تنّبهوا، أو على الأقل أولهم، إلى الربط بين تاريخ التأسيس والمؤسس. من بين هؤلاء من يرى أن هذا التأسيس قد وقع سنة 470/ 1077، مثل الإدريسي، وياقوت الحموي والحميري... ومنهم من يمدد هذا التاريخ إلى ما بعد، كما هو شأن صاحب مفاخر البربر.

ولنسق – الآن – بعض الأحداث بالتتابع لنستعين بها على توضيح ما نرنو إليه:

1- "في سنة 449/ 1058 غزا عبد الله بن ياسين أغمات... واستولى على بلاد المصامدة سنة خمسين، وقتل ببرغواطة سنة إحدى وخمسين"[4].

2- في سنة 453/ 1061 أتى أبو بكر بن عمر سجلماسة، وفي السنة الموالية خرج منها[5].

3- تصدّر أبو بكر بن عمر للقيادة العسكرية المرابطية فيما بين 451 و460هـ فكان يقوم بغزواته تارة في الصحراء وطورا شمال الأطلس.

4- ظهر يوسف بن تاشفين قائدا في الجيش المرابطي منذ سنة 460/ 1068، إذ احتل صدارة ذلك الجيش.

من خلال مسرد هذه الأحداث يظهر أن نفوذ المرابطين كان لا يزال هشّا في سنة 454/ 1062؛ وهو التاريخ الذي ظنّ كثير من الكتاب وبعض الباحثين، من بعدهم، أنه تاريخ اختطاط مدينة مراكش. ففي السنة نفسها انهزم المرابطون أمام بلكّين الذي طاردتهم جيوشه إلى الصحراء[6]، بل أصيبوا قبل ذلك بنكسة أمام برغواطة حيث قتل زعيمهم الروحي سنة 451. مما

---

[1] – علي بن أبي زرع: **الأنيس المطرب بروض القرطاس**... 1973، ص: 139.

[2] – مجهول: **الاستبصار في عجائب الأمصار**: تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء 1985، ص. 208.

[3] – الإدريسي: **نزهة المشتاق**... (النص الفرنسي)، نشرة أمستردام 1969. ص.77.

[4] – البكري: **المغرب**... م. س. ص. 164، عبد المنعم الحميري: **الروض المعطار**...ص. 46.

[5] – ابن خلكان: **وفيات الأعيان**... 7: 130.

[6] – وقد نقل دوفيردان عن ابن خلدون، *Gaston deverdun: Marrakech des origines*:...63 وكذلك ليفي بروفنصال: **تأسيس مراكش** ضمن الأعمال المهداة لجورج مارسي ترجمة أحمد التوفيق ضمن أعمال ندوة: "**مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي**" 1988، ص. 24.

يجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأن الشروع في تأسيس قاعدة جديدة قد لا يرد آنذاك. بالإضافة إلى ذلك، كان أمير المرابطين، أبو بكر بن عمر لا يزال متنقلا بين الصحراء وشمال الأطلس. وقد استمر على هذه الحال حتى سنة 460/ 1068. وهي السنة التي يذكر البيان المغرب أن الأمور "استقامت فيها للأمير، وطاعت له البلاد ووجّه عمّاله إليها، وكان مستوطنا أغمات"[1]. وفي هذه السنة، كان قد انتقل من جديد إلى شمال الأطلس، فدخل أغمات وبها تزوج من زينب النفزاوية. ولعل هذا مؤشر نفسر به ميله إلى الاستقرار، بعد المجهودات المضنية التي بذلها سابقا، في غزواته المتتالية. ويبدو أنه في هذا السياق سلّم زمام القيادة العسكرية لبن عمه، يوسف بن تاشفين.

لم يكن ذلك الزواج، الذي واكبه نوع من الجنوح إلى "الدعة"، خاليا من مرامي سياسية، الشيء الذي جعل الأمير المرابطي يزمع التّخلي عن بعض عاداته البدوية، ومن أوكدها ترك الخيمة. في هذا السياق تشير عليه تلك الزوجة بالاستقرار وترك حياة الظعن. فقام مع كثير من مقربيه باحتلال عدد من الدور، الشيء الذي جعل سكان أغمات ينزعجون من تلك الممارسات، بل وتتكرّر شكواهم، مما حمل أبا بكر على التفكير في مغادرة المدينة التيضاقت يومئذ بسكّانها. وفي ذلك يقول ابن عذاري:"وفي هذه السنة [أي 461] ضاق المجمع بمدينة أغمات وريكة عن الخلق فيها، فشكا أشياخ وريكة وهيلانة بذلك إلى الأمير أبي بكر بن عمر مرة بعد أخرى..."[2]؛ وهو ما جعل أمير المرابطين ينتدب هؤلاء الشيوخ لتعيين موضع لبناء مدينة جديدة: "حيث قال لهم: عينوا لنا موضعا أبني فيه مدينة إن شاء الله تعالى"[3].

إذن كان زواج أبي بكر، الذي اقترن باستقراره مع كثير من المرابطين بأغمات، وأدى إلى عدم استيعاب كل الطارئين عليها، واستقامة الأمور للأمير المرابطي، وتعدّد شكاوى شيوخ وريكة وهيلانة من جراء ما لاقوه من عنت نتيجة الضيق الذي أصبحت تعيشه المدينة؛ كلّها أسباب وجيهة لإقناعه بتأسيس مدينة جديدة. هذا فضلا عن أننا لا نستبعد الطموح الشخصي، والأنفة البدوية لدى أبي بكر بن عمر، وهي أمور قد تدفعه إلى تنفيذ الفكرة. فهو زعيم سياسي، ولا يرتضي لنفسه أن يحلّ في وسط لا يقبله أهله إلا على مضض. كما أن المنزل الذي نزل به حين زواجه من زينب قد يكون ملكا لها. هذا من جهة.

---

[1] – ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تعليق د. إحسان عباس 4: 19.

[2] – ن.م.س.4: 18.

[3] – ن.م.س: 4: 21.

من جهة أخرى، يبدو أنه لا ضير في أن نقول -مع ليفي بروفنصال- أنه في سنة 460/ 1068 لم يكن يعرف شيء عن مدينة مراكش، سواء في المغرب أو في الأندلس[1]، وقد استنتج ذلك من عدم إشارة أبي عبيد البكري لتلك المدينة، ولو بطرف خفي، مع أنه معاصر لتلك الفترة. وبصدد حديثه عن المرابطين لم يزد على القول "وأمير المرابطين إلى اليوم، وذلك سنة ستين وأربعمائة، [460] أبو بكر بن عمر، وأمرهم منتشر وغير ملتئم، ومقامهم بالصحراء"[2].

لا نستطيع أن نتمادى في التساؤل عن عدم ذكر البكري لمدينة مراكش، لأن ذلك قد يؤدي إلى شك غير منهجي.

كل هذه القرائن تجعلنا نجنح إلى ترجيح رواية ابن عذاري على الرغم من بعده زمنيا عن الفترة. لكن اعتماده على كتاب ابن الصيرفي، وهذا الأخير معاصر لبناء مراكش، يجعل البعد الزمني غير ذي قيمة[3].

2- دوافع اختيار موضع تخطيط مدينة مراكش:

لاشك أن البعثة التي تكونت من أهل الرأي، من بطانة الأمير، ومن أشياخ هيلانة وهزميرة، لتحديد موضع مدينة مراكش، قد ضمت عرفاء القبيلتين، ممن كانوا يعرفون المجال جيدا، ويدركون مرامي الأمير المرابطي. فوقع اختيارهم على موضع يقع بين مجالي هيلانة وهزميرة[4]. ولعله المكان المناسب لاجتناب إثارة أي منافسة أو بغضاء بين القبيلتين. "وذلك لأجل ما تقدم بينهما من الفتنة"[5]. وهنا يبدو أنه لا بأس من التذكير أن دوفيردان قد مال إلى افتراض واد إيسيل حدّا فاصلا بين مجالي القبيلتين؛ ولِمَ لا واد تانسيفت؟[6].

هكذا توافرت في هذا الموضع خصائص قد لا تروق آنذاك إلا الملثمين، كما نستوضحه من جواب الرّواد الذين أنيط بهم تحديد الموضع، حين قالوا مخاطبين أبا بكر بن عمر: "قد نظرنا

---

[1] - ليفي بروفنصال.. م. س. 24.

[2] - البكري.. م.س. ص. 170.

[3] - ليفي بروفنصال.. م.س. ص. 23.

[4] - ابن عذاري: البيان.. م. س.ن. ص. 20.

[5] - 19 - م.س. ن. ص. 18.

[6] - دوفيردان: مراكش.. م. س. ن. ص. 52.

لك موضع صحراء لا أنيس به إلا الغزلان والنّعام ولا تنبت إلا السّدر والحنظل..."[1]. يبدو أن هذا الموضع قد حظي بموافقة أبي بكر بن عمر، حين رفض بناء المدينة على واد تانسيفت، كما يشير إلى ذلك ابن عذاري بقوله:"امتنع لهم عن ذلك وقال: نحن من أهل الصحراء، ومواشينا معنا لا يصلح لنا السكنى على الوادي"[2].

ليس هناك من شك في أن أهل الصحراء كانوا يأنفون من الاستقرار على ضفة الوادي اجتنابا للرطوبة، وما يتصل بالماء من حشرات أيضا تضرّ بالإنسان والمواشي معا. إذن كان اختيار الموضع موفقا إلى حد كبير: بين واد تانسيفت شمالا، وواد إسيل شرقا، وجبل إيغليز في الشمال الغربي. هذا المرتفع الذي يمكن أن يمنح مادة البناء الأساسية: الحجر.

ولم يأت اختيار الموقع اعتباطا، بل لقد استحضر أعضاء البعثة أبعادا أساسية ثلاثة: تجلت في الغذاء والأمن، وما يسمى اليوم ب"الجيوبولتيك"، كما يتضح من قول صاحب البيان المغرب:"فنظروا له ذلك الموضع لكي يكون وادي نفيس جنانَها ودكالة فدانَها، وزمام جبل درن بيد أميرها طول زمانها"[3].

لما توافرت هذه المعطيات الإيجابية في الموضع والموقع، وأعد الأمير للأمر عدته البشرية والمالية، ركب في عسكره مع أشياخ القبائل لوضع آخر اللمسات قبل الشروع في البناء. وهكذا انطلقت أشغال البناء في يوم 23 رجب 462/ 7 ماي 1070، حيث ابتدأ بأساس دور قصر الحجر، الواقع اليوم غرب شمال غربي مسجد الكتبيين. ولعلّ الشروع في بناء السور قد تأخر بالنسبة لانطلاق بناء الدور. وللإشارة فالأمر هنا يتعلق بسور قصر الحجر، لأن ابن عذاري يشير إلى أن الناس شرعوا "في بناء الدور دون سور"، ثم يردف ذلك بقوله:"فقام سور قصر الحجر في نحو ثلاثة أشهر..."؛ "واشتغل الناس فيها ببناء الديار كلّ واحد على قدر جهده واستطاعته"[4]، معنى ذلك أن البناء تم على مستويين:

---

[1] – ابن عذاري.. م. س. ن. ص. 19.

[2] – م.س. ن. ص. 19.

[3] – م.س. ن.ص. 20.

[4] – م.س. ن. ص. 20.

1- تشييد دار الإمارة، أي قصر الحجر، وساهم فيه الجميع، حيث شارك الأشياخ أيضا، و"أعانوا على البناء بالمال والرجال" حسب ابن عذاري[1]، وبفضل أعمال التنقيب التي قام بهاJacques Meunié تم اكتشاف الجزء الجنوبي من السور ويبلغ طوله 218 مترا. وقد استنتج ذلك الباحث أن القصر كان عبارة عن حصن مربع الشكل[2]. وهو ما وصف الحميري قائلا:"وهي الحظيرة التي فيها القصر منفردا متميزا بذاته، والمدينة بخارج هذا القصر"[3].

2- وفي الوقت ذاته بدئ في اختطاط الديار الشخصية، حيث ترك الأمر بحسب طاقة كل مجموعة أو أسرة على حدة.

وعلى الرغم من التفاصيل التي يوردها ابن عذاري، فإنه لم يتعرض للكيفية التي تم بها توزيع البقع على الوافدين مع الأمير المرابطي، إلا أنه يذكر "أن أول دار بنيت بمراكش من ديار لمتونة، دار تورزجين بن الحسن الكائنة بموضع أسدال"[4]؛ لعل الرجل من بين أعيان المرابطين.

كما نستنتج من تضاعيف البيان المغرب أن البنّائين قد استعملوا في البناء الحجر أحيانا، والطوب أخرى[5]. ولم يقتصر ذلك الأخباري على هذه التفاصيل، بل ذكر تفاصيل في غاية الدقة، مما يجعل الباحث يركن إليه. يقول مثلا مشيرا إلى متابعة أبي بكر بن عمر لأشغال البناء:"وفي سنة 463/ 1071 كان الأمير أبو بكر قاعدا على السّور، والفعلة أمامه يعملون في السور وفي غيره..."؛ مما يدلّ على أنّ العمل كان جاريا على ساق الجد، وأن المدينة كانت عبارة عن ورشة؛ تتواصل فيها الأشغال، في قصر الحجر، وباقي الديار[6]. ولعل الملثمين ظلوا يسكنون الخيام، في مضاربهم، طوال المدة التي استغرقتها الأشغال، قبل الإنجاز، كما يفهم من إشارة روض القرطاس[7].

---

[1] - ابن عذاري.. م. س. ن. ص. 10.

[2] - دوفيردان.. م. س. ن. ص. 56.

[3] - عبد المنعم الحميري: **الروض المعطار**... حققه إحسان عباس. لبنان. 1984، ص. 540.

[4] - ابن عذاري.. م. س. ن. ص. 20. أما أسدال فيبدو أنها ليست أسول، الحومة القديمة المعروفة الموجودة الآن شمال المنطقة المرابطية.

[5] - م.س. س. ص. 20. والإدريسي: نزهة المشتاق في ختراق الآفاق، ص.77. "بنى قصره بالحجر المعروف بدار الحجر، ولانعدام الحجارة كانت الديار مبنية بالطين والطوب والطوابي".

[6] - ابن عذاري، **البيان المغرب**، م. س. 4/ 20.

[7] - علي بن أبي زرع: **الأنيس المطرب بروض القرطاس**... م. س. ص. 139، وابن خلدون 1983 ، 11: 377.

وقد ظل الأمير أبو بكر يواكب تلك الأشغال، ويشرف عليها بنفسه، حتى جاءته أنباء مقلقة من الصحراء، أزعجته ليتوجه إليها في غرة ربيع الثاني من سنة 463[1]، الشيء الذي جعله يستخلف ابن عمه يوسف بن تاشفين... فعمل هذا الأخير بدوره على مواصلة البناء، وكانت تلك بداية سطوع نجمه...

يتضح مما سبق أن المؤسس الذي اختار الموضع، بل وشرع في البناء هو أبو بكر بن عمر. وكان ذلك سنة 462/ 1070. أما التاريخ الذي تداولته كثير من الكتب -454/ 1062- كما سبقت الإشارة إلى ذلك، واستنادا إلى إشارة البكري، وما قرّره ابن عذاري وصاحب الحلل، فإنه من الراجح أن يكون من بين الهفوات التي تعجّ بها المصادر التاريخية. وفي غياب المصادر المرابطية، والتي ساهمت عاديات الزمان، وأيدي بعض الحكام في إتلافها، يظهر أن سنة 462/ 1070 ترجّح تاريخا للشروع في بناء مدينة مراكش، على يد أبي بكر بن عمر، ونبذ ما سواها من التواريخ. ولعلّ في هذا غنية عن التساؤل عن مصدر هذه الهفوة المركّبة.

3- في تأويل معنى اسم "مراكش":

وقبل أن نختتم هذا العرض يبدو من المناسب أن نثير مجددا قضية أخرى قد لا تخلو من أهمية. يتعلق الأمر بمعنى اسم مراكش. فأول من أشار -فيما نعلم- إلى معنى هذا الاسم هو عبد الواحد المراكشي، حيث قال:"وإنما سمّيت بعبد أسود كان يستوطنها يخيف الطريق، اسمه مراكش"[2].

وللإشارة فقط فإن لفظة كوش تعني الأسود، ولعله بهذا الاشتقاق ساد التأويل الذي ذهب إليه صاحب المعجب. ما هو المصدر الذي نقل عنه هذا الكتاب؟ إن المصادر السابقة عنه، وخاصة البيذق والإدريسي، لم تشر إلى ذلك، مع العلم أن المصدرين المذكورين قد اهتما بالأسماء وضبطها. قد لا يكون من الصّواب أن نذهب إلى أن صاحب المعجب افترى هذا التفسير. فلعلّ ذلك راجع إلى انتشار فكرة الغيضة المخوفة، التي كانت هي موضع مراكش[3]؛ فارتبط هذا التأويل بالمعنى الذي تداولته المصادر، وصار متواترا فيما بعد، خاصة حين نقله صاحب الاستقصا. وفي ذلك قال الناصري:"اختط (أي يوسف بن تاشفين) مدينة مراكش بموضع كان

---

[1]- ابن عذاري.. م. س. ن. ص. 21.

[2]- عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب 1978. ص. 149.

[3]- ياقوت الحموي: الروض.. م. س. 1: 44، وابن خلكان: 7: 113، وابن عذاري.. م. س. 4: 20 الخ...

يسمى بذلك الاسم، ومعناه بلغة المصامدة: امش مسرعا. وكان ذلك الموضع مكمنا للصوص، فكان المارّون فيه يقولون لرفقائهم تلك الكلمة..."[1]. أي أن مرّاكش اسم مكان (Toponyme)، مثل أزرو، إفران، تطاوين... لكن ما يطرح الإشكال هو التأويل الذي تبناه المؤرخون، لاسم مراكش: مر مسرعا أو امش مسرعا. وهذا غريب، ويثير الاستغراب، لأن مراكش لا تعني البتة أمش مسرعا. إذن فماذا يعني اسم مراكش؟.

يذهب الباحث الفرنسي Rinn إلى أن لفظة مَرِكُشْ نحتت من أركوش، أي أورْكُوش، أي ابن كوش. بمعنى أن مراكش تعنى "بلدة أبناء كوش"[2]، ويعتقد التاجر الفرنسي P. Lambert أن المدينة قد استعارت اسمها - مثل القيروان- من اسم بئر وجدت وسط المدينة آنذاك[3]؛ ويبدو أن دوفيردان لا يستبعد صحة هذا التأويل.

لكن الأستاذ أحمد التوفيق، والذي تتبع معنى اسم مراكش- وهو من العارفين باللغة المصمودية والحاذقين لها- لم يجد غير اسم موقع واحد بذلك المعنى. وهذا الموقع يدعى كَرُولْ، ويقع جنوب شرقي مدينة دمنات. ويردف ذلك بتوضيح جازم فيقول:"وليس في لسان المصامدة "مر" بمعنى امش، ولا كِشْ بمعنى مسرعا[4]، ويجد أقرب معنى لاسم مراكش، مما يتوافق مع التأويل السائد إلى حد الآن، في مُراكسْ- بالسين- التي هي في الأصل أمراكس. لكن حذفت الهمزة، كما هو جائز عند الزناتيين الذين كانوا يستوطنون أغمات، أو كما يحدث في أثناء التعريب، حيث تنحت الكلمة بالصيغة العربية. ومن ثم، فمراكس من اركس؛ أي اختبأ؛ ومراكس معناها، المخبأ. وتفهم كذلك لدى البعض (ناحية دمنات مثلا) بمعنى اركض.

يبدو أن الأستاذ المذكور كان يبحث فقط عن مبرر للتأويل السائد. فلمخبأ يرادف المكمن، بل إنه مرتبط "بمكمن اللصوص"، والغيضة المخوفة، لنصل في النهاية إلى "مر مسرع". لكنه، وهو الباحث المقتدر، يرجع إلى رسم الكلمة، ليصلها بالواقع المحلّي، وهو أمر ينبغي الانتباه إليه عند الإقدام على أي بحث في اسم موقع أو مكان.

---

[1] – أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا... الدار البيضاء 1954 ، 2: 24 .

[2] – دوفيردان: مراكش.. م. س. ن. ص.65.

[3] – 35 – .م.س. ن.

[4] – الأستاذ أحمد التوفيق: حول معنى اسم مراكش: ضمن أشغال الملتقى الأول، مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي، 1988، ص. 16.

بالإضافة إلى ذلك، فقد رجع إلى أقدم مصدر ورد فيه اسم مراكش، وهو كتاب:"التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة" للأمير عبد الله بن بلكين بن بادس الصنهاجي، الذي كان من بين ملوك الطوائف. وقد نبّه ليفي بروفنصال، الذي حقق الكتاب[1]، إلى أن الرسم، كما ورد في النّص الأصلي هو، مروكش. ومنها أخذت الصيغة الاسبانية القديمة Marruecos، ونبّه من جديد على هذا الرسم أيضا توفيق الطيبي في هوامش تحقيقه للترجمة الانجليزية للمذكرات نفسها[2].

وينطلق الأستاذ أحمد التوفيق من هذا المعطى لبناء تفسير جديد، يرتكز على ما يأتي:

1- إن رسم مَروكَش يخالف تماما صيغة أَمَرَاكُسْ التي تعني المخبأ. وفي هذا السياق فإنه لا يقبل تبديل حرف السين بحرف الشين وإن تجاورا.

2- إن موضع مراكش يقع عند الحد الفاصل بين قبيلتي هيلانة وهزميرة. وهنا يلتقي مع التفسير الذي اقترحه كاسطون دفيردان G.Deverdun حيث ذهب إلى أن الموضع الذي أسست عليه مراكش هو المكان الأمثل لإقامة سوق أسبوعي. فالمكان محايد يمكن للحلفاء والمتعارضين أن يقدموا إليه من أجل التبادل والبيع والشراء[3]، ذلك أن نواة المدينة عامة كانت في أغلب الأحيان عبارة عن سوق، مما يدعو إلى التفكير في أن اختيار ذلك الموضع لم يكن اعتباطيا بالنسبة للمرابطين، وللرواد[4] الذين ساهموا في اقتراحه.

3- من ثم، ينصرف الباحث نفسه إلى البحث عن معنى آخر لتأويل لفظة مراكش، ليجد ضالته في تفكيكها إلى جزئين، مر أو أمر، وكَش أو أكَش. وبما أن التركيب في الجملة الأمازيغية يقتضي إدخال حرف الإضافة الذي هو النون أو الواو، فإن الكلمة تصبح: أَمَرْنُوكش أو أَمَرْوَاكَش. وبإسقاط حرف الهمزة الأول، كما هي العادة لدى الزناتيين، يصير الرسم المركب: مُرْكُش أو مَرْوَاكُش. ومن هنا نصل إلى ضبط رسم الاسم، كما ورد في كتاب التبيان؛ أي على الشكل التالي: مَرُوكُش[5].

---

1 - تم تحقيقه من جديد بعناية توفيق الطيبي في نشرة جديدة.

2 - م.س. ن. ص. 17.

3 - دوفيردان.. م. س. ن. ص.54.

4 - يسميهم ابن خلدون"الواضعين". المقدمة.. ص 347.

5 - أحمد التوفيق.. م. س. ص. 17.

4- يتطرق الأستاذ التوفيق إلى تفسير معنى الكلمتين بالرجوع إلى بعض المصادر. يذكر أن معنى كلمة أمَرّ أو مَرّ، هو الحماية، أو الحمى، أو الحُرم، أو الموضع المتمتع بهما؛ "كأن يكون حمى، أو حرما، أو رعاية، أو داخلا في شروط تحمل الفرقاء من القبائل وغيرها، على أن يضمنوا الأمن والأمان، بعضهم لبعض في مجال معين، يكون عادة سوقا أو مكان انعقاد موسم، أو مرعى، أو غير ذلك"[1]. أما أكَش أو أكوش فهو الربّ، عند الأمازيغ الأقدمين. ويستند هنا إلى عدد من المراجع؛ بل يؤكد جازما، أن باكوش الوارد في كتاب البيان المغرب هو تحريف لياكوش أو أكَش.

يستنتج الأستاذ التوفيق، مما تقدم، أن معنى مراكش في الأصل هو "حمى الله"، أو المكان الذي تراعى فيه عهود الله، سواء في ذلك الخالق، أو الوثن السابق عن الإسلام. أي أنه قد تم في ذلك الموضع قطع عهد إلاهي، لرعاية المواثيق وعقود الأمان. كما يرجع التحريف الذي لحق بمعنى اسم مراكش إلى وجود اسم كوش في تركيبه، ومن ثم أصرّ "الضمير السني" على "التخلص منه، ولو بالنسيان"[2].

4- اختلاف رسم لفظة "مراكش".

ورد اسم مدينة مراكش في المصادر الأجنبية -الأوربية خاصة- منذ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر م. ويبدو من قراءتها أن لفظة مراكش تطورت في مبناها العام. فلقد اكتشفها دوفيردان في النصف الأول من ذلك القرن، ضمن مراسلة أمير إسباني بمراكش بالرسم الآتي: Marrochs، ثم Marroch، في وثيقة مؤرخة سنة 1133م، وهي عبارة عن معاهدة سلام بين المغرب وأهل بيّزا.

وترسمها الوثائق الإسبانية – حوالي سنة 1141م – على الشكل التالي: Marrocos. وانطلاقا من القرن الثالث عشر يتعدد تكرار لفظة مراكش، بأشكال مختلفة منها: Marochium. وفي القرنين الرابع عشر والخامس عشر تظهر ضمن الخرائط بالرسوم التالية:

- Marochs في خريطة العالم التي أنجزها Angelius Dulcert سنة 1339.
- Marrochuum في خريطة العالم التي وضعها الإخوان pizzigani سنة 1367.
- Maroch في أطلس شارل الخامس الكطلاني سنة 1375.

---

[1] - أحمد التوفيق.. م. س. ص. 18.

[2] - م.س. ن. ص. 19.

- Maroco في خريطة العالم التي أنجزت في جنوة سنة 1457[1].

- Marocco في مصادر القرن السادس عشر الإيطالية؛ وفي النسخة الإيطالية من كتاب الحسن الوزان مثلا.

وللإشارة فإن اللفظ هنا قد أطلق على بلاد المغرب ومدينة مراكش في الوقت ذاته. إلا أن P. de Cénival قد اكتشف أن كلمة Marok أطلقت في نص لاتيني، على البلد ككل، منذ القرن الخامس عشر[2]، بل إن لفظة Morroco بنفس المعنى قد وردت في الكوميديا الإلهية لدانتي، منذ سنة 1300م. ولم يقع التمييز بين مراكش/ المدينة، والمغرب/ البلد إلا منذ القرن 18م/ 12هـ حيث نجد "بلاد المغرب"، "ملك المغرب"[3](44)، بل لقد انتشر استعمال لفظة المغرب (Maroc –Morocco–...) بمعنى البلد ككل منذ عهد السلطان محمد بن عبد الله، وفي مطلع القرن التاسع عشر/ 13 يميز علي باي العباسي في رحلته إلى المغرب سنة 1814 بين مملكة مراكش ومدينة مراكش، حيث يشير إلى الأولى ب"Royaume du Maroc" وإلى الثانية ب "à Maroc". ويتضح التمييز بين المعنيين مع انصرام عقود القرن التاسع عشر.

بقي أن نشير إلى أن رسم مراكش بالأحرف اللاتينية ظل متقلبا بين مراكِش ومرّاكَش ومَرَاكِش ومِرَاكِش، أما الصيغة الحالية مَرَاكِش فلم تظهر إلا منذ سنة 1886م/ 1303هـ على يد Elisée Reclus، في حين ظل رسم مِرَاكِش سائدا لدى العامة[4].

أما في المصادر العربية، خاصة مصادر الغرب الإسلامي، فإن الوضوح هو الطابع الغالب. فحين يشير عبد الحق البادسي 6/ 12 إلى مراكش، فهو يقصد المدينة[5]، ويضبطها العبدري 13/ 7هـ في رحلته، فيشير إلى المدينة ب "حضرة مراكش"، وإلى البلد ب"المغرب الأقصى"[6]. ونجد التمييز نفسه لدى أحمد المقرى، في القرن العاشر/ السادس عشر، ولدى

---

[1] – دوفيردان.. م. س. ن. ص. 66.

[2] – م.س. ن. ص. 67.

[3] – M.Morsy: *la relation de thomas pellow*. Paris 1983.90-102-103_4.

[4] – دوفيردان.. م. س. ن. ص. 69.

[5] – عبد الحق البادسي: **المقصد الشريف**... المطبعة الملكية ص. 280.159.126.115.53 وفي جهات متفرقة.

[6] – محمد العبدري: **الرحلة المغربية**، تحقيق محمد الفاسي، 1962.

أفوقاي في 11/ 17. يورد هذا الأخير عبارات في منتهى الوضوح، منها مثلا:"وبلغنا إلى مدينة مراكش بالمغرب"، و"جاءوا إلى مدينة مراكش"، وهي دار سلاطين المغرب[1].

أما الكتاب المغاربة، وعلى سبيل المثال العياشي 17 القادري 18، الزياني 18/ 19 الناصري 19 فإنهم كانوا يميزون جيدا بين مراكش والمغرب. وفي الوقت الذي يتضح التمييز بين اللفظتين، كان الكتاب المشارقة لا يزالون يطلقون لفظة مراكش على البلاد كلها. ويذهب الأستاذ عبد الله العروي إلى أن ذلك يعود إلى منتصف القرن 19/ 13. ولعل مرجعهم في ذلك أروبي[2]. ومع فرض الحماية على البلاد صار التمييز بين مراكش والمغرب أمرا واضحا[3] (49).

والخلاصة التي توخينا من هذا المقال المتواضع تهدف إلى تعميم بعض الفائدة على أوسع نطاق؛ إذ لم نكن نرمي إلى بحث معمق في هذه القضايا التي طالما سال حولها بعض المداد، ولم تنحسم بعد.

5- هيمنة إطلاق اسم "مراكش" على المغرب ككل:

يمكن أن نتساءل، لماذا أطلق اسم مراكش على المغرب ككل، بالرغم من أن كلمة المغرب هي أسبق؟ ولماذا لم يظهر اسم فاس على اسم مراكش بالرغم من أنه سابق؟.

- بالنسبة للتساؤل الأول: لعل التجزئة التي عرفها المغرب بعد سقوط دولة الموحدين سنة 666 هـ، وما نتج عنها، قد جعل بعض المدن/ العواصم تستأثر بالاهتمام أكثر، بالرغم من أن مراكش كمدينة قد اعتورها بعض الإهمال في أثناء العهد المريني:

في هذا الإطار، صارت تونس وتلمسان وغرناطة وفاس تسري على الألسن والآذان، لكن أواخر العهد المريني، يظهر أمراء هنتاتة على جنوبي واد أم الربيع، وتنقسم بلاد المغرب الأقصى بدورها. من هنا فرغم سبق لفظة المغرب فإن هذه اللفظة لم تعد كافية للإشارة الدقيقة على بلد بذاته

---

[1] - أحمد المقرى: روضة الآس... المطبعة الملكية، وأحمد بن قاسم الحجري (أفوقاي): رحلة الشهاب.

[2] - A. Laroui: ***les origines sociales et culturelles***...paris 1977.p.59.

[3] - نصت وثيقة الحماية بنوع من التشديد على لفظة المغرب (Maroc) حتى تنهي ما كان يرد في توقيعات بعض سلاطين المغرب "سلطان فس ومراكش وتفيلالت وسوس"، إشارة إلى الوحدة، ولوضع حد لأطماع بعض الدول المتطلعة إلى التنفس. وبعد ذلك قمت بتقسيم البلاد إلى جهات عسكرية وإدارية، منها جهة مراكش، وهي المنطقة التي يوجد مركزها الإداري والعسكري في مدينة مراكش.

لأن المتكلم والسامع أو القارئ لا يستطيعون التمييز بين المغرب الأدنى أو الأوسط أو الأقصى، أي مغرب من هذه المغارب يكون هو المقصود؟ ومن ثم يبدو في إطلاق مراكش على البلاد ككل كان المفضل بالنسبة لكتاب ذلك الوقت.

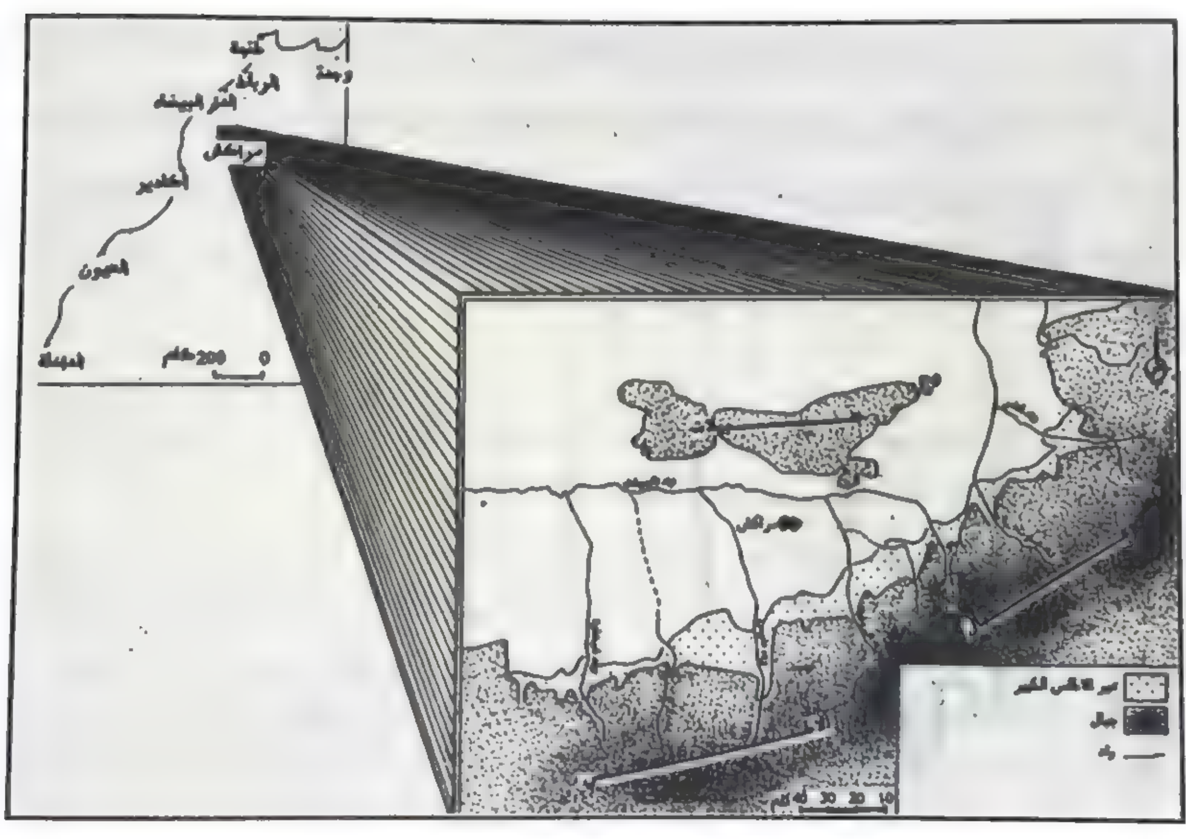
- أما بالسبة للتساؤل الثاني: أي عدم ظهور فاس على مراكش بالرغم من سبق التأسيس بالنسبة لفاس فقد يعزى ذلك في نظرنا إلى:

1- إن مراكش قد ظلت فترة طويلة هي العاصمة بالنسبة للغرب الإسلامي كله (في عهود المرابطين والموحدين) وهي الفترة التي ترسخت فيها هذه التسمية في الغرب بصفة عامة حيث كان اسم مراكش دالا على المغرب ككل، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

2- يبدو أن فاس بسبب توغلها في الداخل بالنسبة لمراكش، لم يكن يتردد عليها الأجانب إلا قليلا، فإلى مراكش العاصمة كان يفد التجار والقناصل والجواسيس والأسرى وغيرهم، وبها بنيت أول كنيسة نصرانية في بلاد المغرب على ما يبدو.

3- إن النهضة العلمية التي عرفتها مراكش في ذلك العهد جعلت إشعاعها يدرك المشرق والمغرب، وهو ما جعلها قبلة للأدباء والفلاسفة والعلماء، وهو أمر قد يجعل اسمها يهيمن على الألسن في تلك الأثناء وحتى فيما بعد، فصارت متداولة في الإطلاق وتكرست في الكتابات نتيجة ذلك.

توطين مدينة مراكش



حول مبررات اختيار موضع مراكش

د. أحمد بن محمد عمالك

سوف أبذل بعض الجهد لتبيان كيفية تفاعل المرابطين مع هذا الموضع لاختطاط مدينة مراكش الأزلية. فلم يأتِ الاختيار عفويا، بل لقد كان وليد مبررات اقتصادية واجتماعية وسياسية، كأن التاريخ والجغرافيا أعداه لتضحى مراكش كرسيَ أكبر إمبراطورية عرفها تاريخ الغرب الإسلامي.

كثيرا ما أثار اختيارُ مواضع كثير من المدن إعجاب الدارسين، حيث كان للموضع أثر بيّن في ازدهارها، وتحولها إلى منارات للإشعاع الحضاري.

ولم يأتِ اختيار تلك المدن اعتباطيا، أو وليد صدفة، بل لقد راعى من وُكل إليهم أمرُ الاختيار، وكانوا يدعون"الرواد"[1] عوامل أضحت، فيما بعد، مسلّماتٍ في اختيار مواضع بدء المدن، مثل:

1 ـ اعتبار الطبوغرافيا، في طبيعة الموضع، من الاستواء والارتفاع

2 ـ اعتبار العوامل البيئية (الصحية) والمناخية

3 ـ من النادر جدا أن يبني مؤسسو المدن فوق أرض خواء خالية تماما

4 ـ تعيين خبراء لاختيار موضع اختطاط المدن. وقد كان أولئك "الخبراء" (الرواد) من العارفين بقضايا حيوية، مثل: القضايا الصحية والفلاحية والتجارية والعسكرية.

---

[1] ـ ومما جاء عند ابن الأثير، على لسان عمر بن الخطاب مخاطبا سعدا بن أبي وقاص:"ابعث سليمان وذيفة رائدين، فليرتدا منزلا بحريا ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر". الكامل. 2/ 259. نقله ج. زيدان: **تاريخ التمدن الإسلامي**، دار مكتبة الحياة، بيروت 1/ 427.

وبناء على ذلك غدا من المرعي في اختيار مواضع اختطاط المدن أن يتكلف فريق من العرفاء بذلك الأمر. بل أضحى من البديهي لدى المسلمين التواطؤ على تلك المسلمات منذ زمان، حتى إن كثيرا من المدن قد عرفت النور مع بزوغ الدين الجديد.

والأمثلة كثيرة: فمن البصرة (14/ 635) والكوفة (17/ 638) والفسطاط (21/ 642) والقيروان (50/ 679) إلى مراكش (462/ 1070)، مرورا بواسط (83/ 702) وبغداد (145/ 762) والقطائع (256/ 870) والمهدية (303/ 915) والزهراء (315/ 936).

في هذه المدة كان المسلمون قد راكموا خبرة كبيرة في مراعاة جوانب بالغة الأهمية في اختطاط المدن. بل يمكن القول إنهم قد أسسوا ما يصطلح عليه اليوم ب"فقه العمارة"، لمّا استنبطوا أحكاما، فيما ليس فيه نصّ، في هذا الميدان. ومما صار متداولا مثلا:"العادة محكّمة"[1]، أي أن العادة تعتبر، لإثبات حكم شرعي، حتى في غياب نصّ، ما لم يرد ما يخالفها أصلا، طبعا مع اعتبار القاعدة المبنية على أحاديث، مثل:"لا ضرر ولا ضرار"، و"الحلال بيّن والحرام بيّن".

ودون تتبع مختلف أسس العمارة الإسلامية، نتوقف عند أساس واحد. ويتعلق الأمر باختيار موضع بناء المدينة.

وأظن أن أول إشارة دقيقة في هذا الباب قد وردت على لسان الحجاج بن يوسف الثقفي، حين قرّ عزمه على تأسيس مدينة واسط. فقد أمر من كلفهم بذلك الأمر "أن يكون المكان مرتفعا، وعلى نهر جار عذب، وأن يكون مناخ "الموضع" جيدا وطعامها سائغا"[2].

وبعد ذلك بقرون يطلع علينا القزويني بأفكار أرادها قاعدة لاختيار مواضع بناء المدن. مثلا: لما ذكر صنعاء، قال:"وأصحّها هواء وأعذبها ماء، وأطيبها تربة وأقلها أمراضا..وهي قليلة الآفات والعلل، قليلة الذباب والهوامّ.." إلى أن قال: "واللحم يبقى بها أسبوعا لا يفسد"، دليلا على صحة طقسها[3]. ولما تعرض لوصف طليطلة، أثنى على موضعها قائلا:"ومن طيّب

---

[1]- عبد القادر أكبر: **عمارة الأرض في الإسلام**، ص. 112. وأحمد الزرقاء: **شرح القواعد الفقهية**، القاعدة 35، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص. 165.

[2]- م. يحيى وزيري: **العمارة الإسلامية والبيئة**، الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي؛ علم المعرفة، رقم 304، سنة 2004، ص. 94.

[3] – زكرياء بن محمد بن محمود القزويني: **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، لبنن، بدون تريخ، ص. 50.

تربتها ولطافة هوائها، تبقى الغلات في مطاميرها سبعين سنة لا تتغير"[1]. وتحدث عن أصفهان، فذكر أن التّفاح "يبقى بها غضا سنة، والحنطة لا تتسوس بها، واللحم لا يتغيّر أياما"، نتيجة صحة هوائها. ومن ثم، لا يُستغرب أن تكون جامعة لأشتات الأوصاف الحميدة، وأظهرُها صحةُ أبدان أهلها[2].

ولما عقد ابن خلدون الفصل الخامس من المقدمة"فيما تجب مراعاته في أوضاع المدن"، اشترط توافر أصلين أساسين، فقال:"ولما كان ذلك القرار والمأوى، وجب أن يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها، وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها".

فأما الأصل الأول(دفع المضار)، فيتحقق بشرطين، هما:

- حصانة الموضع، وهو ما عبر عنه بالمتمنع من الأمكنة، إما على هضبة متوعّرة، وإما باستدارة بحر أو نهر.. فيصعب منالها على العدو..

- طيب الهواء للسلامة من الأمراض، فإن الهواء إذا كان راكدا خبيثا، أو مجاورا للمياه الفاسدة.. أسرع إليها العفن من مجاورتها، فترتب عنه المرض.."[3].

وأما الأصل الثاني (جلب المنافع والمرافق) فيراعى فيه:

- توافر الماء (عيون ثرة، نهر جار)

- طيب المراعي للسائمة (سائر الحيوان: للنتاج والضرع والرّكوب التي لا بدّ لها من المرعى)

- الأراضي الصالحة للزراعة (لتوفير الأقوات الضرورية)

- الشجر للحطب والبناء والطبخ والاصطلاء

- القرب من البحر، لتحقيق متطلبات التجارة (إلا أن ذلك ليس بمثابة الأول)

والملاحظ أن ابن خلدون سمّى الذي يختار موضع اختطاط المدينة الواضع، كما يبدو من هذا المقطع:"وقد يكون الواضع غافلا عن حسن الاختيار الطبيعي، أو إنما يراعي ما هو أهم على نفسه وقومه، ولا يذكر حاجة غيرهم". ويمثل لذلك ببناء المدن الإسلامية الأولى، مثل

---

[1] – أثار البلاد وأخبار العباد. م. س. ن. ص. 545ـ 546.

[2] – أثار البلاد وأخبار العباد. م. س. ن. ص. 296.

[3] – ابن خلدون : المقدمة. دار الكتاب العربي، بيروت. بدون تاريخ، ص. 347.

الكوفة والبصرة والقيروان، والتي "كانت أقرب إلى الخراب ما لم تُراعَ فيها الأمور الطبيعية"[1]. أي أن الذين اختطوها لم يختاروا لها مواضع يتوافر فيها الأصلان المذكوران.

وننهي هذه الفقرة بما لخصه ابن الأزرق(ويعتبر قارئا لابن خلدون) عامة حين حدّد شروط اختيار مواضع اختطاط المدن؛ وما ينبغي مراعاته في ذلك؛ في أصلين ثابتين وهما[2]:"دفع المضار وجلب المنافع"؛ الأمر الذي أضحى شعارا لدى منظري العمارة الإسلامية قاطبة.

بعد هذا التقديم الضروري أذكّر بأنني كنت قد تناولت موضوع مراكش: التأسيس والاسم، منذ ما ينيّف عن ربع قرن. وبما أنه بقي في نفسي"شيء من حتى"، كما قالوا، فقد اخترت أن أبذل بعض الجهد من أجل استقصاء موضوع اختيار موضع اختطاط مراكش.

يبدو أن عهد البداوة قد ولّى بالنسبة لأصحاب اللثام حين احتلوا مدينة أغمات، حيث ناوشت أميرَهم حياةُ "الترف والدّعة"حسب ابن خلدون؛ خاصة وأنه قد يكون تخلى عن الخيمة، لما ابتنى بالمرأة الوجيهة، زينب النفزاوية. وإذا كان عدد من مقرَّبي الأمير قد انتزعوا الدُّور من أصحابها، ليستوطنوها، الأمر الذي لم يكن ليروق السكان المحليين، فإن أولئك الظواعن لم يرتاحوا بسكناها، لأنهم لم يعتادوا على الجدران والأسوار التي تُختَنق فيها أنفاسُهم، وتضيق حريتُهم، فلا يلبث أن يحفزهم الحنين إلى الفضاء الرحب الفسيح، على حد تعبير دوفردان[3]. إلى جانب ذلك، فقد تكررت شكاوى السكان الأصليين للأمير، ممّا لحقهم من عسف أصحابه[4]. أي أن الفريقين معا لم يكونا مرتاحَيْن، في ظل الظروف الجديدة.

وهو ما عبّر عنه ابن عذاري حين قال:"وفي هذه السنة [461/ 1069] ضاق المجمع بمدينة أغمات وريكة عن الخلق فيها، فشكا أشياخ وريكة وهيلانة بذلك إلى الأمير أبي بكر بن عمر مرة بعد أخرى.."[5]. وهذا ما ردّده صاحب الحلل الموشية بوضوح أجلى، حين قال:"واحتلوا [اللمتونيون] بأغمات وريكة، وكثُر الخلق بها، وضيّقوا على أهلها، وكانوا على

---

[1] – ابن خلدون. م. س. ص. 349.

[2] – عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، الكويت، 1988، ص. 102.

[3] – كَاستون دوفردان: مراكش من التأسيس إلى الحماية(1912)، نقله إلى العربية محمد الزكراوي وخلد المعزوزي، منشورات وزارة الأوقاف، 1433/ 2012، 1/ 84.

[4] – ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح. عبد الله محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009، 4/ 17.

[5] – ابن عذاري.. م. س. ن.

حال صعبة، شكا أشياخ وريكة وهيلانة، إلى الأمير أبي بكر بن عمر، ما يلحقهم من العناء والمشقة، وأنهوه إليه المرّة بعد المرّة.."[1].

وقد أدرك أولئك الطارئون ـ أو على الأقل قادتهم ـ "أن المجمع [الذي] ضاق بمدينة أغمات"[2] راجع ـ فضلا عن الأسباب المومأ إليها ـ إلى أن تلك المدينة لا تناسب طباعهم بالأصالة؛ الأمر الذي جعل أبا بكر بن عمر يفكّر في مبارحتها. كما أن الأمير الورع لم يكن ليصمّ أذنيه عن شكاوى الأهالي وتظلماتهم، فانتدب على التوّ لجنة وَكَلَ إليها اختيارَ موضعٍ لاختطاط مدينة جديدة. يقول ابن عذاري: "إلى أن قال لهم: عيّنوا لنا موضعا أبني فيه مدينة، إن شاء الله تعالى"[3].

لا يمكن بحال إلا أن نكون على يقين من أنّ مَنْ انتدبهم الأمير ليسوا إلا من بطانته، ومن وجهاء القبيلتين ـ هزميرة وهيلانة ـ من أهل الرأي والخبرة؛ أي الذين يدعوهم ابن خلدون"الواضعون"، جمع"واضع". أي الذي يكون خبيرا باختيار مواضع اختطاط المدن[4].

وبناء على ذلك، نستطيع أن نؤكد على أن أولئك "الواضعين"قد أدركوا هدف الأمير، فتجاوزوا عن خلافاتهم؛ لما عيّنوا الموضع الواقع بين مجالي قبيلتيهم[5]. أي أن البناء سوف يتمّ فوق مجال حدودي "محايد"بين القبيلتين. فوضعوا بذلك حدّا للأخذ والردّ الذي طبع مداولاتهم حول اختيار الموضع، لما"اجتمعت أشياخ قبائل المصامدة وغيرهم في موقع تدبيرهم أن يكون موضع تلك المدينة بين بلاد هيلانة وبلاد هزميرة، فعرّفوا بذلك أميرهم، أبا بكر بن عمر". وبذلك اجتنب أولئك الرواد ما يمكن أن يثار من الإحن والأحقاد بين القبيلتين، إذا اخْتُطَّت المدينة بين ظهراني إحداهما، دون الأخرى"لأجل ما تقدم بينهما من الفتنة ومداولة الإمارة"، كما جاء في البيان[6].

---

[1] – مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح. سهيل زكار وع. القدر زممة، دار الرشد الحديثة، البيضء 1399/ 1979. ص. 15.

[2] – العبارة لابن عذاري.. م. س. ن. ص. 16

[3] – م. س. ن.

[4] – ابن خلدون.. م. س. ص. 349.

[5] – ابن عذاري.. م. س. ن. ص. 17.

[6] – ابن عذاري.. م. س. ن.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن دوفردان قد مال إلى افتراض واد إيسيل، حدا فاصلا بين مجالي القبيلتين المذكورتين، ولِمَ لا واد تانسيفت؟[1]. وفي غياب أي دليل قاطع، يبدو الأمر مجرد رجم بالغيب؛ لأن الحد المفترض بين قبيلتين كبيرتين، مثل هزميرة وهيلانة يقتضي وجود مجال محايد عازل(no man's land)، يغطي مساحة معينة، حتى لا يقع احتكاك قد يترتّب عنه نزاع بين الطرفين. فقد يصلح ذلك المجال المحايد ـ مثلا ـ إما لعقد سوق أو موسم ترتاده القبيلتان؛ وإما لالتقاء الفرقاء للتفاوض حول ما قد يقع من نزاعات، أو من أجل عقد معاهدات.

وبناء على هذا الفهم جاء تأويل اسم المدينة"مراكش"، أي المكان المقدّس، والمكان الذي تراعى فيه العهود[2].

يبدو أن أولئك"الواضعين/ الرواد/ العرفاء/ الخبراء"قد أنجزوا عملهم، فبسطوا النتائج أمام الأمير ذي الحصافة الفطرية، كما يتضح من رفضه اختطاطَ المدينة على ضفّة واد تانسيفت، لّما قال:"نحن أهل الصحراء، لا يصلح لنا السكنى على الوادي"[3]. وهذا واضح في اختيارات الظواعن الذين يأنفون من السكنى على ضفاف الأنهار، لأسباب معلومة؛ أهمها، الرطوبة وما يتصل بها من حشرات، وبخاصة تلك التي تعيش بالقرب من المياه وتضر بهم وبمواشيهم.

ويعشق الظواعن، بالمقابل، الفلاة الرحيبة والأرض الفيحاء؛ وهو ما عبرت عنه فئة من"اللجنة"التي أنيطت بها مهمة اختيار الموضع. يقول صاحب البيان:"قد نظرنا لك من موضع صحراء، لا أنيس به إلا الغزلان والنّعام، ولا تنبت إلا السدر والحنظل"[4]. وهو ما كرره المجهول بأسلوب أوضح، حين ذكر أنهم:"قالوا له: قد نظرنا لك أيها الأمير، موضعا صحراء، رحب الساحة، واسع الفناء، يليق بمقصدك.."[5].

---

[1]- دوفردان: تاريخ مراكش.. م. س. ن. 1/ 84.

[2]- ذ. أحمد التوفيق: حول معنى اسم مراكش، أشغال الملتقى الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، "مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي". 1988. ص. 16.

[3]- ابن عذاري: البيان.. م. س. ن. ص. 17.

[4]- م. س. ن.

[5]- الحلل الموشية.. م. س. ن.

هنالك يبدو أنه قد تمّ نوع من الإجماع، ولاسيما حين تبيّنت "اللجنة"مقاصد الأمير، تلك المقاصد التي تخدم مصلحة الجميع. ولما حضي الاختيار برضى الأمير لم تانِ"اللجنة"عن التدليل على وجاهة اختيارها وأهميته، وهو ما عبر عنه ابن عذاري بقوله:"فنظروا له ذلك الموضع، لكي يكون وادي نفيس جنانَها، ودكالةُ فدانَها، وزمامُ جبل دُرّنْ بيد أميرها طول زمانها"[1].

هكذا إذا حالف التوفيق ذلك الاختيار، الذي اختط على إثره أبو بكر بن عمر مدينة مراكش، لتدوّن سجلا يختزل تاريخ المغرب الذهبي. فلم يبقَ أمام أمير المرابطين إلا مباركة الموضع، والشروع في البناء. وتأسيسا على ذلك"ركب..في عسكره مع أشياخ القبائل، فمشوا معه إلى فحص مراكش، وهو خلاء لا أنيس به، فقالوا له: ابْنِ هنا مدينة متوسطة بين هيلانة وهزميرة"، على حد تعبير ابن عذاري[2].

فانطلقت أشغال البناء يوم 23 رجب سنة 462/ ماي 1070، بحفر أساس دار الإمارة بقصر الحجر، الذي يقع اليوم غرب شمال غربي ساحة الكتبيين[3]. يقول ابن عذاري:"وفي سنة..ابتدئ بأساس مراكش وذلك قصر الحجر، وشرع الناس في بناء الدّور دون سور؛ وفي ذلك اليوم بعينه كان ركوب الأمير أبي بكر بن عمر وإخوته وجميع محلته مع أشياخ المصامدة والفعلة من البنّائين وغيرهم، فابتدأ العمل في الأساس بمشاركة الأشياخ وحسب عونهم؛ فأعانوا على البناء بالمال والرجال، فقام سور قصر الحجر في نحو ثلاثة أشهر... واشتغل الناس فيها ببناء الديار كلّ واحد على قدر جهده واستطاعته.."[4].

ويبدو أنه لا بدّ من الإدلاء بملاحظة، لا تخلو من أهمية؛ مفادها أنه على الرغم من صمت ما رجعنا إليه من مصادر عن التنويه بالتضاريس المجاورة لموضع مراكش، وبخاصة كتلة إيكَليز وواد إيسيل وواد تانسيفت التي كانت لها آثار بارزة في تاريخ مراكش، فإن ذلك لا يمكن أن يبخس تلك التضاريس أهميتها، كما سيأتي وشيكا.

---

[1] – ابن عذاري : البيان.. م. س. ن. والحلل الموشية.. م. س. ص. 15.

[2] – ابن عذاري.. م. س. ن. ص. 17. والحلل الموشية.. م. س. ص. 16.

[3] – م. س. ن.

[4] – ابن عذاري.. م. س. ن. والحلل الموشية.. م. س. ن.

وبناء على كل ما سبق وتأسيسا عليه، نستنتج مبررات اختيار موضع مراكش، فيما يأتي:

1 ـ توافر المسرح الخصيب (السدر والحلفا) لجمال أولئك الصنهاجيين، الذين يعتزون كثيرا بامتلاك تلك المواشي، مع بعد الموضع عن الواد الذي يعدّ ملجأ لمختلف الحشرات المضرّة بهم وبمواشيهم.

2 ـ عززت كتلة إيكَليز ذلك الموضع، لمّا أصبحت تمدّ بالمادة الأساس للبناء (الحجر)، وأسهمت في تحصين المدينة، متى بُني فوقها برجٌ للحراسة، فتكون بمثابة (توريرت نْ تِضاف). ومن ثَمّ، يصعب طروقها أو أخذها على حين غِرّة[1].

3 ـ لا يقلّ واد إيسيل، وهو بمثابة خندق، أهمية في تحصين المدينة من جهة الشرق والشمال الشرقي؛ حيث يزيد في منعة الموضع على كل من يرومُه بِشرٍّ ما. ولذلك نادرا، مع أنني أكاد أجزم، أن تكون مراكش قد تعرضت لهجوم من الجهة الشرقية. فمعظم من هاجمها، لم يأخذها إلا من جهة الغرب، والشمال الغربي، ثمّ من الجنوب أخيرا[2].

4 ـ يتمتع الموضع بطيب الهواء، لأنه لا يوجد بجواره مناقع متعفنة، أو مروج خبيثة، يمكن أن تنتقل منها الأذواء والأمراض إلى الإنسان والحيوان على السّواء. كما أن السّهل الفسيح الذي امتدّت عليه المدينة مساعد ـ مع انفتاحه الواسع من الغرب والشرق ـ على تحريك الهواء؛ وبالتالي تبدّله وتموّجه باستمرار، مع خلوّه من الرطوبة؛ الأمر الذي يميزه بالنقاء والصحّة. وهذه الخاصية لا تزال ملموسة حتى يومنا هذا.

5 ـ خصوصية طقس الموضع، كأنه جزء مقتطع من الصحراء. وتبدو هذه الخصوصية من صلاح النخيل بهذه البقعة، دون سائر تراب الجهة الواقعة شمال سلسلة جبال الأطلس. وهذه ملاحظة عينية، وتحرٍّ ميداني قمت به شخصيا، على طول الجهة وعرضها؛ حيث ينعدم نخيل يعطي البلح، مثلما هو عليه الحال بالنسبة لنخيل مراكش.

6 ـ بهذا الموضع أضحت مراكش تحتل مكانا وسطا، كما لاحظ ذلك عبد الواحد المراكشي، لما تحدث عن"أولية المرابطين..."؛ فقال:"فتخيروها دار ملكهم لتوسّطها البلاد؛

---

[1] - ابن خلدون: المقدمة.. م. س. بتصرف، ص. 349.

[2] - لقد كانت كتلة إيكَليز نقطة ارتكاز لمختلف الذين غزوا مدينة مراكش، كما سوف يتضح من الحاشية الآتية.

وكانت إذ نزلوها غيضة لا عمران بها"[2]. فمن أي جهة شارفتَ المدينة اليوم - وبخاصة في الليل - تبدّت لك منارة الكتبيين، بمثابة سبّابة مرفوعة نحو عنان السماء. ومن ثم، لم يأتِ تفضيلها قاعدة ملكٍ من قبل معظم حكام المغرب اعتباطيا.

7 - توافر مصادر الماء، إذ أن القرب من الجبل جعل السديمة قريبة جدا، وهو ما توافق مع طبيعة الموضع، حيث يلاحظ ميل بيّن من الجنوب نحو الشمال، ومن الغرب نحو الشرق؛ وهذا ما يسر لعبد الله بن يونس أن يخطّط أروع طريقة لتزويد المدينة بالماء؛ وهو أمر من الأهمية بمكان.

8 - مراقبة مصامدة جبل درن؛ وهو ما ردده الأخباريون: "وجبل درن بيد أميرها طول زمانها"[3]. معلوم أن مصامدة الجبل لم يكن يهدأ لهم بال، مادام جيرانهم من صنهاجة يخالفونهم في كل شيء. فضلا عن أن هؤلاء الملثمين قد أقاموا دولة ينبغي أن يخضع لها الجميع. من ذلك جاء موضع مراكش ليستجيب إلى حاجة المدينة إلى الأمن. وحتى إذا أراد المصامدة مهاجمتها، فلا يكون ذلك عن طريق الغِرّة، أو المباغتة؛ لأن المسافة الفاصلة بين أقرب نقطة من دير الجبل، وبين مراكش، لا تقل عن ثلاثين ميلا؛ وهي مسافة تتيح للمهاجمين وقتا كافيا للتأهّب للمواجهة.

9 - فضلا عن أن السهل المحيط بالموضع، يمكن أن يمنح القوت اللازم للسكان، فقد عدّدت اللجنة من بين منافعه، قربَ سهول دكالة التي سوف توفر الحبوب، ووادي نفّيسُ الذي سيعزز ذلك بجنانه الغنية بالفواكه. وباختصار شديد أن الغذاء متوفر، قريب.

[1] - باستثناء معركة البحيرة التي يبدو أن كلا من الموحدين والمرابطين تترسوا على إحدى ضفتي واد إسيل، فإن الموحدين لما ضربوا الحصار على مراكش، كانت كتلة إيكَليز وما حولها إحدى قواعدهم. واقتحمها المرينيون والسعديون من الغرب، وبين ذلك ضربها البرتغاليون من الغرب أيضا. بينما غزاها ابن أبي محلي من الجنوب والجنوب الشرقي، ودخلها أبو زكرياء الحاحي عبر الغرب، بعد مقتل ابن أبي محلي. أما المولى الرشيد فقد اقتحمها من الشمال؛ في حين غزاها أحمد بن محرز من الجنوب الغربي. وليطرده عمه المولى إسماعيل عنها عسكر عند قدم تلك الكتلة. ويبدو أن الأمر لم يختلف لما حصرها ابنه الثائر، محمد العالم. ولما هاجم الرحامنة مراكش، في أثناء خلافة سيدي محمد بن عبد الله، اقتحموها من باب الخميس وباب دكالة في البدء. على أن الكتلة المذكورة قد صارت بمثابة المدخل إلى مدينة مراكش من القرن الثامن عشر حتى دخول الفرنسيين، نقتصر على ذكر تمرد المولى هشام على المولى اليزيد، حيث كانت المواجهة الحاسمة بين الأخوين بجوار إيكَليز. وقبل غزو مراكش، عسكر العقيد مانجان وجنوده عند قدم تلك الكتلة...

[2] - عبد الواحد المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ضبطه وصححه.. محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، دار الكتاب، الدار البيضاء، الطبعة السابعة، 1978، ص. 148.

[3] - ابن عذاري: **البيان**.. م. س. ن.

10 ـ وأخيرا لم يكن الموضع بعيدا عن أغمات التي لا تزال يومئذ حلقة رئيسة في شبكة الطرق الواصلة بين الجنوب والشمال، بين الداخل والخارج. وهو ما سوف ترثه (بالفرض والتعصيب) مدينة مراكش التي سرعان ما لفتت أنظار التجار والمتموّلين، من مختلف الجهات.

هذه إذاً لمحة وجيزة، صدرت عن مقلّ قاصر، كرّرت بعض ما طالت إليه اليد من مصادر ودراسات؛ لم يجد من شفيع سوى حبِّه لهذه المدينة، مراكش، البهجة، التي مهما حدث عنها محدث فلن يفيَها حقها؛ فلا يملك إلا أن يقف مشدوها منبهرا أمام موضعها الفريد؛ مكررا الاستفهام الذي لا يزال يحيره، كيف اهتدى أولئك"الواضعون" إلى اختياره. إنه توفيق الله تعالى.

وحرره أحمد بن محمد عمالك

مراكش يوم الاثنين ثاني ربيع النبوي 1436/ 14 دجنبر 2015.

حول تاريخ تأسيس سور مراكش*

د. محمد رابطة الدين

I- المنطلق:

غاية هذه المحاولة، المساهمة في مناقشة جزئية من جزئيات تاريخ مراكش على عهد حكم المرابطين، تتعلق بتاريخ بناء سورها. أما دافع تحديد موضوع المعالجة، فيرجع إلى ملاحظات يثيرها تاريخ تأسيس المدينة، وتاريخ بناء السور، كما سجلتها المصادر المتداولة، تدفع على الأقل إلى التحفظ في قبول التواريخ المذكورة وهي الخطوة التي تختزل معطياتها لوحة أولى تتعلق بتاريخ تأسيس المدينة، ولوحة ثانية تخص تاريخ بناء سورها.

تاريخ تأسيس المدينة		تاريخ بناء السور	
التاريخ	المصدر	التاريخ	المصدر
454/ 1062	روض القرطاس: 138[1]	514/ 1120	الاستبصار: 209
454/ 1062	العبر: 6/ 245[2]	519/ 1125	البيان: 4/ 73
459/ 1067	الاستبصار: 208[3]	520/ 1127	الحلل الموشية: 97/ 98
461/ 1069	البيان:4[4]	522/ 1128	مفاخر البربر:53
462/ 1070	الحلل الموشية:16[5]	526/ 1132	روض القرطاس: 139
470/ 1077	نزهة المشتاق: 43[6]	526/ 1132	العبر: 6/ 245
475/ 1083	مفاخر البربر: 53[8]	529/ 1135	Extraits inédits 15[7]

*- صدرت هذه الدراسة في الأصل ضمن كتاب: أعمال ندوة: "أسوار المدن بتانسيفت"، التي نظمتها مجموعة البحث في تاريخ المجال والإنسان بتانسيفت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش سنة 2001، ط 1، مراكش 2002، صص 61 – 67.

أما الملاحظات التي تهم الموضوع من خلال مادة اللوحتين، فيمكن تركيزها في عنصرين هما:

1- إرجاع مادة المصادر المذكورة، تأسيس مراكش إلى سلسلة من التواريخ يعود أبعدها إلى عام 454/ 1062 وأقربها إلى عام 475/ 1083.

أي بفارق زمني بينهما يصل إلى اثنين وعشرين عاما.

2- إرجاع مادة نفس المصادر، بناء سور المدينة إلى سلسلة من التواريخ أبعدها 514/ 1120، وأقربها 529/ 1135، أي بفارق زمني، يصل إلى خمسة عشر عاما.

إذا قمنا فقط بعملية احتساب الفرق الموجود بين أبعد تاريخ لتأسيس المدينة وأبعد تاريخ لبناء السور، وعملية ثانية بالنسبة لأقرب تاريخ.

أبعد تاريخ لتأسيس		الفرق	أقرب تاريخ لتأسيس		الفرق
المدينة	السور	60 عاما	المدينة	السور	54 عاما
454/ 1062	514/ 1120		475/ 1083	529/ 1135	

نصل إلى الخلاصة التالية وهي: وجود فارق زمني كبير يتعدى نصف قرن بين تاريخ تأسيس المدينة وتاريخ تأسيس السور.

II- التعليق:

يصعب قبول هذه الخلاصة لاعتبارين أساسين.

أولهما: انعدام الشروط التي تسمح بتأجيل تأسيس السور. لأن اختيار تأسيس المدينة لم يكن قرارا داخليا صادرا عن أهل المجال، ولا نهاية لتطور طبيعي عرفته أحوالهم، نقلهم من حياة البداوة إلى حياة الحضر.

ثانيهما الحضور الوازن للشروط التي تستعجل بناء السور، وهي بالذات الخصوصيات المميزة لظرفية نشأة المدينة وأهمها بالنسبة لموضوعنا، من جهة ظهور ملامح وخطوات تشكيل تجربة سياسية بالمغرب الأقصى غير مسبوقة في حجمها وقوتها، ولم تكن لأهل المجال مساهمة في صنعها ولم تحظ أيضا بدعمهم. ومن جهة ثانية حرص أهل المشروع في ذات الوقت على إنتاج رموز كيانهم السياسي المميزة لهويتهم كالجيش[9]، والاستيلاء على الأرض[10] وإخضاع أهلها لنفوذ السلطة الجديدة[11] وسك النقود[12]، واتخاذ العاصمة.

في هذا السياق إذن، يلاحظ أن اختيار موقع وموضع وتاريخ تأسيس المدينة كان قرارا سياسيا خارجا عن إرادة أصحاب المجال، أما الطرف صاحب القرار، فمخزن مركزي في طور التأسيس، لا تربطه بالأرض وأهلها مصلحة ومحتوى القرار، إنشاء مدينة على أرض لا يملكها. والغاية إحداث العاصمة ومراقبة أهل الأطلس الكبير الغربي. الذي كانوا يعتبرون سهل الحوز مجالا حيويا لهم[13]. لعل أهم العواقب التي نتجت عن هذا الحدث هي:

1- حصول تعارض في المصالح:

من جهة بين حكم مركزي فتي، فضل الاستقرار الدائم وسط مجموعة قبلية كبيرة لا ينتمي إليها، خلق معها العداء، وفرض سلطته على أهلها، وظل شديد الحرص على مراقبتها، وحماية كيانه من التهديدات المحتملة الصدور منها[14]، ومن جهة ثانية بين أهل المجال الذين انتزعت منهم أرضهم لصالح قوة سياسية طارئة، وحرمانهم من منافعها، وإصرارهم على استرجاعها.

2- حدوث تحول عميق في المجال:

في الوظائف أولا، فقبل تأسيس مراكش طبعت الوظيفة الاقتصادية، وبالذات نشاط الرعي المجال، وبعد التأسيس ظهرت وبقوة الوظيفة السياسية.

وفي علاقة السهل بالجبل ثانيا، فقبل تأسيس المدينة كانت علاقة اقتصادية شكل فيها السهل نطاق إنتاج رعوي، والجبل مركز استهلاك، وبعد التأسيس تحولت إلى علاقة إستراتيجية، أصبح فيها السهل محطة مراقبة والجبل هدفها.

حصيلة هذه العواقب إنتاج علاقة متوترة بين الحكم المرابطي وأهل الجبل.

من مظاهر تخوفات الأول، اختيار موقع تأسيس مراكش بالذات[15] وبعض إشارات مضمون وصية يوسف بن تاشفين لابنه علي[16] وإقامة سلسلة من المراصد والحاميات على الدير لمنع تسرب أهل الجبل إلى السهل[17].

ومن مظاهر ردود أفعال الثاني، إنتاجه لتجربة سياسية جديدة من عمق الجبل[18] وضعت حدا لحكم من كانوا وراء حرمان ساكنته من مجالهم الحيوي.

إذن إذا كانت ظرفية تأسيس العاصمة قد تميزت بهذه الخصوصيات التي لا تقدم أية ضمانات تحمي الأمن والاستقرار بها وتؤمن دوامها. فهل كان من الممكن لها البقاء دون سور لمدة تزيد عن نصف قرن؟

إذا كان الجواب بالحسم غير ممكن حاليا لأسباب مرجعية صرفة فإن إمعان النظر في الإشارات المتداولة في الموضوع، لا يلغي إمكانية بناء سور المدينة في بداية تأسيسها.

III- استنتاج:

حسبما يلاحظ فأن بقاء مدينة عاصمة بدون سور مدة طويلة، يبدو خروجا عن الضروري من الشروط، الذي كان يستوجبه تأسيس مدينة بالمغرب في العصر الوسيط ومنه" السور الحصين"[19] الذي كان يعد من مستلزمات " الحماية من المضار"[20].

ولعل ضغط المتطلبات الأمنية يزداد أكثر في حالة مثل الحالة الظرفية تأسيس مراكش، وتدل عليه من جهة هذه الإشارة الواضحة لمؤلف كتاب الاستبصار" وإنما بناها واضعها ليملك منها جبل" درن "الكثرة من يعمره"[21] ومن جهة ثانية أسباب ثلاثة قدمتها مصادر أخرى كتعليل لاختيار موقع وموضع مراكش، ويتعلق واحد منها بهذا المطلب: " وزمام جبل "درن" بيد أميرها طول زمانها"[22].

فهل كان لقادة التجربة المرابطية، الذين وضعوا هذا الهدف الاستراتيجي أن يغفلوا بناء سور المدينة؟ والأمر لم يكن يحتاج إلى ذكاء سياسي خاص، فالحس السياسي العادي كان كافيا لإدراك وتقويم أهميته في حماية أمن العاصمة منذ تأسيسها.

ألم يتضمن قرار تأسيس المدينة بناء سورها؟ مسألة تتعارض مع مفهوم المدينة خلال الفترة في الغرب الإسلامي. ولم تشر المصادر بالمقابل إلى آليات الحصانة الأخرى التي استخدمت في وظيفة الحماية والمراقبة.

وحسب ما يبدو فإن أصل المشكل يعود إلى طبيعة الأخبار المحدودة التي قدمتها المصادر المتداولة في الموضوع، وتختزلها ملاحظات أربعة هي:

1- سكوت البيدق عن ذكر تأسيس السور في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وهو الذي انفرد بجرد وتحديد مواطن الحصون والمراصد التي بناها المرابطون في الدير لإبعاد خطر أهل الجبل، فهل يفهم من سكوته الإعراض عن ذكر ما هو موجود ككناية عن وجوده؟

2- وجود بعد زمني كبير بين حدث بناء السور، والتأريخ له، فأبعد مصدر يعود إلى النصف الثاني من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، هو "كتاب الاستبصار" بينما يرجع تاريخ كتابة باقي المصادر الأخرى إلى زمن حكم المرينيين.

3- عدم إشارة نفس المصادر إلى الأصول التي اعتمدتها في المادة التي قدمتها عن السور.

4- وردت جزئيات موضوع بناء السور في صيغتين هما:

أ- صيغة قدمت خبر بناء السور، كتطور طبيعي عادي في مورفولوجية المدينة، من غير أن تربطها بأي حدث طارئ أو وضع سياسي جديد، ودون الإشارة إلى تدخل أي طرف غير مخزني في اتخاذ قرار البناء، يتعلق الأمر هنا بكتاب الاستبصار: "مدينة مراكش أسسها يوسف بن تاشفين... ثم اختط سورها ولده علي"[23] وروض القرطاس: ... فلما ولي بعده - يوسف بن تاشفين - ولده علي بنى سورها"[24]. و"العبر" اختط يوسف مدينة مراكش... وكمل تشييدها وأسوارها علي ابنه"[25].

يبدو أن مضمون خبر بناء السور كما ورد في هذه المصادر لا يوحي بوجود حالة دائمة من الحيطة والحذر ميزت علاقة مؤسسي العاصمة بأهل المجال، علما بأنها أشارت إلى هذا العنصر ضمن أسباب اختيار موقعها وموضعها فقط. فلم تتعرض إلى الأسباب التي أملت بناء السور، وقدمت العاصمة المرابطية مدينة تعيش أحوالا عادية لا تعاني مما يشوش على الأمن والاستقرار فيها، وكأن المخاوف التي كانت من بين أسباب اختيار موقعها لم يبق لها وجود، وواقع الأشياء مخالف لذلك فيما يبدو، فالتاريخ الذي أعطته لبناء السور يتزامن مع أزمة الحكم المرابطي وتهديد حقيقي لسلطته وعجزه عن تطويقه أو الحد من خطواته، وخريطة بؤر التوتر في مجال سيادته اتسعت خاصة في الأندلس، وقواته أصبحت مشتتة، وعليه يمكن التساؤل عن أسباب عدم استحضار الروابط الممكنة بين هذه الأزمة ودواعي بناء السور؟ لماذا أعرضت عن ذكر أسباب بناء هذا الأخير ولم تغفل أسباب بناء المدينة؟

ب- صيغة قدمت الخبر كنتيجة من نتائج تهديدات حركة الموحدين للعاصمة، وتدخل أبي الوليد بن رشد الجد، مما يلاحظ فيها أن قيمة تدخل ابن رشد تبدو أقوى من الخطر الموحدي في تعليل اتخاذ قرار بناء السور، ووجود علاقة واضحة بين هذا التدخل من جهة، والتنفيذ من جهة ثانية[26] ولعل الملاحظة تسمح بطرح تساؤلات منها: ألا تضع موضع استفهام النضج السياسي لقيادة الحكم المرابطي وقدرته على تقويم الوضع الأمني للعاصمة؟ ألم تكن هذه القيادة تتمتع بالاستقلال الكامل في اتخاذ قراراتها؟ هل كان إنجاز مرفق عام يقدم خدمة أمنية لساكنة المدينة، ويحمي الحكم القائم فيها من الأخطار التي تهدده، يحتاج إلى استصدار رأي السلطة الدينية وتزكيتها؟ لماذا لم تطبق نفس القاعدة على اختيار موقع وموضع المدينة، وهو الذي طرح مشكلة فقهية تتعلق بحقوق أهل الأرض؟

يتبين إذن من خلال هذه المقاربة النقدية لجزئية تاريخ بناء سور مراكش، وجود تعارض بين ظرفية تأسيس المدينة التي تفيد حاجة هذه الأخيرة إلى السور منذ تأسيسها وبين مادة الموضوع في المصادر المتداولة، التي قدمت تواريخ متأخرة. ولعل تدقيق التاريخ الصحيح، يحتاج إلى اكتشاف مرجعية إخبارية جديدة وإمكانية مساهمة التحليل المخبري لبعض مواد بناء السور الأصلية.

الهوامش:

1- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، دار المنصور، الرباط، 1973.

2 - ابن خلدون، **العبر**، ج: 6، دار الكتاب اللبناني، 1967.

3 - مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، البيضاء، 1985.

4 - ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج: 4، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1967.

5 - مجهول، **الحلل الموشية**، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، البيضاء، 1979.

6 - الشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق**، الجزائر، 1957.

7- Fagnan (E), *Extraits inédits relatifs au Maghreb*, Alger, 1924, p15.

8 - مجهول، **مفاخر البربر**، الرباط، 1934، ورد أيضا نفس تاريخ تأسيس المدينة وتاريخ بناء السور في كتاب بهجة الناظرين وأنس الحاضرين لابن عبد العظيم الزموري، تحقيق علي الجاوي، رسالة لنيل شهادة الدراسات الجامعية العليا (مرقون) الرباط، 1985.

9 - أبو عبيد البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**. دار الكتاب الإسلامي. القاهرة. بدون تاريخ ص 166.

10- نفس المصدر: 166، 167، 168.

11 - نفس المصدر: 167.

12- ***la voix, H., catalogue des monnaies musulmanes de la bibliothèque nationale***, T:2, Paris, 1891. p. 201; Bréthes, JD., contribution a l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques, Casablanca, 1939, pp. 125 - 126 حسن حافظي علوي: **جوانب من تاريخ المرابطين من خلال النقود**، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط. ع: 23، 1999. ص :129-138.

13 - من أجل تدقيق عناصر هذا السياق، يستحسن الرجوع إلى:

- Ali sadki, ***la montagne marocaine et le pouvoir central un conflit séculaire mal élucidé***, Hespéris tamuda vol XXVIII, Fasc. Unique, 1990, pp. 20-21.

محمد رابطة الدين: **الموحدون واختيار مراكش**، متنوعات محمد حجي.

14 - أنظر **الاستبصار**، 209 **والبيان** 4/ 19 **والحلل الموشية**، 16 **وابن خلدون**، العبر، ج: 6، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1968، ص: 378، 464.

15- **الاستبصار**، 209 **والبيان** 4/ 19 **والحلل الموشية**، 16.

16 - **الحلل الموشية**: 82 – 83.

17 - البيدق، **أخبار المهدي بن تومرت**، الرباط، 1971، ص: 90 - 93 Ali sadki, op. cit, pp 20-21.

18 – Paul Pascon, *l idéologie Almohade*, Lamalif, N 73, Dec, 1977, p30.

19- **روض القرطاس**: 33.

20 - ابن خلدون، **المقدمة**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص: 347. وقد قدمت المصادر حالات تدل على عمل أهل المجال بهذه القاعدة خلال الفترة. ففي ظرفية الانتقال بين المرابطين والموحدين اتخذ هؤلاء بزعامة ابن تومرت تنمل قاعدة مركزية لهم بالأطلس الكبير الغربي " وأدار على المدينة سورا أحاط بها من كل جانب، وبنى على رأس الجبل سورا، وأفرض في قمته حصنا يكتشف على ما وراء الجبل"*الحلل الموشية*: 112. وفي أواخر نفس الظرفية أسسوا أيضا مدينة على جبل كليز وأحاطوها بسور، *الحلل الموشية*:137. وفي الأحوال العدية ورغم قوة حكمهم وعدم ظهور ما يهدده كانت المشاغل الأمنية تحظى بالأولوية في الاهتمام وضمنها اتخذ الأسوار، فعند توسيع مراكش في عام 579/ 1202 أنجز القسم الخاص بالسور ومرافقه في حوالي أربعين يوما، ابن عذاري *البيان، قسم الموحدين*، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني محمد زنيبر محمد بن تاويت عبد القادر زمامة، البيضاء 1985، ص: .153.

21 - **الاستبصار**، ص .209.

22 - **البيان** 4/ 19 والحلل الموشية: .16.

23- **الاستبصار**: 208 – 209.

24 - **روض القرطاس**: 139.

25 - **العبر** 6/ 245.

26 - من نماذج ذلك:"ونبه القاضي على بناء الأسوار، فشرع الأمير علي بن يوسف في بناء أسوار محدثة بمراكش" **البيان** 4/ 73، "وشرع ابنه علي في بنيان سورها... بإشارة الفقيه المشاور أبي الوليد بن رشد" **مفاخر البربر**: 53، و"كان الذي أشار بتسوير مراكش، القاضي أبو الوليد بن رشد" **الحلل الموشية**: 90.


وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا

من الشواهد المكتوبة إلى الشواهد الأثرية

نواة مدينة مراكش من خلال نتائج البحث الأركيولوجي

ذ. سمير أيت أومغار

استأثرت مدينة مراكش منذ بدايات الحماية الفرنسية، باهتمام ثلة من الباحثين الفرنسيين من تخصصات متنوعة كالتاريخ وعلم الآثار والعمارة الإسلامية...، وانتهت تحرياتهم عن المدينة إلى إصدار مجموعة مهمة من الدراسات المتفرقة في الدوريات المتخصصة الصادرة آنذاك بالمغرب وفرنسا وبلدان أوربية أخرى كان لها اهتمام بالشؤون المغربية[1]. ساهم هذا التراكم

---

[1]- نَشَرَتْ على سبيل المثال، مجلة هسبيريس *Hespéris* الصادرة عن معهد الدراسات العليا المغربية بالربط، العديد من الدراسات حول مراكش، من بينها:

Allain, ch., Deverdun., G., ***Les portes anciennes de Marrakech***, Hespéris, 1957, T. XLIV, 1er -2e trim. pp. 85-126.; Basset, H., Terrasse, H., ***Sanctuaires et forteresses almohades: II, les deux Koutobiya***, Hespéris, 1924, T. IV, 2e trim. pp. 181-204.; Idem., ***Sanctuaires et forteresses almohades: III, le Minaret de la Koutobiya*** (4 planches, relevés et dessins de J. Hainaut), Hespéris, 1925, T. V, 3e trim. pp. 311-376.; Idem., ***Sanctuaires et forteresses almohades : (suite et fin) : la tradition almohade à Marrakech***, Hespéris, 1927, T. VII, 3e trim. pp. 287-346. 4 planches+35 figures. ; De Castries, H., ***Les sept patrons de Marrakech***, Hespéris, 1924, T. IV, 3e trim. pp. 245-304.; Idem., ***Le cimetière de Djama el-Mansour***, Hespéris, 1927, T. VII, 3e trim. pp. 347-366.; De Cénival, P., ***L'église chrétienne de Marrakech au XIIIe siècle***, Hespéris, 1927, T. VII, 1er trim. pp. 69-84.; Idem., ***Les émirs des Hintata –rois de Marrakech-***, Hespéris, 1937, T. XXIV, 4e trim. pp. 245-257.; Colin, G.-S., ***Noms d'artisans et de commerçants à Marrakech***, Hespéris, 1931, T. XII, fascicule II. pp. 229-240.; Idem., ***Une nouvelle inscription saa'dienne de Marrakech***, Hespéris, 1945, T. XXXII, fascicule unique. pp. 73-76.; Deverdun, G., ***Nouvelles inscriptions arabes à Marrakech***, Hespéris, 1947, T. XXXIV, 3e-4e trim. p. 445.; Idem., ***Note sur les plans français de Marrakech au XIXe siècle***, Hespéris, 1949, T. XXXVI, 1er-2e trim. pp. 236-242.; Idem., ***A propos de l'estampe d'Adrien Matham: Palatium magni regis maroci in Barbaria (vue de la casbah de Marrakech en 1641)***, Hespéris, 1952, T. XXXIX, 1er -2e trim. pp. 213-221.; Idem., ***l'âge des tombeaux saâdiens de Marrakech d'après des documents nouveaux***, Hespéris, 1953, T. XL, 3e-4e trim. pp. 557-562., Gallotti, J., ***Le lanternon du minaret de la Koutoubia à Marrakech***, Hespéris, 1923, T. III, 1er trim. pp. 37-68. 3 planches+8 figures.; Koehler, R.P.H., ***La kasba sâadienne de Marrakech, d'après un plan manuscrit de 1585***, Hespéris, 1940, T. XXVII, fascicule unique pp 97-98 ; Meunié, J., ***Le grand Riad du palais du =***

المعرفي في اتجاه البعض إلى انجاز دراسات تركيبية حول المدينة[1]، لكن افتقاد عناصر الإجابة على مجموعة من الأسئلة التاريخية العالقة، جعل من أولويات البحث انجاز حفريات أثرية بالمدينة كحال العديد من المواقع التاريخية والأثرية في المغرب، فانبرى لإنجاز هذا العمل فريق علمي تكون من باحثين فرنسيين راكموا خبرة كبيرة في التاريخ والعمارة الإسلامية بمراكش خاصة والمغرب على وجه العموم، هُم جاك مونيي J.Meunié وهنري تيراس H.Terrasse.

كانت بدايات هذه الحفريات سنة 1947 بمحيط مسجد الكتبية حيث مركز المدينة زمن التأسيس، بعدما قرر شارل تيراس كمدير لمعهد الدراسات العليا المغربية بالرباط وكمفتش للمباني التاريخية بالمغرب، استئناف أبحاثه التي سبق أن بدأها منذ سنة 1923 رفقة زميله هنري باسي H.Basset حول مسجد الكتبية[2]. وقد شارك إلى جانبه في هذا المشروع العلمي، شارل آلان Ch.Allain الذي قام في العديد من الأوقات بتسيير ورش الحفريات التي حظيت بالدعم والتشجيع من طرف المقيم العام الفرنسي الجنرال جوان Juin، والجنرال دوتفيل d'Hauteville حاكم جهة مراكش، والمراقب المدني المكلف بالشؤون الحضرية M.Bolnot، ورئيس المصالح البلدية Bayloc، إضافة إلى عدد كبير من الموظفين الأوربيين بمختلف مصالح العاصمة الرباط، وعدد مهم من الباحثين المشهود بتفوقهم في ميادين تخصصهم، مثل وليام وجورج مارسي William et Georges Marçais، والمستعرب جورج سان كولان G.S.Colin، أما غاستون دوفردان العارف بتاريخ المدينة، فكان يزور ورش الحفريات بشكل متكرر، ليقدم ملاحظاته ومساعداته فيما يتعلق بالنصوص العربية الكفيلة بتوضيح مجموعة من القضايا التاريخية المتصلة بموضع الحفريات، بل تولى إعداد دراسة للكتابات العربية المنقوشة المكتشفة أثناء هذه الحفريات.

= ***Badi selon le plan publié par J. Windus***, Hespéris, 1957, T. XLIV, 1er-2e trim. PP. 129-134.; Sauvaget, J., ***Sur le minbar de la Kutubiya de Marrakech***, Hespéris, 1949, T. XXXVI, 3e-4e trim. pp. 313-320.

[1] – أقصد هنا الدراسة التركيبية التي أنجزها غاستون دوفردان، والتي صدرت بعد إتمام هذه الحفريات ونشر نتائجها، بل استفادت أيضا، من حفريات أخرى جرت بالقبة المرابطية، ونشرت نتائجها هي الأخرى سنة 1957:

Deverdun, G., ***Marrakech des origines à 1912***. Rabat, Editions Techniques Nord-africaines. 1959. (2volumes)

[2]- Basset, H., ***Une primitive mosquée de la Koutoubia à Marrakech***, *in* Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 67e année, N°3, 1923, pp.248-252. ; Basset, H., Terrasse, H., ***Sanctuaires et forteresses almohades : II, les deux Koutobiya***, Hespéris, 1924, T. IV, 2e trim. pp.181-204. ; Basset, H., Terrasse, H., ***Sanctuaires et forteresses almohades : III, le Minaret de la Koutobiya***, Hespéris, 1925, T. V, 3e trim. pp.311-376.

جُمعت هذه الدراسات فيما بعد إلى جانب دراسات أخرى في كتاب واحد هو:

Basset, H., Terrasse, H., ***Sanctuaires et forteresses almohades***, publications de l'Institut des Hautes-Études Marocaines, Collection Hespéris, N°V, Paris, Larose éditeur, 1932.

نشرت نتائج هذه التنقيبات الأثرية فيما بعد ضمن كتاب، تولّى طبعه ونشره معهد الدراسات العليا المغربية بالرباط[1]، سنة 1952، وهو يقع في 96 صفحة بما في ذلك الفهارس التقنية، إضافة إلى سلسلة من اللوحات الفوتوغرافية، بلغ عددها 71 لوحة، تنضاف إليها لوحة منقوشة تبين مسجد الكتبية ومحيطه مطلع القرن التاسع عشر. وجُعل بذيل الكتاب ثلاثة تصاميم، الأول منها خاص بأول مسجد موحدي بمراكش، والثاني بمسجد الكتبية الحالي، والثالث بنتائج الحفريات شمال مسجد الكتبية. أما متن الكتاب فانقسم إلى عدة محاور، يأتي في بدايتها تقديم عام حول الموقع قبل الحفريات، ثم محور خاص بحصن يوسف بن تاشفين، فمحور ثان كُرّس لدراسة قصر علي بن يوسف، يلي ذلك محور آخر خصِّصَ لأول مسجد موحدي في مراكش، وتنتهي الدراسة بخلاصة عامة، ثم جرد للقى الأثرية المكتشفة، فدراسة للكتابات العربية المنقوشة المكتشفة بالموقع بقلم غاستون دوفردان، تليها دراسة للفن المغاربي في القرن الثاني عشر الميلادي من خلال الحفريات المنجزة بمحيط الكتبية بقلم هنري تيراس.

تجدر الإشارة إلى أن غلاف الكتاب لا يحتوي إلا على اسمي جاك مونيي وهنري تيراس كمؤلفين وحيدين للكتاب، لكن بمجرد تصفح الصورة الداخلية لغلاف الكتاب، نجد اسما ثالثا هو غاستون دوفردان، مع تدقيق أكثر هذه المرة للمهام المُسنَدة لكل واحد من الباحثين الثلاثة، فجاك مونيي تكلف بالحفريات في محيط الكتبية، وأنجز هنري تيراس في المقابل دراسة حول الفن المغاربي في القرن الثاني عشر الميلادي، أما غاستون دوفردان فقام بدراسة ابيغرافية للكتابات العربية المنقوشة المكتشفة بالموقع، لكن هذا لا يمنع البتة من تداخل المهام وتبادل المعارف والأفكار والتجارب أثناء الحفريات وخلال مرحلة الإعداد لإصدار الكتاب.

نظرا لأهمية هذه الحفريات والنتائج التي أسفرت عنها من جهة، وندرة الكتاب وصعوبة الوصول إليه من لدن العديد من الباحثين لقلة نسخه وعدم طبعه طبعة ثانية أو ترجمته للغة العربية من جهة أخرى، سنعمل على تقديم أهم المعطيات الأثرية والتاريخية التي تضمنها الكتاب.

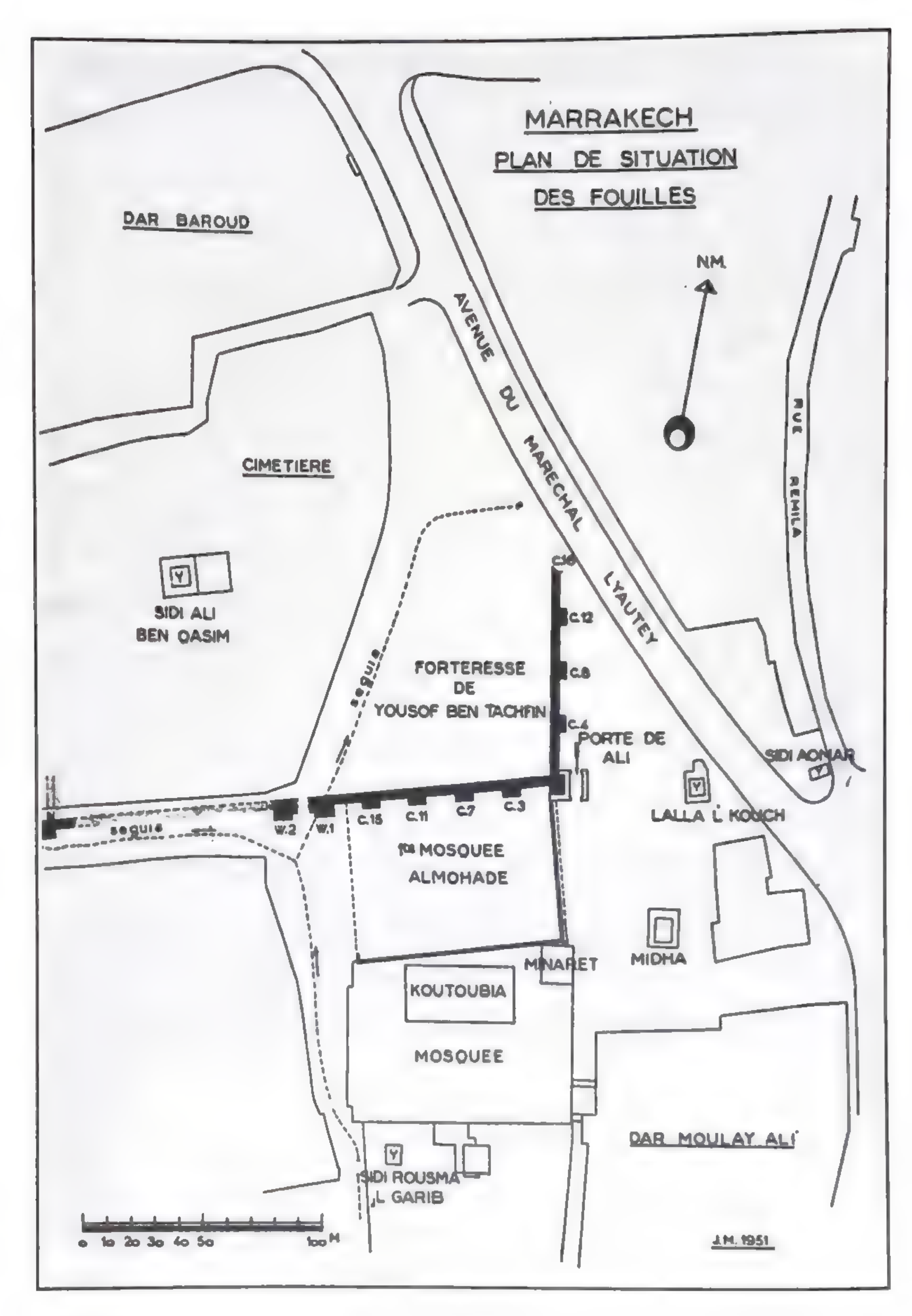
حصيلة التنقيبات الأثرية :

يبدأ الكتاب بالإشارة لواحدة من أُولى المحاولات للتعرف على موقع الكتبية والآثار المحيطة بها سنة 1923، لما زار كل من هنري باسي وهنري تيراس الموقع، فتمكنا من مطابقة

[1]- Meunié, J., Terrasse, H., ***Recherches archéologiques à Marrakech***, publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines, Tome LIV, Paris, Arts et Métiers graphiques, 1952.

الجدار الشمالي لمسجد الكتبية الحالي مع جدار قبلة المسجد الأول، كما توصلا إلى وضع تصميم تقريبي لهذا المسجد، وقد استقر رأيهم آنذاك على تسميته بالمسجد الأول، لعدم معرفتهم بإسمه، ولكونه سابقا في التأسيس على مسجد الكتبية، ولأنه أسِّس مباشرة بعد فتح الموحدين للمدينة سنة 1147، لذلك فهو "المسجد الأول" الموحدي تمييزا له عن مسجد الكتبية الذي يعد "مسجدا ثانيا" أضيف للأول كامتداد له.

لم يكن المسجد الأول وحده موضوع اهتمام هؤلاء الباحثين، إذ أثارت البقايا الأثرية الأخرى حيرتهم، فعلى بعد حوالي ستين مترا شمال صومعة الكتبية، لوحظت بقايا بناء استعملت فيه قطع حجرية كبيرة جُلبت من جبل جليز. وما زاد الأمر تعقيدا وحال دون التعرف على طبيعة البناء وبدء أشغال التنقيب، هو استعمال موضع المسجد الأول كمكب عمومي للأتربة المترتبة عن عمليات هدم المباني في المدينة، خاصة منها المجاورة لمسجد الكتبية. فتطلب الأمر وقتا طويلا لتهيئة الموقع لأشغال الحفر والتنقيب التي لم تبدأ فعليا إلا في اليوم السادس عشر من شهر فبراير سنة 1948، ووُضع كهدف لها التحقق من فرضية كون بقايا البناء سالفة الذكر هي آثار صومعة مسجد أو أنقاض القصر المرابطي دار الحجر، واستكمال المعلومات حول المسجد الأول، وإبراز العلاقة بين تلك الأنقاض والمسجد، والبحث أخيرا عن معطيات حول الفترة السابقة للاستقرار الموحدي بالمدينة.



تصميم موضع الحفريات بمحيط الكتبية

حصن يوسف بن تاشفين:

انطلق مونيي في تنقيباته من خبر تأسيس مراكش كما أورده المؤرخ ابن أبي زرع: "ودخلت سنة أربع وخمسين وأربعمئة، فيها تقوا أمر يوسف بن تاشفين بالمغرب وكبر صيته وفيها اشترا موضع تأسيس مدينة مراكش ممن كان يملكه من المصامدة، فسكن الموضع بخيام من الشعر، وبنا فيه مسجدا للصلاة وقصبة صغيرة"[1]، كما استعان بالإشارة الواردة لدى أحمد بن خالد الناصري حول تطابق موقع تأسيس المسجد والقصبة مع الموقع المسمى في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين بالسَّجينة[2]، فاتضح له أن نواة المدينة وُجدت قرب مسجد الكتبية الحالي، حيث باشر تنقيباته ليَجِد أجزاء مهمة من سور شُيد بالكامل من الحجارة، كان فيما سبق يحيط بقصبة / حصن يوسف بن تاشفين.

احتفظ هذا السور ببعض أجزائه سليمة، خاصة عند زاويته الجنوبية الشرقية وطرف من ضلعه الجنوبي الذي بلغ طول ما اكتشف منه 14 مترا، أما ارتفاعه في الأجزاء المحفوظة جيدا فقد وصل إلى مترين وخمسة وسبعين سنتيمترا. وهُو مشيد بطريقة محكمة، إذ أقيم جِداران متوازيان، يبلغ سمك كل واحد منهما مترا واحدا، ويبعدان عن بعضهما البعض بـ 0.90 مترا، استعملت في بنائهما الحجارة المشذبة، ومُلِئ الفراغ الموجود بينهما بالحجارة أيضا. وقد أشار مونيي إلى كونها طريقة لا تشبه البتة الطرق المستخدمة في التسوير المعروفة بالمغرب والأندلس، لكنها تقترب شيئا ما من النظام المستخدم في بناء السور المحيط بقلعة بني حماد في الجزائر.

كشف مونيي أيضا في السور الجنوبي عن عدة أبراج، وُجد أحدها بزاويته الغربية والآخر بزاويته الشرقية، إضافة إلى أربعة أبراج مستطيلة الشكل هي التي تمكّن من الكشف عنها. وانطلاقا من البرج الموجود بالزاوية الشرقية كشف عن اتخاذ السور لاتجاه الشمال على امتداد 71 متر، أي إلى حدود شارع محمد الخامس (شارع ليوطي سابقا)، وقد كُشف أيضا في هذا القسم الشرقي من السور، عن ثلاثة أبراج مماثلة لتلك المُكتشفة في القسم الجنوبي منه، إضافة إلى برج رابع كشف عن جزء منه تحت الرصيف. كما تمكن مونيي من رصد اتجاه جديد

---

[1] – الفسي علي ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة و الوراقة، 1973. ص. 138.

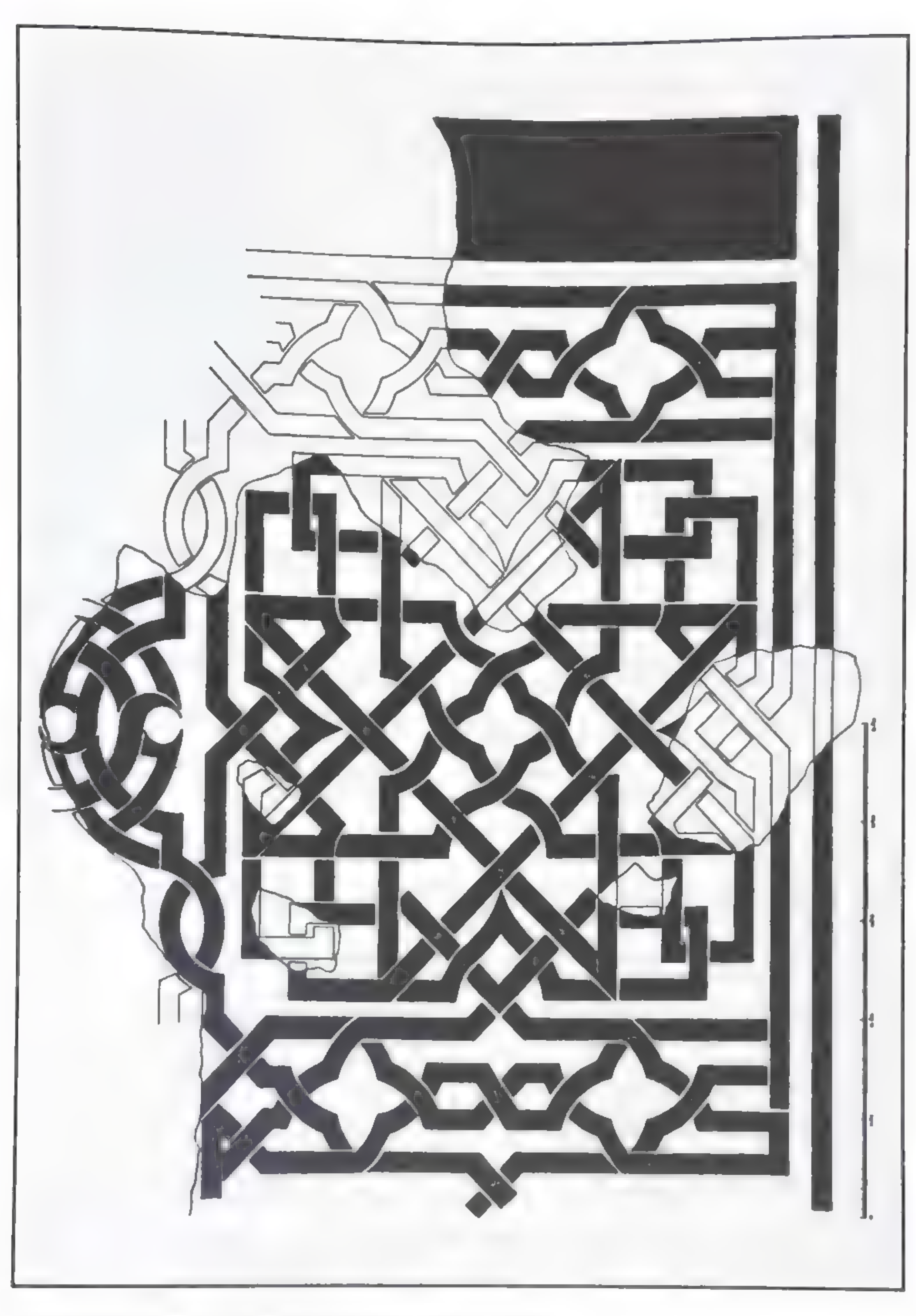
[2] – الناصري أحمد بن خالد، كتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق أحمد الناصري، أشرف على النشر محمد حجي وإبراهيم بوطالب وأحمد التوفيق، الرباط، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، 2001. الجزء الثاني. ص. 192.

للسور تجاه الشمال انطلاقا من البُرج الموجود بالزاوية الغربية في القسم الجنوبي من السور، لكنه لم يتمكن من تتبع هذا الجزء الغربي من السور لوجوده تحت أرضية المقبرة الإسلامية ودار البارود المُجاورين لمسجد الكتبية، لكنه بات يعلم على الأقل أن طول السور الجنوبي من زاويته الشرقية إلى زاويته الغربية هو 218 مترا.

لقد أثار هذا السور إعجاب الباحثين، فهو شديد الصلابة، وذو سمك كبير يصل إلى حدود ثلاثة أمتار، متجاوزا بذلك سمك السور المحيط بحصن تاسغيموت المرابطي. ورغم استحالة التعرف على الشكل العلوي للسور ومواد بنائه، فهناك احتمال كبير لأن يكون قد شيد بالكامل من الحجارة، فالمصادر العربية تتحدث كلها عن دار الحجر وقصر الحجر وسور الحجر، أي أن مادة البناء المُستخدمة كانت هي الحجر دون غيره من المواد.

ولما كان الباب / الأبواب لازمة من لوازم السور، فقد بحث عنه المنقبون الأثريون، فاكتشفوا بمنتصف السور الجنوبي بناءً مستطيل الشكل، شبيها بالأبراج الأربعة التي تتخلل هذا الجزء من السور، لكنه أكبر منها بقليل. ولمّا لم يجد مونيي أي مؤشر يدل على وجود انحراف في اتجاه السور عند هذا الموضع، تبثَ لديه أن البناء عبارة عن بُرجَين يُشرفان على باب من أبواب الحصن، لكنه لم يعثر بعد تنقيباته الأثرية إلا على الجانب الشرقي من هذا الباب، مع منكبيه الدَّالين على موضع مِصراعي البوابة.

يتخذ مدخل الباب شكل ممر مستقيم ومتعامد مع السور، تحده في الداخل كما في الخارج مناكب الأقواس، وعلى بُعد ثلاثة أمتار شرقيه، يُوجد مدخل خاص بمَمر يتخذ شكلا مائلا في بدايته نحو اليسار، حيث تبدأ أدراج ربما كانت تؤدي إلى غرفة أقيمت داخل البُرج الـمُشرف على باب الحصن. وبالانتقال إلى شمال البرج، نجد حوضا مائيا صغيرا يتخذ شكل قوس، بُني بالآجر وزُوِّد بثلاث طبقات من المِلاط المُكون من الجير وشظايا الآجر أو الحجر إضافة إلى الكوارتز. كان الماء ينساب إليه من أنبوب برونزي لازالت آثاره موجودة وسط الحوض الذي كانت تحيط به أربعة أعمدة لم يُعثر إلا على ثلاثة منها. لقد شُيّد كل شيء هنا بالآجر، وأضيفت إليه طبقات من الطلاء وزيّن بأشكال هندسية مرابطية دون شك، رُسمت بخطوط عريضة حمراء، فكوّنت لوحات فنية تختلف الواحدة منها عن الأخرى، فقد وضعت الرُّسوم بكل حرية متجاوزة قوانين التماثل المعروفة.



جانب من الزخارف الهندسية المرابطية قرب حوض الماء المكتشف
بجوار باب الجدار الجنوبي لحصن يوسف بن تاشفين

بالعودة للنصوص المكتوبة، نجد المؤلف المجهول (ابن سِمّاك العامِلي حسب البعض من الباحثين) في الحلل الموشية، يذكر أن يوسف بن تاشفين اشتغل ببناء الحصن المسمى قصر الحجر، برحبة مراكش، وجعله تحت سور وأبواب وحصّنه[1]. أي أن الحصن توفر على عدة أبواب، تم الكشف عن واحد منها في السور الجنوبي للحصن أثناء هذه الحفريات، أما مسجد الطوب الذي أسسه يوسف بن تاشفين في نفس الوقت الذي أسس فيه الحصن، فمن المستبعد العثور عليه، لأن الآجر كان يُسرق على الدوام ليستخدم في الأبنية الجديدة، كما أن الموحدين قاموا بتخريبه بعد دخولهم مدينة مراكش، أما الحصن فظل قيد الاستعمال طيلة فترة حكم الخلفاء الموحدين الثلاثة الأوائل، ثم جرى استخدامه فيما بعد كسجن ثم كمقبرة في النهاية.

قصر علي بن يوسف:

يبدو من خلال المصادر العربية المكتوبة، أن مراكش لم تشهد نشاطا عمرانيا مهما بعد تأسيس يوسف ابن تاشفين لكل من الحصن والمسجد، حتى تولى الحكم علي بن يوسف، فقام بتسوير مراكش[2]، وبناء جامعها ومنارها[3] وسقايتها وقصر إمارتها[4]. وبالبحث عن هذه المنشآت العمرانية، نجد أن الأسوار المرابطية تطابق إلى حد كبير تخطيط الأسوار الحالية للمدينة، في حين نجد الجامع المرابطي قد حل محله مسجد ابن يوسف الحالي، أما منارته فقد كشف عنها كل من غاستون دوفردان وشارل آلان[5].

[1]- مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، حققه سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، الطبعة الأولى، 1979. ص. 25.

[2]- دعا الدكتور محمد رابطة الدين لتوخي الحذر، وعدم قبول التواريخ المقدمة في المصادر الوسيطية لتأسيس السور دون نقد وتمحيص، فهناك تعارض كما يقول بين ظرفية تأسيس المدينة التي تفيد حاجة هذه الأخيرة إلى السور منذ تأسيسها، وبين مادة الموضوع في المصادر المتداولة، التي قدمت تواريخ متأخرة. أنظر: رابطة الدين محمد، **حول تاريخ تأسيس سور مراكش**، ضمن أعمال ندوة أسوار المدن بتانسيفت، منشورات مجموعة البحث في تاريخ المجال والإنسان بتانسيفت، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، 2001. ص. 67.

[3]- **المصدر نفسه**، ص. 90.

[4]- الزركشي محمد بن ابراهيم، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق وتعليق محمود ماضور، تونس، المكتبة العتيقة، الطبعة الثانية، 1966. ص. 8.

[5]- Deverdun, G., Allain, Ch., ***Le Minaret almoravide de la mosquée ben youssef à Marrakech***, *in* Hespéris-Tamuda, T. II, fascicule 1, 1961, pp.129-134.

من جهة أخرى يخبرنا صاحب الاستبصار أن الخليفة الإمام بنى بالمدينة "جامعا عظيما ثم زاد فيه مثله أو أكثر في قبلته، كان قصرا، ورفع بينهما المنار العظيم الذي لم يشيد في الإسلام مثله، وأكمله ابنه وخليفته أبو يعقوب"[1]، أي أن قصر الإمارة الذي أسسه علي بن يوسف أصبح جامعا زمن حكم الموحدين، وهو ما أكدته بالفعل التحريات الأثرية، بكشفها جنوب السور الجنوبي للحصن المرابطي في المحل الذي كان في السابق مسجدا، عن بنيات أثرية سابقة زمنيا على المسجد، تتجلى في بقايا جدران وأرضيات، توجد على عمق يتراوح ما بين 0.20 و 0.50 مترا أسفل المستوى الموحدي، لكن في بعض الأحيان نجد الأرضية الموحدية (يبلغ سمكها 0.08 مترا) مباشرة فوق الأرضية المرابطية دون فاصل يفصل بينهما. ومع أن المُكتَشَف من هذه البنيات لا يشكل القصر المرابطي في كليته، فإنها تمثل جزءا منه أو مرفقا من مرافقه التابعة له. ويبدو من خلال معاينة الجدران ووضعيتها وعلاقتها بالأبنية الأخرى، أنها سابقة على المسجد الموحدي الأول لكنه حديثة مقارنة بالحصن المرابطي الذي أسسه يوسف بن تاشفين.

ولعل أهم ما اكتشف من بقايا قصر علي بن يوسف، رياض صغير بحوض مائي ذي قعر مطلي بطلاء أحمر، وأربعة أحواض مخصصة للأغراس يفصلها عن بعضها البعض ممران متقاطعان وسط الرياض. وتكمن أهميته رغم بساطته وصِغره في كونه قابلا للتأريخ بدقة، فهو معاصر للقصر وسابق على المسجد الموحدي، لذا فهو من مباني النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي.

[1] - مجهول. كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، مشروع النشر المشترك بين دار النشر المغربية بالدار البيضاء ودار الشؤون الثقافية العامة ببغداد، 1986. ص. 209.



الرياض المرابطي المكتشف تحت أرضية المسجد الموحدي الأول

أشار مونيي أيضا في سياق وصفه لقصر علي بن يوسف، للحضور المهم للماء بالموقع، فقد اكتشف عدد كبير من الخطارات والآبار، سابقة في وجودها على المسجد الموحدي، بل قد تكون مما أنجز زمن تأسيس مراكش. وعن الامتداد الجنوبي للقصر، يذكر الباحث أن هناك آثار جدران تمتد أسفل الجدار الشمالي لمسجد الكتبية الحالي حيث من المحتمل إيجاد أهم بقايا قصر علي بن يوسف، الذي لازلنا نجهل إن كان قد شُيِّد هو الآخر بالحجر[1] كما هو حال الحصن. وفي انتظار استبارات وتحريات أثرية أخرى، يقترح مونيي وجود خلط لدى المصادر التاريخية المغربية بين حصن الحجر من جهة وقصر الحجر من جهة أخرى.

[1] – يذكر الإدريسي في سياق حديثه عن تأسيس مدينة مراكش، قصر علي بن يوسف، فيقول عنه: "ليس حول مراكش شيء من الجبال، إلا جبل صغير يسمى ايجليز ومنه قُطع الحجر الذي بني منه قصر أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين وهو المعروف بدار الحجر". أنظر: الإدريسي محمد بن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1994، المجلد الأول، ص. 233.

إذا كانت الحجارة منعدمة في بقايا الأبنية التي عثر عليها مونيي ضمن حدود قصر علي بن يوسف، فإن هناك بناءً في الزاوية الجنوبية الشرقية للحصن شيِّد بالكامل من حجر جبل جليز، يشبه إلى حد كبير الحجر المستعمل في بناء الصومعة المرابطية لمسجد ابن يوسف، يصل طول بعض القطع الحجرية المستعملة في بنائه إلى متر وأربعين سنتيمترا، أما سمكها فيبلغ أحيانا 0.60 مترا. فلأيِّ عصر يعود هذا البناء، ولأي منشأة يمكن نسبته؟ هذا هو السؤال الذي تبادر إلى ذهن مونيي لما همّ بدراسته.

كشفت التنقيبات الأثرية عن هوية هذا البناء، فقد تبين أنه باب ذو اتجاه شمال-جنوب، يبلغ طوله عشرة أمتار وستون سنتيمترا، تحده من أطرافه أقواس كاملة العقد. الجانب الشرقي منه شيد جزئيا من التراب المدكوك، ووحدها النهايات الجنوبية والشمالية مشيدة بقطع الحجارة الضخمة، أي الواجهات حيث توجد الأقواس. أما بالنسبة لتاريخه، فقد لاحظ مونيي أنه أَحْدَثُ من البرج الشرقي بالسور الجنوبي للحصن، زيادة على ذلك تدل الآثار المتبقية على أن الباب استحدث بعد تأسيس كل من الحصن والقصر، لكنه سبق تأسيس المسجد.

إذا كانت البقايا الأثرية قد كشفت للباحثين عن الشكل السفلي للباب، فإنها لم تسمح في المقابل بالكشف عن شكله العُلوي، فالتجأ مونيي إلى وثيقة نادرة وردت في رحلة علي باي العباسي، وهي عبارة عن صورة منقوشة خلال القرن التاسع عشر، تبين برجا مربع الشكل بالقرب من صومعة الكتبية، يرتفع بحوالي ثلاثة أو أربعة طوابق، ربما بالغ الرسام في رسمه، لكن من المستبعد أن يكون قد تخيله. وفي غياب أي نص يكشف حقيقة هذا البرج، تقدم الباحث بفرضية كونه صومعة استخدمها الموحدون لوقت معين، واستمرت في الوجود إلى حدود القرن التاسع عشر[1].

---

[1] - أظهر الدكتور محمد رابطة الدين في أحد حواراتنا معه، تحفظا حول هذه الفرضية، نظرا لصعوبة ضبط الزاوية التي أخذ منها ذلك الرسم، وافترض في المقابل، مُبالغة الرسم في إبرازه لارتفاع أحد أجزاء سقف مسجد الكتبية من الجهة الغربية والمتميز بعلوه النسبي مقارنة مع بقية أطراف السقف. من جهة أخرى، نرى أن الحل يكمن في إنجاز دراسة دقيقة لكل الرسوم المنقوشة الخاصة بمسجد الكتبية ومحيطه، للوقوف على حيثيات تصويرها وإبراز التقطعات والاختلافات الممكنة بينها، للوصول في النهاية إلى نتيجة فيما يتعلق بهذا البرج المثير للجدل.



لوحة منقوشة من القرن التاسع عشر، تبرز فيها صومعة الكتبية وبجوارها برج مجهول الهوية

ربما يكون هذا الباب الذي وقع بناؤه بعد تشييد القصر، أحد منجزات علي بن يوسف، فهناك نص تاريخي مجهول المؤلف، يشير لهذا الباب بقوله: "وفي يوم السبت الثامن لشوال من عم أحد وأربعين وخمسمائة أمر عبد المؤمن بالدنوّ من المدينة فأحدقوا حواليها ورفعوا سلاليمها إلى السور وطلعوا عليها فدخلوا المدينة عنوة من باب أيلان وقتلوا جميع من أدركوا من اللمتونيين وانحصر إسحاق أميرهم مع أشياخهم منهم سير بن الحاجّ وسير بن ينتان وجملة من أعيانهم بداخل قصبتهم المعروفة بقصر الحجر وملكها أبو محمد عبد المؤمن في ذلك اليوم ثم استولى بالغلبة على قصبتها وعلى من تحصّن بها فامتنع الباقي منهم في غرفة كانت على باب عليّ بن يوسف"[1]. فأين وُجد باب عليّ؟ لقد وُجد حسب مونيي، قرب القصر حيث توفرت إمكانية الربط بينهما، بما أن أولئك الذين وقع احتجازهم بالقصبة لم يجدوا ملجأ آخر إلا تلك الغرفة فوق الباب، لكن النص لا يفصح عن طبيعة هذا الباب، فنحن لا نعلم إن كان أحد أبواب القصر. انطلاقا من هذه النتائج يخلص مونيي إلى المطابقة بين الباب المكتشف وباب علي بن يوسف، لعدم عثوره على باب تتوفر فيه مواصفات باب علي.



الباب المرابطي المسمى حسب مونيي وتيراس بباب علي بن يوسف

---

[1]- Provençal, É.-L., ***Notes d'histoire almohade, III : Un nouveau fragment de chronique anonyme***, *in* Hespéris, T. X, Fascicule 1, 1930, pp.67-68.



أشغال التنقيب وإزالة الأتربة بالباب المرابطي (باب علي بن يوسف)

المسجد الموحدي الأول بمراكش:

يشبه المسجد الموحدي الأول في تصميمه، كلا من مساجد تازة وتينمل والكتبية، وعِلّة هذا التشابه، تأسيسهم جميعا من طرف الخليفة الموحدي عبد المؤمن في أوقات متقاربة، أما وجه الاختلاف العام بين هذه المساجد فهو المساحة، فمسجِدا مراكش يكبران شيئا ما بقية المساجد.

أشار مونيي إلى أن جل المعطيات التي تمكن من تجميعها حول المسجد الموحدي الأول، كان مصدرها أساسات أعمدة المسجد لا الأعمدة نفسها، فلم يتبق من هذه الأخيرة إلا الأثر، ونادرا ما تجاوز أحدها مستوى أرضية المسجد، فقد أعيد استعمال الآجر المستخدم في بنائها أو تعرض للسرقة عبر العصور. أما جدران المسجد، فقد خصّ لها وصفا تقنيا ومعماريا مطولا، فالجدار الشمالي للمسجد هو نفسه جدار الحصن المرابطي الذي أسس المسجد لصقه. أما الجدار الجانبي الغربي فقد اختفى كليا، ولم يتبق منه إلا أجزاء من أساساته الحجرية، أما جدار القبلة فظل محفوظا لحسن الحظ، بسبب استخدامه كجدار شمالي لمسجد الكتبية، وقد لوحظ على طوله آثار بدايات الأقواس، كمُؤشّر على موضع القِباب الخمس التي كانت تعلو البلاط المُلاصق للقبلة. وعن مواد بنائه، أشار الباحث إلى استخدام الآجر في تشييد أقواسه وأبوابه وأعمدته.



البنيات الأثرية المرابطية والموحدية بموقع المسجد الموحدي الأول
(صورة مأخوذة من صومعة الكتبية)

وقد وُجدت في نفس الجدار، خمس نوافذ يمين المحراب وخمس أخرى على يساره، تم إغلاقها فيما بعد لانتفاء الداعي لوجودها، بواسطة طلاء غطّى النوافذ وزخارفها النباتية، حتى تُفتح عشرة منافذ في الجدار لتمكين المصلين من المرور من المسجد الأول إلى المسجد الثاني أي مسجد الكتبية، الذي تميز عن الأول بمخالفته في اتجاه قبلته[1]. وقد فسّر الباحثان الحفاظ على المسجد الأول دون إزالته رغم تشييد المسجد الثاني، بحدوث نمو ديمغرافي متزايد لساكنة مراكش استدعى توسعة المسجد الأول بتشييد واحد آخر لصقه ومخالف له شيئا ما في قبلته[2]، يتصلان معا بواسطة منافذ استحدثت في جدار القبلة، ومع ذلك فقد ظلا معا أصغر مساحة من مسجد حسان بمدينة الرباط الذي سيتم بناؤه فيما بعد[3]. أما محراب المسجد الأول فظل على

---

[1] - إذا كان السبب وراء تشييد مسجد الكتبية، هو الرغبة في تدارك الخطأ الواقع في اتجاه قبلة المسجد الأول، فإنه من المثير للاستغراب أن اتجاه قبلة الكتبية أشد تحريفا من المسجد الأول.

[2] - لما تم بناء صومعة الكتبية، ترك التغيير الطارئ على اتجاه القبلة بمسجد الكتبية فراغا مثلث الشكل بين الصومعة والزاوية الجنوبية الشرقية للمسجد الأول. فتم وصل البنائين برصف من الحجارة شيّد في نفس الوقت وبنفس الحجارة التي بنيت بها صومعة الكتبية.

[3] - بلغت مساحة المسجدين معا 10300 متر مربع، أما مساحة مسجد حسان فهي 25500 متر مربع.

حاله دون أن يُحجَب، حتى تقرر التخلي عن المسجد في تاريخ غير معلوم، آنذاك أغلق المحراب والمنافذ العشرة المستحدثة للوصل بين المسجدين.



بقايا محراب المسجد الموحدي الأول

بعد وصف جدار القبلة، انتقل الباحث مونيي لوصف الجدار الجانبي الشرقي للمسجد، والذي احتفظ بأحد أبوابه قائما بطرف الصف الأول، وهو باب من أصل أربعة أبواب كانت مفتوحة بهذا الجدار. وقد أمكن التعرف على شكل الأقواس المزينة لهذه الواجهة الشرقية من خلال صورة فوتوغرافية يعود تاريخ التقاطها إلى سنة 1882 أو 1883م.



الجدار الشرقي للمسجد الموحدي الأول والباب المسمى باب علي بن يوسف

أما بالنسبة لأسقف المسجد، فلم تسفر التنقيبات الأثرية عن اكتشاف أجزاء منها، باستثناء قطع كثيرة من القرميد التي كانت تغطي أسقف المسجد. والأمر نفسه بالنسبة للأقواس، فلم يتم العثور على أي قوس من أقواس المسجد باستثناء قوس الباب الشرقي، وآثار أقواس على طول جدار القبلة.

المقصورة المتحركة:

لما باشر مونيي التنقيب قرب جدار القبلة ظن للوهلة الأولى أن الآثار الموجودة قرب المحراب ليست إلا بقايا أعمدة المسجد، لكن معاينة هذه الأنقاض ودراستها كشف عن العكس، فقد كانت هذه الآثار آثار المقصورة المتحركة، والتي وصفها المؤلف المجهول في الحلل الموشية كالتالي: "وصنع مقصورة من الخشب لها ستة أضلاع، تسع أكثر من ألف رجل، وكان المتولي لصنعة خروجها رجل من مالقة، يقال له الحاج يعيش...، وكيفية هذه المقصورة أنها وضعت على حركات هندسية ترفع بها لخروجه، وتخفض لدخوله، وذلك أنه صنع على يمين المحراب باب داخله المنبر، وعن يساره باب داخله دار فيها حركات المقصورة والمنبر، وكان دخول عبد المؤمن وخروجه منها، فكان إذا قرب وقت الرواح إلى الجامع يوم الجمعة، دارت الحركات بعد رفع البسط عن موضع المقصورة، فتطلع الأصلاع به في زمان واحد لا يفوت بعضها بعضا بدقيقة، وكن بب المنبر مسدودا، فإذا قام الخطيب ليطلع عليه، انفتح الباب وخرج المنبر في دفعة واحدة، بحركة واحدة، ولا يسمع له حس، ولا يرى تدبيره"[1].

[1]- مجهول، الحلل الموشية...، المصدر السابق، صص. 144-145.



البقايا الأثرية الشاهدة على المقصورة المتحركة

إذا كانت الأوصاف المذكورة هنا متطابقة تمام التطابق مع البقايا الأثرية التي كشف عنها الباحث مونيي، فان هناك مبالغة سجلها هذا الأخير على مستوى سعة المقصورة، فهي لا تستطيع أن تتسع لألف رجل، لأن مساحتها المغلقة لا تتجاوز 90 مترا مربعا. أما بالنسبة للمنبر المشار إليه في النص فربما كان هو نفسه المنبر المرابطي لمسجد الكتبية المحفوظ حاليا بإحدى غرف قصر البديع، فقياسات غرفة المنبر بالمسجد الموحدي الأول تقترب كثيرا من قياسات غرفة المنبر بمسجد الكتبية، وهو ما يفتح الباب لإمكانية استعمال المنبر المشار إليه - بعد نقله من مسجد علي بن يوسف بأمر من عبد المؤمن - بالمسجد الأول ثم بمسجد الكتبية، دون أن يكون هناك دليل يدعم هذه الفرضية.

إضافة إلى ذلك تتطابق نتائج البحث الأثري هنا مع نص الحلل، فهذا الأخير يشير لصنع المقصورة بعد بناء المسجد، وهو ما أكده الباحث، فالآثار تدل على أن موضع المقصورة تم تحضيره بعد اكتمال البناء، إذ وقع تعديل الأعمدة، وحفر موضع المقصورة وسط الآجر بدل إعداد الموضع منذ بداية أشغال بناء المسجد. لكن مونيي ظل مترددا حول موضع المقصورة المتحركة، فالحلل لا تشير بدقة للمسجد الذي استقبل هذه المقصورة، هل هو المسجد الموحدي الأول أم مسجد الكتبية؟ مما لا شك فيه أن المقصورة الحالية لمسجد الكتبية غير متحركة على نقيض الآثار الدالة على وجود مقصورة متحركة بالمسجد الأول، لكن وحدها الأبحاث الأثرية بإمكانها إخبارنا بوجود مقصورة متحركة بمسجد الكتبية على غرار المسجد الأول.

إذا كانت الاركيولوجيا قد أوجدت إجابات على مجموعة من الأسئلة التاريخية العالقة، فإنها عجزت في المقابل عن إيجاد حلول للبعض منها، كمسألة بناء عبد المؤمن لنفقين بالمسجد يدخل من القصر إليهما، ومنهما إلى المسجد، لا يطّلع عليه أحد، ووجود مدخل النفقين في المسجد على يسار المحراب. فقد بحث مونيي عن هذين النفقين دون الوصول لأية نتيجة. لكن الإشارة لوجود القصر قرب المسجد جعلت مونيي يتساءل إن كان القصر المذكور هو عينه القصبة المرابطية شمال المسجد الموحدي الأول، أو القصر المرابطي الآخر المحاذي للسور الجنوبي للحصن والممتد جنوب جدار قبلة المسجد الأول، فالحُلل الموشية تخبرنا بوجود المدخل الرابط بين القصر والمسجد على يسار المحراب، وهذا يدفعنا للقول أن النفقين والقصر وقع تدميرهما أثناء تشييد مسجد الكتبية. لكن هناك فرضية أخرى قد تبدو واقعية هي الأخرى، وتقضي بوجود اضطراب في نص الحلل، فربما خلط المؤلف بين المسجد الأول أو المسجدين

الموحدين من جهة ومسجد القصبة الموحدي من جهة أخرى، لأن وصف المقصورة واتساعها يتطابق مع مواصفات بلاطات جدار القبلة بهذا المسجد الأخير، وسيصبح الحديث عن النفقين مقبولا أيضا، إذا ما علمنا أن قصر الخلافة الموحدي أصبح قريبا من المسجد بعد بناء القصبة[1].

الخَزّانان المائيان :

يمتد خزانان مائيان تحت أرضية صحن المسجد، وقد شيدا بالكامل من الآجر، وجرى دعم سقفهما بواسطة ثلاثة أقواس مُدعّمة. أما الجدار الفاصل بين الخزانين فقد فتحت فيه عند قاعدته عدة فتحات لضمان التواصل بين الخزانين، إضافة إلى فتحات صغيرة تم وضعها أعلى هذه الفتحات في مواضع تتوسطها، وللولوج إلى الخزانين، تم إنشاء درج يسمح بالولوج إليها لأخذ الماء.

توصل مونيي انطلاقا من المعطيات الأثرية التي تمكن من تجميعها، إلى تأريخ الخزانين، فهما لم يشيدا في نفس الوقت مع المسجد، بل سبق تشييدهما هذا الأخير، فهما إما مُعاصران لقصر علي بن يوسف أو متأخران عنه بمدة بسيطة، لكن بات من المؤكد أنهما أحدث من حصن يوسف بن تاشفين. فلما احتل الموحدون مراكش، فضّلوا الإبقاء على الخزانين والاستفادة منهما في المسجد المزمع تأسيسه مكان القصر المرابطي، وهو نفس الشيء الذي حدث لما قرروا استغلال الجدار الجنوبي للحصن المرابطي كجدار شمالي لمسجدهم.

الرصيف ودكاكين الكتبيين

تحدث الحسن الوزان عن نحو مائة دكان للكتبيين تحت رواق الجامع، لم يبق منها أثناء زيارته لها ولو دكان واحد[2]. وقد وطّن مونيي هذه الدكاكين قرب صومعة الكتبية الحالية، لأنه المحل الأنسب لإقامة هذه الدكاكين. وبالفعل، فعلى طول الجدار الشرقي للمسجد الموحدي الأول، انطلاقا من باب علي بن يوسف إلى حدود صومعة مسجد الكتبية، وُجد رصيف مُبلط، كانت تحف به الدكاكين، خاصة في جهته الشرقية حيث تم انجاز التنقيبات.

---

[1]- انتهت أشغال بناء القصبة أو تمراكشت سنة 1190م. أنظر: رابطة الدين محمد، مراكش زمن حكم الموحدين : جوانب من تاريخ المجال والإنسان، مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، 2008، الجزء الأول. ص. 98.

[2] - الوزان الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1983، الجزء الأول، ص. 128.



بقايا دكاكين الكتبيين المجاورة للمسجدين

وقد تساءل الباحث عن اسم المسجد الأول قبل استقرار الكتبيين قربه، فرجح تسميته في البداية بالجامع فقط، فلما تزايد عدد الكتبيين قرب الجامع حمل اسم الكتبيين، وقد حمله من بعده أيضا المسجد الثاني أي مسجد الكتبية. أما بالنسبة لتأريخ هذا الرصيف، فقد ميز الباحث فيه بين قسمين، أحدهما قرب الدكاكين، والآخر مستحدث بعده ولاحق على تدمير المسجد الموحدي الأول، ويقترح تأريخ هذا القسم الثاني بمرحلة حكم بني مرين.

من حسنات هذه الحفريات الفرنسية بمحيط مسجد الكتبية، أنها جاءت لتؤكد أن المسجدين معا من تأسيس العاهل الموحدي عبد المؤمن، فتدمير مبان مرابطية تعود لفترة حكم الأمير علي بن يوسف لإقامة مسجد، يؤكد أن المسجد لاحق على بناء القصر، ولا يمكن أن يكون في أي حال من الأحوال مسجد يوسف ابن تاشفين أو جامع علي بن يوسف، كما أكدت الحفريات ما جاء في بعض النصوص، فالمقصورة المتحركة والمنبر ذو الحركات الأوتوماتيكية وُجِدا بالفعل، إضافة إلى العثور على آثار دكاكين الكتبيين على طول رصيف مبلط مجاور للجدار الشرقي للمسجد الموحدي الأول. كما كشفت الحفريات عن العصر السابق للعهد الموحدي، فقد أميط النقاب عن حصن يوسف بن تاشفين الذي سبق نشأة المدينة نفسها، كما كشفت عن عدم تأثر المرابطين في البداية بالفن الأندلسي، لكن مع وصول الموحدين للحكم في القرن الثاني عشر الميلادي وشيئا ما تحت حكم المرابطين بدأ التأثير الأندلسي يعرف طريقه إلى العمارة المغربية.

اللقى الأثرية المكتشفة:

وُضعت جميع اللقى الأثرية المكتشفة بمحيط الكتبية، في قاعة من قاعات قصر البديع، تم إعدادها لتستقبل المكتشفات الأثرية بمراكش والمواقع القريبة منها كسيدي بوعثمان على سبيل المثال. وتنقسم اللقى المذكورة إلى خمسة أنواع هي الرخام والجبس والخزف والزجاج والبرونز، وصل مجموعها إلى 300 قطعة، اختار منها مونيي وتيراس بعض النماذج المُعبرة ذات القيمة الفنية أو التاريخية لعرضها ضمن لائحة وضعاها بعد الانتهاء من وصف نتائج الحفريات.

من بين اللقى الرخامية المكتشفة بموقع الحفريات، أشار الباحثان لتاج عمود أندلسي من عصر الخلافة الأموية، عُثر عليه تحت أرضية المسجد الموحدي الأول، أي أنه من بقايا القصر المرابطي، أرّخه هنري تيراس بالقرن العاشر الميلادي، إضافة إلى شاهد قبر ذو كتابة كوفية، صُنع من رخام مدينة ألمرية ونَسَبَه تيراس للعصر المرابطي، بحكم العثور عليه أسفل أرضية المسجد الموحدي الأول، وهو شاهد قبر يشبه إلى حد كبير أربعة شواهد ملكية عُثر عليها بِغَاو

في السودان الغربي تم صنعها على يد حرفي من ألمرية كما أشار لذلك جون سوفجيه Sauvaget في دراساته حول هذه الشواهد الملكية[1]، كما نبّه الباحثان إلى قطعة رخمية اعتبراه جزءا من ماجل بئر أو خزان مائي، تزينها كتابة كوفية من النوع القُرطبي، وهي أيضا من المواد الأندلسية المستوردة لاستخدامها في الأبنية المرابطية.





تاج عمود أندلسي من عصر الخلافة الأندلسية

[1]- Sauvaget, J., ***Notes préliminaires sur les épitaphes royales de Gao***, Paris, Librairie orientaliste Paul Geuthner, 1934. ; Idem, ***Les épitaphes royales de Gao***, *Al-Andalus*, XIV, 1949, pp.123-141.



شاهد قبر مرابطي خاص بإبراهيم الأقرع

أما بالنسبة للقى الجبسية، فقسم كبير منها كان يزين أعمدة التيجان الخاصة بالمسجد الموحدي الأول، لكن هناك قطعا جبسية أخرى شكّك تيراس ومونيي في نسبتها للعصر الموحدي، وافترضا كونها مرابطية، لكن يبقى هذا الحكم غير مؤكد، لأن القول بكونها مرابطية يقتضي العثور عليها أسفل الأرضية الموحدية التي يجب أن تكون سليمة ولم تتعرض لأي شيء بإمكانه إحداث اضطراب في المستويات الأثرية. في المقابل هناك قطع جبسية جَزَمَ الباحثان بكونها مرابطية، كالقِطع رقم 15 و 43 و 260.

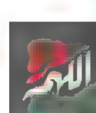
من جهة أخرى، عُثر على قطع خزفية كثيرة وُجد أكبر عدد منها وأقدمها بجوار وخارج السور الشرقي للحصن المرابطي، من بينها كيزان ناعورة وُجدت ببئر على بعد أمتار قليلة شمال باب علي بن يوسف، ومجموعة من المصابيح بعضها مرابطي والبعض الآخر موحدي، إلى جانب قطع من أوانٍ مختلفة.

إلى جانب هذه اللقى، سجّل الباحثان حضور الزجاج ضمن المكتشفات، فقد عُثر على سِوار (القطعة رقم 251) صُنع من عجين الزجاج، استبعد الباحثان فرضية صُنعه بالمغرب أو الأندلس، ورجّحا في المقابل إمكانية جلبه من المشرق، فهناك تشابه كبير بينه وبين سِوار أكتشف بسيستان الأفغانية، وتم تأريخه بسنة 1348م.

من جهة أخرى، أشار الباحثان لعثورهما فيما يخص فئة البرونز، على مئات القطع النقدية البرونزية الدائرية الشكل، وهي قطع في رُمتها حديثة، لا يتجاوز عمرها 80 سنة، إضافة إلى قطع نقدية أخرى أكثر سُمكا لكن عملية الأكسَدة منعت الباحثين من تحديد هويتها. كما سجّل الباحثان بعض الملاحظات حول الآجر المستخدم في البناء، فوجدوه مختلفا عن بعضه البعض على مستوى النوع والأبعاد، سواء بأساسات الجدران المرابطية أو بالمنشآت الموحدية الرّاجح كونها استعملت بعضا من الآجر المرابطي في أشغال البناء.

الكتابات العربية المنقوشة :

أسفرت الحفريات بمحيط الكتبية عن اكتشاف العديد من الكتابات المنقوشة، وهي كما هو معلوم وثائق تاريخية لها مصداقيتها، خاصة إذا لم تتعرض لتحريف في نصها أو تبديل في مكانها. فالنص المنقوش على الحجر أو الرخام أو الجبس أو غيرها من المواد، له أهمية فريدة، فحينما يحتفظ بمكانه الأصلي ويظل ثابتا في موضعه الأولي، يقدم معطيات عن تاريخ المعلمة



التي يوجد فيها، كما يعطي فكرة عن التقنيات المستعملة في تنفيذه، ناهيك عن الذوق الفني لصاحبه، فالكتابة إذن لها بُعدان متكاملان: البعد التعبيري-التوثيقي والبعد الفني-الجمالي[1].

أسند فريق الحفريات مهمة دراسة هذه الكتابات للباحث غاستون دوفردان، فقدم دراسة وافيه لها، قسمها إلى قسمين: قسم خاص بقطعة من شاهد قبر مسلم مجهول، وقسم ثان جمع فيه مختلف الكتابات المنقوشة على الرخام والخزف.

قطعة من شاهد قبر مسلم مجهول: يبلغ طول هذه القطعة 0.90 مترا، وعرضها عند القاعدة 0.20 مترا، أما ارتفاعها فهو 0.15 مترا. أما الكتابة فهي من الطراز الكوفي المعروف بمدينة ألمرية الأندلسية[2]، وتتألف من سطر واحد في كل واجهة من الواجهات الأربعة لشاهد القبر. يعود تاريخ هذه القطعة إلى ما قبل سنة 1147م تاريخ استيلاء الموحدين على مراكش[3]، وتكمن قيمتها في كونها شاهد القبر المرابطي الوحيد المُكتشف بالمغرب حسب دوفردان، كما أنها تقدم الدليل على كون الموحدين بعد استيلائهم على مراكش، لم يظهروا الاحترام اللازم لقبور أعدائهم المرابطين. هذا نص الكتابة المنقوشة: "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى اله وسلم تسلما[4] لا اله إلا الله هاذا قبر.. براهيم الأقرع رحمه الله ورحم من دعا له[5] برحمة آمن[6] محمد رسل[7] الله"[8].

---

[1] - عوني الحاج موسى، فن المنقوشات الكتابية في الغرب الإسلامي: مدونة الكتابات المنقوشة السعدية والعلوية بمدينة فاس، دراسة تاريخية وفنية، الدار البيضاء، منشورات مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية و العلوم الإنسانية، سلسلة أبحاث، رقم 2. 2010. الجزء الأول، ص. 20.

[2] - اكتشف أزيد من مائتي كتابة عربية منقوشة تنسب لمدينة ألمرية، تم نقشها على الرخام الأبيض المجلوب من مقالع ماكايل Macael قرب المدينة، من بينها شواهد قبور وُجدت بفرنسا واسبانيا ومالي، أما في المغرب فهناك شاهد القبر المرابطي المكتشف تحت مستوى أرضية المسجد الموحدي الأول بمراكش، أنظر:

Belgado, J.-L., ***Les stèles funéraires d'Almeria marqueurs du commerce et de la circulation des objets en Méditerranée***, *in Le Maroc médiéval, un empire de l'Afrique à l'Espagne*, Louvre éditions, Paris, Hazan, 2014, p.236.

[3] - تم تأريخ هذه القطعة بالاستناد إلى المستوى الأثري الذي وُجدت فيه.

[4] - الأصح: تسليما.

[5] - الأصح: دعا له.

[6] - الأصح: آمين.

[7] - الأصح: رسول.

[8] - أعاد غاستون دوفردان نشر نص هذه الكتابة العربية مع نفس التعليق، في مؤلفه حول الكتابات العربية المنقوشة بمراكش:

Deverdun, G., ***Inscriptions arabes de Marrakech***, publication de l'Université Mohammed V- Agdal, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines – Rabat ; Université Cadi Ayyad, Faculté des Lettres et des Sciences =

قطع متنوعة من كتابات عربية منقوشة: يتعلق الأمر هنا بقطع من كتابات عربية منقوشة، وُجدت منقوشة على الرخام والخزف، تقدم عبارات دينية مألوفة مثل: بمَنِّ الله صلى الله، اليُمنُ والإقبال، الرَّحمَان، البرَكة، اليُمن، الـمُلك.

الفن المغاربي في القرن الثاني عشر الميلادي من خلال الحفريات بمحيط الكتبية

اختار هنري تيراس تذييل كتاب "أبحاث أركيولوجية في مراكش"، بدراسة تركيبية حول الفن المغاربي انطلاقا من نتائج الحفريات الأثرية بمحيط الكتبية ابتداء من سنة 1947، وقد نبّه في بدايتها إلى اهتمامه ورفيقه هنري باسي بالموقع منذ سنة 1923، لكن وفاة هذا الأخير سنة 1925، إلى جانب قلة الموارد المالية الكافية لمباشرة الحفريات، أوقف كل مخططات تيراس لدراسة محيط مسجد الكتبية، حتى قَدِم جاك مونيي للمغرب بعد اشتغاله في الحفريات بأفغانستان لصالح البعثة الأثرية الفرنسية، فزوده تيراس بعدما صار مفتشا للمآثر التاريخية بالمغرب، بالموارد الكافية لانجاز الحفريات، التي اقتصر عمل تيراس فيها على الإشراف العام وتأويل بعض المعطيات.

=Humaines – Marrakech, série Les Trésors de la Bibliothèque, N° 10, 1er édition, 2011 (Réédition du texte publié par l'Institut des Hautes Etudes Marocaines en 1956). Inscription n° 14, pp.8 -10.

تجدر الإشارة إلى أن شاهد القبر محفوظ حاليا بالمتحف الأركيولوجي في الرباط، تحت رقم D4409.



صورة جوية لموضع الحفريات الأثرية

من جهة أخرى أكد تراس في بداية دراسته سالفة الذكر حول الفن المغاربي، إلى كونها محاولة للربط بين الاكتشافات الجديدة والملاحظات القديمة، وإبراز ما تحمله هذه الاكتشافات من معطيات جديدة حول الفن الأندلسي المغربي.

قصبة يوسف بن تاشفين: ساهمت الحفريات في تحرير الباحثين من سُلطة النص، فقد بات بالإمكان وصف القصبة المرابطية بشيء من التفصيل لم تسمح به المصادر المكتوبة الوسيطية. فهي حصن شبيه بالتحصينات السهلية، بتصميم ذي شكل مربع وأبراج تحف به من كل جهاته، وأبراج ركنية متسعة ذات أبعاد أهم من أبعاد التحصينات الأندلسية السابقة عليها زمنيا. أما الباب المكتشف للحصن فهو مرابطي بممره المستقيم وكُوَّاته النصف دائرية ودُرجه الجانبي.

إذا كان الحصن لا يخرج بشكل عام في تصميمه عن التصميم المتبع في بناء التحصينات السابقة على الدولة المرابطية أو المرابطية نفسها، فانه يتميز عنها بطريقة البناء التي جمعت بين التقاليد المغاربية والأندلسية. ولعل القيمة التاريخية لهذا الحصن أهم بكثير من قيمته الأثرية، فهو بمثابة عقد ميلاد المدينة، ورمز لرسوخ قدم الحركة المرابطية، كما أنه أقدم بناء معروف للدولة المرابطية، فكل الحصون والقصور والمساجد المرابطية لا يعود تاريخ تأسيسها إلى ما قبل القرن الثاني عشر الميلادي، في حين أن الحصن يرجع تأسيسه لنهاية القرن الحادي عشر الميلادي.

ولما استولى الموحدون على مراكش، قاموا بتدمير أجزاء من قصر[1] علي بن يوسف لإقامة المسجدين[2]، واحتفظوا في المقابل بأجزاء من الحصن المرابطي، وهو دليل على كون الفتوى التي استصدرها عبد المومن بعد دخوله مراكش لم تكن تهم إلا المساجد دون غيرها من المنشآت المرابطية، بل ربما استقر الخلفاء الموحدون الأوائل بالحصن المرابطي إلى غاية تاريخ تأسيس القصبة الموحدية، ليتحول الحصن بعد ذلك إلى سُجينة (سجن صغير).

قصر علي بن يوسف: أشاد تيراس بالمنجزات المعمارية للأمير علي بن يوسف في كل من فاس وتلمسان ومراكش، وركز على هذه المدينة الأخيرة، فذكر كمُنجز من منجزاته بها مسجد علي بن يوسف (مسجد بن يوسف الحالي تقريبا) بصومعته التي قاربت في قياساتها صومعة

---

[1] - استعمل هنري تيراس لفظ القصور بالجمع، مع أن التحريات الأثرية التي سبق وقدّم نتائجها موني لم تتحدث إلا عن قصر واحد لعلي بن يوسف، لكنه سيعود في الورقات التالية للحديث عن قصر واحد لعلي بن يوسف، وهو تناقض لم نجد له تفسيرا.

[2] - سمّى تيراس كِلاّ المسجدين بالكتبية، وفي ذلك تناقض مع ما ذكره موني حول عدم معرفة اسم المسجد الموحدي الأول. بل إن اسم الكتبية لم يظهر في المصادر العربية إلا مع المرحلة المرينية حسب إفادة للدكتور محمد رابطة الدين، له جزيل الشكر.

الكتبية، ومنبره المصنوع بمدينة قرطبة، بل شبّه مسجد ابن يوسف في مساحته وغِنَاه بمسجد القرويين. أما قصره فلم يُعثر منه إلا على جزء تحت مستوى المسجد الموحدي الأول، جُل ما احتوى عليه، بيوت صغيرة تتوسطها صُحون، جعلها تيراس بيوتا خاصة بأسرة ونساء الأمير المرابطي[1]، أما البيوت الفخمة فاقترح البحث عنها خارج هذا الجزء الذي كشف عنه مونبي، خاصة تحت أرضية مسجد الكتبية الحالي، حيث كشفت بعض الأشغال في صحنه قبل سنة 1935 عن بقايا أبنية لم يتم التنقيب فيها أو دراستها، وحدها صور فوتوغرافية سمحت بملاحظة تطابق مستوى هذه الأبنية مع مستوى تلك المكتشفة لصق جدار قبلة المسجد الموحدي الأول والعائدة لقصر علي بن يوسف كما أشار لذلك مونبي، كما كشفت بعض أشغال البناء على بعد مائتي متر شرق الجنوب الشرقي لصومعة الكتبية، عن مستويات أثرية تتطابق مع تلك بحفريات الكتبية، وهو ما يدفع للاعتقاد أن القصر المرابطي امتد إلى حدود هذه النقط.

من جهة أخرى، أكد تيراس أن قصر علي بن يوسف متشبع بالتقاليد الأندلسية المغربية، فهناك بيوت تنتظم حول صحون، كما أن المنشآت المائية تحتل مكانة بارزة داخل القصر إلى جانب ممرات الحدائق وهو ما نجد له نظيرا بمدينة الزهراء وكَسْتِيِيخو بمُرسية[2]. أما الباب المُكتشف قرب الزاوية الجنوبية الشرقية للحصن المرابطي، فأكد تيراس ما ذهب إليه مونبي، من كونه باب علي بن يوسف آخر معاقل المقاومة المرابطية، وأن البرج الذي كان يعلوه استخدم في ما بعد كصومعة للمسجد الموحدي الأول.

المسجد الموحدي الأول: لا يختلف هذا المسجد عن مسجد الكتبية إلا في بعض التفاصيل، كاتجاه القبلة والمساحة وشكل الواجهات الخارجي، كما أنه يتميز بقوة التأثير الأندلسي المتجلي في بقايا واجهته الشرقية، بل إن هذا التأثير حاضر بالموقع منذ المرحلة المرابطية، كما تشهد على ذلك مجموعة من اللقى الأثرية كتاج عمود من الرخام قرطبي الصنعة من عصر الخلافة الأموية بالأندلس، وشاهد قبر ابراهيم الأقرع الألميري الصنعة، ومجموعة من القطع الرخامية الأخرى

---

[1] - نتحفظ على هذا التحديد الوظيفي للبنيات الأثرية المكتشفة، فلا شيء من اللقى الأثرية المُكتشفة يدفعنا لقبوله.

[2] - كانت إحدى أهم الإنجازات المرابطية بالإضافة إلى توحيد القبائل وتحقيق الوحدة السياسية والإدارية، هي استيعاب الحضارة الأندلسية والتثاقف معها، وذلك فيما يتعلق بتقنيات البناء والمعمار على وجه الخصوص. أنظر: كاسترو فرانسيسكو بيدال، **المرابطون والموحدون في الأندلس والمغرب**، ضمن كتاب معرض مثلث الأندلس: كاتالوج، أكتوبر 2003 - يناير 2004، غرناطة، مؤسسة التراث الأندلسي، 2003، ص. 80.

المستوردة من الأندلس. أما بالنسبة لكِسَر الخزف المكتشفة، فرغم أهميتها، لا تقدم حسب تيراس أية إضافة لتاريخ المنشأة.

من جهة أخرى، طرح تيراس مجموعة من الملاحظات حول موضِع المقصورة والمنبر المُتحركين، فآليات تحريكهما وُضعت بالمسجد بعد إتمام أشغال بنائه لا أثناءها، وهي ملاحظة لها أثر في تاريخ منبر الكتبية بالذات، فحسب تيراس، لو كان المنبر جاهزا لمّا استولى الموحدون على مراكش، لنقلوه فورا من مسجد ابن يوسف حتى يُستخدم في المسجد الموحدي المُزمع إنشاؤه، لكن تأخر عملية النقل كما تدل على ذلك نتائج الحفريات، قد تفيد أن المنبر الذي أمر علي بن يوسف بصنعه في قرطبة كان غير جاهز آنذاك، لكونه لازال قيد الصنع بأوراش القرط بيين. يبقى الأمر مجرد فرضية طرحها تيراس لتفسير التفاوت الزمني بين إنشاء المسجد الموحدي الأول وإعداد آليات تحريك المنبر المرابطي[1].

أما فيما يخص الخزانين المائيين، فأكد تيراس ما ذهب إليه مونيي من كونهما مُرابطِيَّين، لوضعيتهما المنحرفة مقارنة بصحن المسجد وشكلهما غير المنتظم ووجود عدة أرضيات وساقيتين موحديتين فوق سطحهما إلى جانب وجود حائط مرابطي قربهما كان ليُهدم لو كان سابقا زمنيا عليهما. أما بالنسبة لنظام ملئهما بالماء، أكد تيراس غياب أي دليل أثري يستدل به على هذا النظام كما هو حال مسجد تازة ومسجد حسان، لكنه افترض في المقابل تزودهما بمياه الأمطار، واستخدام هذا الماء في حالة الجفاف.

سوق الكتبيين: أكد تيراس صعوبة تأريخ هذا السوق بدقة، فكل ما نعلمه أن التبليط الأول للرصيف المقابل لدكاكين الكتبيين تم بعد التخلي عن المسجد الموحدي الأول، أما التبليط الثاني

---

[1]- نستبعد فرضية عدم اكتمال أشغال صنع المنبر المرابطي، فالفارق الزمني الفاصل بين بداية تصنيع المنبر سنة 1137 واحتلال مراكش من طرف الموحدين سنة 1147، يبدوا كافيا لإنهاء الأشغال من طرف الحرفيين القرطبيين خاصة أن المشروع كان بتمويل من المخزن المرابطي وهو ما كان له في رأينا دور في تسريع إنجاز الأشغال وعدم تأخيرها. إضافة إلى ذلك، لو كان المنبر غير جاهز لمّا احتل الموحدون مراكش، لما وُجدت به كتابة عربية منقوشة تذكر اسم الأمير المرابطي [علي بن يوسف] بن تاشفين وتدعوا له بالتأييد، فقد كان بالإمكان إزالة نص هذه الكتابة واستبدالها بنص آخر يُشيد بالخليفة الموحدي عبد المؤمن. أنظر:

Bloom, J.M., ***Le Minbar de la mosquée Kutubiyya***, *in* Bloom, J.M. et alii, *Le Minbar de la Kutubiyya*, The metropolitan Museum of Art, New York - Ediciones El Viso, S.A., Madrid - Ministère des Affaires Culturelles, Royaume du Maroc, 1998, pp.3-4-104.

فيدو مرينيا. وبرجوعه لأحد المصادر العربية[1] حاول مطابقة التبليط الأول مع الرصيف الذي أحدثه الخليفة الموحدي الرابع محمد الناصر سنة 1203م، لكن هذا سيجعل حدث التخلي عن المسجد الموحدي معاصرا لأزهى فترات الدولة الموحدية، لهذا يقترح تيراس تأريخ هذا الحدث ببداية الدولة المرينية حيث عرفت المدينة تراجعا نسبيا.

ختم تيراس دراسته حول الفن المغاربي، بتأكيده على أهمية هذه الحفريات التي أضافت الشيء الكثير لمعرفتنا بتاريخ مراكش، فقد مكنت من ضبط أصول المدينة بدقة متناهية، والتعرف على المنشآت المرابطية الأولى بالمدينة إلى جانب التعرف على المرحلة الموحدية من خلال دراسة المسجدين الموحدين، بل مكنت من الكشف عن أحد المنجزات المرينية القليلة بالمدينة إلى جانب سوق الكتبيين الذي استمد المسجد الموحدي الثاني اسمه منه. كما أضافت هذه الحفريات الشيء الكثير للمعرفة بتاريخ الفن المغربي الأندلسي، وأبانت عن استمرار الميراث المرابطي ضمن العمارة الموحدية وتأثرهما معا بالأندلس.

نستنتج من خلال ما سبق، أن البحث الأثري كان له الفضل في التعرف بشكل دقيق على مجموعة من الأبنية العسكرية والمدنية والدينية المرابطية والموحدية بمحيط الكتبية، فانتقلنا بذلك من معرفة سطحية كان عمادها النصوص التاريخية الوسيطية إلى معرفة دقيقة عمادها البحث الأثري. لكن هذا لا يعني البتة الإجابة على كافة التساؤلات المتعلقة بهذه الأبنية، فهناك أسئلة ظلت عالقة، حاول مونيي وتيراس الإجابة عليها، لكنهم لم يتجاوزوا في بعض الأحيان طرح فرضيات يصعب الحسم في صحتها في ظل الوضع الإسطوغرافي الراهن، لهذا نرى من الضروري استكمال التنقيبات الأثرية بمحيط الكتبية، واعتماد التقنيات الحديثة في التحري والتنقيب الأثري.

---

[1]- "وفي هذه السنة (سنة ستمائة) أمر (الناصر) بابتداء بناء الرصيف بمدينة مراكش". أنظر: المراكشي ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** – قسم الموحدين–، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت ومحمد زنيبر وعبد القادر زمامة، بيروت، دار الغرب الإسلامي – الدار البيضاء، دار الثقافة، الطبعة الأولى، 1985. ص. 242.

مراكش بين التأسيس والتمدين
في العصرين المرابطي والموحدي*

د. لكديم الصوصي مولاي إبراهيم

توجد أسماء مدن تاريخية رنانة وشاعرية تحمل ألفاظا موسيقية باطنية تجعل المتلفظ بها يسبح خلال النطق في الجمال، ولعل مراكش أكثرها نكهة لا في نظر أبناءها فحسب، ولكن بشهادة كل من عرفها من شرقيين وغربيين الذين أوردوا لفظ مراكش في بعض أشعارهم وأغانيهم - مدينة ماروك أو مَرّوِيكُوسّ في الوثائق التاريخية الغربية، المدينة التي دخلت القواميس اللغوية الأوربية من الباب الواسع بفضل شهرتها بصناعة الجلد إذ ينسب الفرنسيون مثلا كل ما يتعلق بصناعة الجلد، إلى مراكش فظهر لفظ ماروكينوغي، المدينة التي يقدمها الإشهار السياحي بأوربا وأمريكا على أنها مدينة ألف ليلة وليلة الساحرة بنخيلها المجاور لمنظر ثلوج الأطلس، بشمسها وسمائها وغروبها، تعتبر مراكش وبحق أشهر المدن الأصيلة المغربية والشاهد المباشر على عظمة المغرب والعبقرية المغربية ولعل صومعة الكتبية ببساطتها وعظمتها وشخصيتها الفريدة تذكر بذلك صباح مساء. وليس ذلك صدفة أو حكما ذاتيا بقدر ما هو نتيجة تفاعل عدة عوامل ضمنت وتضمن لمراكش أسباب البقاء والإشعاع بما لا تشتهي الرياح. فقد كان اختيار موقع موضع المدينة علميا أخذ بعين الاعتبار محاسن الظروف الطبيعية الجغرافية، وارتكز تمدين مراكش حول مبادئ دينية وموضوعية وحكم عليها موقعها الإستراتيجي ووظيفتها السياسية حيث كانت عاصمة البلاد علانية أو في الخفاء منذ نشأتها إلى

---

*- صدرت هذه الدراسة في الأصل ضمن كتاب: "مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي"، (خلاصة أشغال الملتقى الأول حول مدينة مراكش سنة 1988)، منشورات مركز الدراسات والأبحاث حول مراكش، وجمعية الأطلس الكبير بإشراف جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية. الطبعة الأولى، الدار البيضاء 1989، صص 69 - 76.

يومنا هذا، أن تكون مدينة اختلاط وتمازج السكان وأفراد القبائل المختلفة، والحضارات افريقية كانت أم متوسطية أو شرقية...كلها أسباب رسخت أهمية ومكانة مراكش وطنيا ودوليا.

1- تأسيس مراكش والاختيار العقلاني للمواقع:

مدينة المغرب الاطلنطكي الداخلي توجد مراكش بسهل الحوز وهو سهل قبأطلسي داخلي ينحصر بين الجبيلات شمالا والأطلس الكبير الأوسط جنوبا ويمر منه واد تانسيفت أحد أنهار المغرب الكبيرة. وقد ظل السهل ولوقت طويل منطقة زراعية رعوية تفسر فيها قساوة الظروف المناخية سيطرة نصف ترحال في النشاط الاقتصادي القديم، فقد كانت المنطقة أزغار للقبائل البربرية بالأطلس الكبير الأوسط (ادرارندرن) بلد الاستقرار والتشجير الثمري. وضمن أراضي الرعي الجماعي وجدت منطقة عازلة بين قبائل هزميرة وإيلانة، مثل ما يصطلح عليه حاليا في الهضبة الوسطى المغربية ببلاد الزرواطا بين قبائل زمور، زعير وزيان، ولعل هذه المنطقة العازلة التي كانت في ملك شخص أو خلاء حسب الروايات، تحمل اسم مروكوش، كلمة أخرى استعملت للدلالة على بلد رعي خارج عن الأراضي الجماعية.

أ- تسمية المدينة:

إن كلمة مراكش مشتقة من اللغة البربرية التيفناغ التدباكين أو اللغة المقدسة لأهل الصحراء الكبرى قبل ظهور الإسلام، وهي اللغة الأم للهجات البربرية المستعملة في أقطار المغرب العربي الحالي، ومما يثير الانتباه هو تشابه هذه اللغة باللغة العربية الأصلية خاصة في استعمال الحركات على شكل نقط، وفي استعمال حرف للتعبير عن أصوات ج و ق و ك (كل ما يقمقم، يجمجم أو يكمكم)، وعلى كل تتكون تسمية مراكش من كلمتين: مارو أوّ مارور وتعني مكان، وكوش وتعني الرعي، لكن بعد اعتناق البربر الإسلام بدأوا يستعملون بكثرة في كتاباتهم لغة القرآن، وتخلوا عن لغة التيفناغ التي لم يبق من حروفها إلا رسومها تستعمل في وشم جلد النساء للتزيين أو لتوقيع جلود بعض الدباغين، لا يعرف لها مستعملوها أي معنى، كما انبثقت عنها عدة لهجات أهمها تاشلحيت، ونصادف كلمة كوس في اللهجة الدارجة المراكشية في الأوساط الشعبية القديمة الاستقرار بالمدينة، إذ تدعو النساء على أبنائهن الغير المطيعين فتقلن "تمشي تكوس" بمعنى الله يبعدك عني لمدة، كما يبعد الراعي المنتجع أو الرحال عن أهله مدة معينة.

ولما أسس يوسف بن تاشفين أو أبو بكر بن عمر حسب الروايات مدينة مراكش في 1070 ميلادية على الترجيح، أصبحت المدينة تحمل اسم المكان الجغرافي الموجودة فيه، ولكي لا يقع خلط بين البادية المحيطة بالمدينة والحاضرة بدأ الناس يتحدثون عن حوز مراكش، اسم عمم فيما بعد على كل السهل، ونتيجة لتوسع المدينة وإشعاعها السياسي والثقافي على مر العقود التاريخية ضاع المعنى الأصلي لكلمة مراكش في غيابات التاريخ، وأصبح الناس يعطونها ما بدا لهم بدهتهم من معاني، فمنهم من زعم أن مراكش تتكون من مر بمعنى اذهب، وكش بمعنى امسك جيدا، ومرد هذا التفسير حسب زعمهم، وجود قطاع الطرق بالمدينة، تفسير من الصعب الاقتناع به، مرجعه أن وجود قطاع الطرق كان شيئا مألوفا في المعمور بإفريقيا وأوربا، فمن غير المعقول أن تنعت منطقة أو مدينة بصفة عادية أو مألوفة.

وتؤكد النصوص التاريخية أن معنى مراكش هو مكان الرعي، ويلمح له صاحب الحلل الموشية وعبد الواحد المراكشي في كتابه المعجب بقوله أن مراكش كانت عندما وصل المرابطون مجالا خاليا بدون بنايات.

ب – موضع ممتاز وموقع استراتيجي:

لما تخطى المرابطون جبال الأطلس الكبير، لم يخطر ببالهم الاستقرار في مدينة أغمات القريبة من وكر المصامدة، والتي لا توفر إمكانيات امتداد عمراني يستجيب لعاصمة في مستوى طموح الدولة الفتية. فوقع اختيارهم على مراكش لأنه مكان محايد يوجد بسهل في أسفل حادور طويل يمتد من الدير إلى وادي تانسيفت، وعلاوة على توفر المساحات المنبسطة وحجارة البناء بجبل جليز، والصخور الكلسية لإنتاج الجير ورمال تانسيفت فإن تربة المنطقة خصبة جدا ويمكن تشكال التضاريس من استغلال السديمة المغذية بواسطة الخطارات، وهي سواقي تحت أرضية تمكن من إيصال المياه الباطنية إلى وجه الأرض في مكان معين، وقد مكنت هذه التقنية أهل المدينة من الاستفادة من ثلوج الأطلس، ومن التساقطات على طول السنة، ومن تزويد السكان والمنشآت الحضرية الإسلامية: الحمامات والمساجد بالماء الشروب.

وإذا كانت مؤهلات موضع مراكش جد مهمة، فإن موقعه يزيد في الطين بلة، إذ يجعل المنطقة مفصلة عالمين مناخين ومورفلوجيين مختلفين: العالم الصحراوي بتضاريسه الإفريقية التي يغلب عليها الانبساط وبمناخه الجاف، والعالم المتوسطي الاطلنطكي بتضاريسه الفتية المتنوعة المنظر والوحدات المكونة، الصغيرة الحجم نسبيا، وبمناخه المتميز بتركز الأمطار خلال فصل الشتاء.

فقد أسست مراكش على طريق تجارية قديمة يرجح روض القرطاس إمكانية وجود مدينة رومانية صغيرة بها سماها البعض بوكانوم هيمريوم، ولو أنها توجد جنوب حدود الإمبراطورية الرومانية المعترف بها بالمعلومات التاريخية الراهنة والمسماة الليميس.

وعلى كل مكن موقع مراكش الاستراتيجي المدينة من مراقبة الطرق الشمالية الجنوبية والشرقية الغربية، فالجبيلات بالشمال لا تشكل حاجزا طبيعيا في وجه التنقل، كما تراقب مراكش الممرات الطبيعية الجبلية بالأطلس: تزن تلوات وتزن فدغات (قرب تزن تشكا الحالي)، وتزن تاست، وممر أركلنة، وعبر هضاب إذاوتنان في الغرب، كما تراقب المدينة الطريق المؤدية إلى شمال المغرب عبر السراغنة وسهل تادلة إلى فاس، الطريق التي ستنعت فيما بعد بطريق السلطان.

وبذلك تأهلت مراكش لاستقبال حبوب شونة المغرب بالشمال وثمور وحيوانات الصحراء ليصبح دورها الاقتصادي وإشعاعها كبيرين.

تلك هي الظروف التي جعلت موقع موضع وتشكالية مراكش تخرج عن قاعدة التصور الهندسي التمدني المعمول به في العصور الوسطى بالعالم، وتقدم تنوعا فريدا من نوعه بأحيائها ودورها: فهي المدينة الوحيدة بالمغرب المبنية في موضع غير محمي ومحصن طبيعيا، لا توجد بجواره عيون ولا مجاري مائية دائمة سطحية كما هو الشأن بمدينة نفيس أو سجلماسة أو فاس، ولا دير أو جبال محصنة كما هو الحال بأغمات أو دمنات... فهو واحة متعمدة ستجعل منها الحضارات هبة الأطلس الكبير وستؤهلها إمكانياتها الطبيعية والإستراتيجية لتصبح أكبر حاضرة بإفريقيا الشمالية.

2 – تمدين مراكش ناتج عن زواج الحضارات المحيطة:

تلخصت المدينة في النسيج المعماري المنحصر داخل الأسوار التي شيدت منذ عهد علي بن يوسف المرابطي، وقد طبع هذا المجال الحضري بمدينة سلطانية (قصر الحجر ثم القصبة)، وبرياضات القواد والأعيان، فبسكنه الشعبي ومجاله الحرفي بمميزات معمارية وتهيئة مجالية يمتزج فيها التأثير الصحراوي الإفريقي والتأثير المتوسطي الشرقي، فأعطاها هنداما خاصا جعل منها متحفا لتقاليد وتقنيات العالم المتحضر المعروف في ميادين البناء والحرف وإعداد التراب.

ويمكن أن نؤكد بدون مجازفة أن مدينة مراكش هي أول مدينة مغربية حقيقية، إذ أن كل المراكز الحضرية التي سبقتها اتسمت بطابع الجهوية المحدودة، فاس البالي بأزقتها الضيقة وساكنتها وحرفها تذكر بالشرق العربي والشرق الأقصى وتمزج المؤثرات المتوسطية الإغريقية

الرومانية بالمؤثرات العربية الإسلامية، أغمات ودمنات تحمل البصمات التقنية لأهل الجبال الذين اعتنقوا الإسلام دون التفريط ببعض العادات والتقاليد القبإسلامية، سجلماسة مدينة تأثرت بالنمط الصحراوي الإفريقي الذي نوعه مجيء الإسلام...ومرد كل ذلك إلى استفادة مراكش المدينة من ظروف طبيعية جيدة ومن ظرفية سياسية متميزة صادفت تكوين أكبر إمبراطورية بشمال إفريقيا امتدت من إسبانيا شمالا، إلى السنغال ومالي جنوبا، ومن المحيط الاطلنطكي غربا، إلى حدود مصر شرقا، وأصبحت عاصمة الملك فترعرعت في ظل المرابطين والموحدين، فاستقطبت النخبة الفكرية والأدبية، وأمهر الصناع والحرفيين، فصارت مدينة مختلطة الأجناس استفادت من تنوع التقنيات والخبرات المعروفة في المعمار وتصور تهيئة المجال والحرف، كل هذا جعل من الحاضرة الفتية منذ نشأتها معرضا ومتحفا للحرف والمعمار والمهن، تتجلى في أحياءها السكنية والحرفية بصمات الجهات الجغرافية الخاصة بشمال الأطلس الكبير وبجنوبه.

ولا زالت الأماكنية وتوزيع الأحياء في النسيج الحضري القديم تشهد بذلك، وتبين أن مدينة مراكش المحاطة بالأسوار هي في الحقيقة مدن تشبه المدن القرى التي وصفها نييمر بالأندلس وسماها شتاتدورف Statdorf، فقد كان لكل حي استقلاله الذاتي، له تجهيزاته الاجتماعية الثقافية من مساجد الدروب والمسجد المركزي بالحي الذي توجد بجانبه ساحة عمومية لإقامة الحفلات الدينية والتقليدية، وسقاءاته وحماماته وفراناته وباب مدخله الرئيسي الذي يغلق في الليل، وصلة الوصل بين الأحياء الشعبية هي مجال الأسواق الحرفية التي تجمع في ترتيب منسجم التعاضديات الحرفية أو الحنطات، ويتكون هذا المجال الاقتصادي من محورين طريقين متعامدين يلتقيان حول مسجد ابن يوسف بالقبة المرابطية المشهورة، وينتهيان بأبواب الأسوار الرئيسية: باب دكالة غربا وباب الدباغ شرقا، باب الخميس شمالا، وباب السمارين جنوبا، وينتهي الترتيب الذي يجعل قرب مسجد ابن يوسف المهن النبيلة والنظيفة (كتبيين وتجار الأثواب) ثم المهن القليلة التلوث فالأكثر تلوثا بمهن النار في أقصى جنوب وأقصى شمال (حدادين وقشاشين) وبالمهن الكيماوية والنارية في أقصى الغرب وأقصى الشرق (دباغين وفخارين).

ذلك كان شكل التنظيم المجالي الحضري الذي تمحور حول هذين الشريانين الحرفي التجاري بما نسميه المدينة الإسلامية العتيقة التي تمتد من باب الخميس إلى ساحة جامع الفناء، كما أوحت لنا به الوثائق القديمة والاماكنية، فدراسة الفنين المعماريين المتوسطي والصحراوي ثم ذاكرة الآباء والأجداد، وضمنه نسجل تكتل الدور الفسيحة أو الصغيرة المبنية بالأجور

الفخاري والجير والمحتوية على مستويين أو أكثر، حول أو بالقرب من المركز، ويتعلق الأمر بالأحياء السكنية المواسين، القصور، رياض العروس (درب تزكارين أساسا)، زاوية الحضر، أزبزط، قاعة ابن ناهض، بينما تظهر أحياء الصناع السكنية كشبه قرى، بدور من مستوى واحد غالبا فقيرة الآثار التاريخية على هوامش قرب الأبواب الرئيسية للأسوار، يوجد بها تداخل بين المهمة السكنية والمهمة الحرفية، وتنقل بها مواثرة الحياة اليومية على مواثرة الأعمال الفلاحية: العمل من طلوع الشمس إلى غروبها، ارتباط حجم الإنتاج بطول أو قصر النهار وارتباط مداخيل الصناع بالتساقطات السنوية، فالجفاف يعني الكساد...

وتنتهي المدينة الشعبية جنوبا بساحة جامع الفناء (بكسر الفاء) أو الفناء (بفتح الفاء) أو الفنار حسب التأويلات والروايات. فمنهم من يعلل التسمية بفتح الفاء بما شهده قصر الحجر من مذابح عندما أقصى الموحدون المرابطين من الحكم، أو يفسرها بتعليق رؤوس الثوار المملحة المقطوعة على جدران مساجد الساحة لتكون عبرة لمن أراد الخروج عن طاعة المخزن، ومنهم من يبررها بكسر الفاء بوجود ساحة فسيحة عارية من البناء تفصل المدينة الشعبية من المدينة السلطانية القصبة المحصنة بأسوارها وهوامشها روض الزيتون والقنارية، المدينة المتميزة بتصميم هندسي تمديني يشبه إلى حد بعيد ما كان معمولا به في المدن الرومانية: قصور ومكان للتعبد أي جامع رئيسي متمحورة حول شارع رئيسي ينتهي بأبواب فخمة تعبر على عظمة السلطة في جانبيه: باب أكناو خاصة.

ومنهم من يسميها بساحة الفنار ومرجع ذلك وجود أعلى صومعة بالمدينة، صومعة الكتبية، بالمكان تمكن مؤقت المدينة من إعلان دخول وقت الصلوات الليلية بواسطة مصباح (= فنار) يضعه المؤذن بواسطة حبل وجرارة بأعلى الصومعة فينطلق المؤذنون في جميع أرجاء المدينة بالمناداة على المصلين لصلاة المغرب، أو العشاء أو الفجر، أو الصبح.

3- انسجام التنطيق التقليدي مع المناخ:

وجه تمدين مراكش بقانون وإيمان، مما جعل المدينة تضم تجمعا بشريا لا يعرف أي قطيعة بين ما هو روحي وما هو دنيوي، بين الفن الديني بالمساجد والأضرحة والفن العادي بالقصور ودور السكنى الميسورة، بين الوظيفة السكنية للمجال الحضري والوظيفة المهنية، فقد استطاعت المنشآت الدينية أن تسوي الفوارق الاجتماعية بين الطبقات، وأن تخلق في إطار الحي

وعلى مستوى المدينة تعاضدا قد يذهب إلى العصبية أحيانا "انصر ابن حومتك ظالما أو مظلوما"، وعلى كل يتآخى أهل الحي والمدينة في المساجد والأضرحة دون أي اعتبار للثروة بفضل مساعدة الغني للفقير في الحي واختلاط أبناء الدرب كيفما كان مستواهم الاقتصادي.

فوحدة الحي تدور في فلك مسجد الجمعة للحومة والمنشآت التابعة له (مرحاض، ضريح، حمام، غسال، وسقاءة)، وحوله تبنى المساجد الصغيرة كلما انطفأ صوت المؤذن ليبقى الآذان مسموعا في جميع أرجاء الحي والمدينة، كما يلتف أهل الدرب في هذه المساجد الصغيرة، وتدور كل الحومات والأحياء الكبيرة في فلك مسجد ابن يوسف الذي تعطى فيه الدروس العلمية، ولا ينعكس مبدأ السلم على التصميم التمديني للأحياء والمدينة كلها فحسب، بل يتجلى حتى في رمز سبعة الذي تكنى به مراكش، فهي مدينة سبعة رجال، سبعة صنائع، سبعة أحياء، سبعة أبواب، ولعل رمز سبعة الذي يؤكد تنظيم المجال حول الماء (وضوء) والعبادة والأسواق، يوحي بما يلي:

س = سماء.

ب = بحر.

ع = علم.

ت = تراب.

ويتجسد كذلك داخل وخارج الأسوار في تكاثر الجنان والرياضات والعراصي وحتى الروضات (مقابر) التي كانت جزءا لا يتجزأ من المجال الحضري، مبدأ اعترف به التمدين العصري الذي يدخل ضمن تصنيفاته للمقابر في تهيئة المجال المعاصر، المقابر الغابوية، المقابر المنتزه، والمقابر مجالات خضراء الخ.

وما هذه المساحات الخضراء التي لم يبق منها حاليا إلا أسماء وأماكنية وأحواض المياه، إلا انعكاسات لحظات خلود تتضاعف في المساجد والدور من خلال البركات والنافورات، وحتى آفاق المدينة التي لبست حلة خضراء من البساتين والمساحات الخضراء النافعة ليعيش المدني في هدوء وسكون لا تعكره إلا متعة خرير المياه، وكما وضع منبع الماء بالنافورة أو البركة وسط الدار، وضع المسجد الذي يتوسطه الصحن في مراكز المدينة الحرفية. إلا أن تصميم هذه المدينة تصميم معكوس لما نسميه بالدار المغربية الأندلسية. ففي "الرياضات" توجد النافورة وسط الفناء تحيط بها "أحواض" من النباتات تفصلها ممرات أو "مشاوات" تؤدي إلى الغرف أي البناء

الذي يحيط بالدار، أما في المدينة فيوجد مسجد ابن يوسف في المركز تحيط به الأحياء السكنية والحرفية، أي المجال المبني تخترقه أزقة رئيسية متعامدة تجمع الصناع والتجار، وتحيط بالكل مساحات خضراء متجلية في العراصي والجنانات أو الروضات.

وترتيب العناصر المكونة لتصميم المدينة هذا، الذي يناسب طبعا شكل تنظيم الحياة المدنية التقليدية، ضرورة تهدف إلى إحداث منيخ يعالج الإفراط في كثرة الضوء والحرارة وجفاف الهواء في الصيف، فمن شأن التبخر الذي تحدثه نباتات المساحات الخضراء المتعددة أن يرطب الهواء، شيء الزامي للرئتين، ويخفف من حرارة الصيف المفرطة، إذ أن غراما واحدا متبخرا يبتلع 600 سعرة حرارية، شيء لا يعرف مدى أهميته إلا من عاش بمراكش وعاني من 19 يوما السنوية التي تهب فيها رياح الشرقي الجافة والحارة، وفي نفس السياق يحارب شكل الأزقة لهبان الصيف، إذ أن الأزقة الضيقة والمغطاة من هنا وهناك في الدروب (صابات)، وأزقة الأسواق المغطاة بالقصب تسمح بإحداث تيارات هوائية تلطف المناخ في النسيج الحضري، علاوة على توفر كل حي على سقاءات ودوالي كانت تغطي السويقات بهدف التكثير من المناخات بالمدينة لنفس الغرض.

ولا ينحصر دور المساحات الخضراء في تلطيف الهواء فحسب، بل تمكن المواطنين إضافة إلى ما تدره على المدينة من منتوجات بقلية وثمرية، من التمتع بالطبيعة والتنزه أيام العطل والأعياد بتشجيع من مالكي البساتين، وتضفي على النسيج الحضري حلة قشيبة جعلت سكان المدن المغربية الأخرى ينعتون مراكش بمدينة البهجة.

كل ذلك جعل من مراكش نموذج المدينة المغربية الأصيلة التي تراعي علاقة الإنسان بالبيئة، والتي تجمع ايجابيات تجارب الشعوب المحيطة في ميدان المعمار وتهيئة المجال الحضري النموذج الذي تبعته المدن المغربية الأخرى في تطورها أو في بنائها.

من مسائل التعمير واستعمال المجال بمراكش في العهدين المرابطي والموحدي*

ذ. المجدوبي عبد العزيز

من بين القضايا التي تأخذ باهتمام الباحثين خاصة في الجغرافية التاريخية تأتي مسألة التعمير واستعمال المجال من طرف السكان والدولة.

وقد ارتأيت أن تنصب مداخلتي على هذا الموضوع فيما يخص مراكش خلال حكم الدولتين المرابطية والموحدية. وسوف أتناوله من زاويتين:

1- مرتكزات التعمير.

أ)- الإشكالية العقارية.

ب)- السكان.

ج)- التوسع الحضري لمراكش وعلاقته بمواد البناء: مراحل التعمير.

2- مجالات مراكش المختلفة ودلالتها.

وقبل أن أنتقل إلى الموضوع، أرى من الواجب أن أوضح الإطار الزمني الذي تقاربه المداخلة. يبتدئ من 462 هـ (1070م) سنة إنشاء المدينة، وينتهي بـ 668 هـ (1269م) سنة انتهاء حكم الموحدين. وهكذا تمتد فترتنا على 200 سنة تقريبا، وهي فترة كافية لحدوث تغيرات مجالية أساسية داخل بنية عاصمة الدولتين مراكش.

*- صدرت هذه الدراسة في الأصل ضمن كتاب: "مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي"، (خلاصة أشغال الملتقى الأول حول مدينة مراكش سنة 1988)، منشورات مركز الدراسات والأبحاث حول مراكش، وجمعية الأطلس الكبير بإشراف جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية. الطبعة الأولى، 1989، صص 77 – 90.

1- مرتكزات التعمير بمراكش خلال حكم المرابطين والموحدين.

1-1: الإشكالية العقارية:

تعتبر المشكلة العقارية من بين المشاكل التي تعترض الباحث اليوم في مجال التعمير والبناء، إذ يجب تحديد مالك أو مالكي الأرض ليتسنى فهم الانعكاسات والمنازعات التي تطرأ فيما بعد. وعندما انكببت على دراسة هذه النقطة بالنسبة لمدينة مراكش، صادفت روايات مختلفة حول ملكية الأرض التي أقيمت فوقها المدينة فيما بعد.

1-1-1: فحسب ابن عذاري أسست المدينة فوق منطقة حدودية بين قبيلة هيلانة وقبيلة هزميرة، وهي منطقة بدون مالك، خارجة عن نفوذ القبيلتين. وفي هذا يقول:"...وفي هذه السنة ضاق المجمع بمدينة أغمات وريكة والخلق فيها، فشكا أشياخ أوريكة وهيلانة بذلك إلى الأمير أبي بكر بن عمر، مرة بعد أخرى إلى أن قال لهم: عينوا لنا موضعا أبني فيه مدينة إن شاء الله...اجتمع أشياخ قبائل المصامدة وغيرهم فوقع تدبيرهم أن يكون موضع تلك المدينة بين بلاد هيلانة وهزميرة"[1]. وانسجم صاحب الحلل[2]. مع نفس الرواية.

1-1-2: أما الإدريسي فينسب ملكية الأرض إلى بعض سكان أغمات ملكية خاصة وفي هذا يقول:"...وشمال هذه المدينة – أغمات- وعلى 12 ميلاً منها مدينة بناها يوسف ابن تاشفين في صدر سنة 470 هـ بعد أن اشترى أرضها من أهل أغمات بجملة أموال"[3].

ويذهب صاحب القرطاس إلى نفس الغاية عندما يؤكد "وفيها. سنة 454 هـ. اشترى ابن تاشفين موضع مدينة مراكش ممن يملكه من المصامدة"[4].

1-1-3: وتختلف رواية المؤرخين المتأخرين بحيث رد صاحب المعجب[5]، ملكية الأرض إلى عبد أسود، فيما سجل الناصري[6]، تواجد تجمع قروي بربري بنفس المنطقة قبل بناء مراكش.

1- ابن عذاري:"كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب". طبعة تطوان 1963.

2- "الحلل الموشية في ذكر أخبار الحضرة المراكشية" لمؤرخ مجهول، طبعة الرباط 1936.

3- الإدريسي:"نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" ترجمة دوزي (الجزء الخاص بوصف إفريقيا والأندلس).

4- ابن أبي زرع:"كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ فاس". طبعة الرباط 1936.

5- عبد الواحد المراكشي:"المعجب في تلخيص أخبار المغرب". طبعة القاهرة 1949.

6- الناصري أحمد بن خالد السلاوي:"كتاب الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى". طبعة الدار البيضاء 1955.

ولم يفت دوفردان[1]، أن يتقدم بافتراض استنبطه من حالات مشابهة لنشأة المدن، ويقوم هذا الطرح على أن المنطقة كانت محايدة ينعقد فوقها سوق أسبوعي يجمع بين سكان الجبال والسهل في إطار نشاط تبادلي تكاملي بين اقتصاد البلدين. وقد أيد بول باسكون[2]، هذا الافتراض. ويلتقي الباحثان مع التفسير الذي جاء به الأستاذ التوفيق والذي يعتمد على أن مراكش تدل على المكان المقدس الذي وقع فيه اتفاق ذو صفة قدسية (الحرمة).

خلاصة: رغم أن الروايات متباينة، فإنه من المؤكد أن أراضي مراكش أصبحت ملكاً للدولة الناشئة تتصرف فيها كيفما شاءت ووقتما شاءت من موقع السلطة. توحد المالك وبالتالي توحد التصرف.

1-2: السكان

1-2-1: افتراضات المؤرخين

لم يكن عدد سكان مراكش في البداية يتجاوز بضعة آلاف. ومع تحولها من معسكر للخيام إلى عاصمة للدولتين، توافد على مراكش عشرات الآلاف من السكان طمعاً في العمل والتجارة والقرب من السلطان. وفي هذا يقول صاحب "الروض المعطار" "وعظمت مراكش في الدولتين، فكانت أكبر مدن المغرب الأقصى"[3]، ويصفها الحسن الوزان قائلاً:"مراكش مدينة كبيرة جدا، ومن بين المدن الرئيسية في العالم"[4]، وقد احتسب دوفردان مساحتها داخل الأسوار في عهد التوسع الكبير فتكلم عن 650 هكتارا منها 606 لمراكش المرابطية و44 هكتارا لقصبة المنصور"[5].

وقد أدى هذا التحول إلى تزايد سكان العاصمة بحيث قال الحسن الوزان في وصف إفريقيا:"وكانت تقطنها مائة أسرة وأكثر في حياة علي بن يوسف"[6]، أما طوريس[7]، فقد ذهب إلى مائة وخمسين ألف نسمة في العهد الموحدي. ويظهر أن التقديرين يقربان من الوقائع إذ أن الوثائق التاريخية تقدر سكان فاس بـ 80.000[8]، في نفس الحقبة. وقد ترك بعض المؤرخين العنان

---

[1]- G. Deverdun:*"Marrakech des origines à 1912"*. Rabat 1966.

[2]- P. Pascon: *"Le Haouz de Marrakech"*. Rabat 1977.

[3]- ابن عبد المؤمن الحميري:"كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار". ترجمة ليفي بروفنصال ليدن 1938.

[4]- J. l'Africain (الحسن الوزان) ***"Description de l'Afrique"*** traduction E. Epaulard. Paris 1956.

[5]- G. Deverdun. Op. Cité.

[6]- الحسن الوزان: المصدر السابق.

[7]- Torres:***"Histoire des cherifs et des royaumes du Maroc, de Fes, de Taroudant et autres provinces"***. G. Deverdun ورد ذكره عند

[8]- Le Tourneau:***"Fes avant le protectorat"*** Cada 1949

لتقديراتهم فذهب المقري الذي وصف مراكش ببغداد الغرب إلى 500.000 نسمة، وتكلم علي باي عن 700.000 نسمة لكننا نرجح تقديرات الحسن بن الوزان وطريس لأن عدد سكان مراكش داخل الأسوار اليوم لا يتجاوز 260.000 نسمة ومع ذلك تشكو من اكتظاظ مخيف.

1-2-2: وقد تطور عدد سكان مراكش استجابة لتطور وظائفها، فإلى جانب كونها عاصمة الإمارة والخلافة، أصبحت مراكش قاعدة تجارية جلبت نحوها كل الاهتمامات وسرقت الأضواء من المراكز المجاورة كأغمات ونفيس بل قصدها أعيان المدينتين للتقرب من السلطان، واتجه نحوها الحرفيون والعلماء والأطباء والفقهاء. وشعت حضارتها لتغمر إفريقيا السوداء جنوبا وأقطار إفريقيا الشمالية شرقًا.

وللدلالة على توسعها المستمر نسوق الخبر التالي. أمر أبو يعقوب يوسف الموحدي قبائل هزميرة وصنهاجة بالمجيء إلى مراكش قصد الاستقرار بها، لكنه لم يجد مكانا فارغا بالمدينة يضعه تحت تصرفها. فأمر ابنه أبا يوسف يعقوب بإيجاد حل لهذا المشكل وتوطين القبيلتين، لذا اضطر هذا الأخير إلى هدم السور في الجهة الجنوبية الغربية للمدينة سنة 1183م وتحرير 10 هكتارات وتسليمها لأبناء القبيلتين[1]، (حي سيدي ميمون وما جاوره حاليا: أنظر الخريطة).

وقد اتسعت المدينة على حساب البساتين والبحائر. وفي هذا يقول صاحب الاستبصار: "ومدينة مراكش اليوم أعظم مدن الدنيا بهجة وجمالاً... وكانت بحائر عظيمة فيها قصورا وجامعاً وأسواقاً وفنادق"[2].

ورغم ذلك حافظت على التوازن البيئي بحيث جلبت إليها المياه بواسطة الخطارات وانتشرت داخلها وخارجها المجالات الخضراء والمغارس، مما دفع صاحب الروض المعطار إلى القول:" وهي أكثر بلاد المغرب جنات وبساتين وأعناباً وفواكه. وأكثر شجرها الزيتون فيها منه ما تستغني به عن غيرها من البلاد"[3].

1-3: التوسع الحضري لمراكش وعلاقته بمواد البناء

1-3-1: في البداية أنشأ المرابطون معسكراً ترامت خيامه وأحيطت بالزرب الشوكي بحيث قال صاحب البيان:"فسكن – أي ابن تاشفين – الموضع بخيام من الشعر، وبنى فيه

---

[1]- G. Deverdun: op. cit

[2]- "الاستبصار في عجائب الأمصار" ترجمة فانيان. قسنطينة 1899.

[3] – ابن عبد المؤمن الحميري: المصدر السابق.

مسجداً للصلاة"[1]، وقد استقر المرابطون في مكان مراكش المنبسط الذي يضمن لهم وبهائمهم حرية التنقل. يقول صاحب الحلل:"فانتقلوا إلى تلك الرحبة فوجدوا في فحصها من المرج الخصيب للجمال والدواب ما غبطهم بها، ويمثل السدر والحنضل أهم نبات المنطقة"[2].

1-3-2: ولم يبن المرابطون مخيما مؤقتاً بل قرروا البقاء في المنطقة وتحويله إلى مدينة. ويتضح ذلك من عزم أبي بكر بن عمر على إقامة قلعة صلبة هي قصر الحجر. يورد صاحب البيان:"وفي سنة 462 هـ 23 رجب ابتدئ أساس مراكش وذلك قصر الحجر. وشرع الناس في بناء الدور دون سور، وفي ذلك اليوم بعينه كان ركوب الأمير أبي بكر وإخوته وجميع محلته من أشياخ المصامدة والفعلة من البنائين وغيرهم. فابتدأ العمل في الأساس بمشاركة الأشياخ فأعانوا على البناء بالمال والرجال. فقام سور قصر الحجر في نحو ثلاثة شهور"[3].

ثم اتسعت المدينة وظهرت الضرورة لتسويرها في عهد علي بن يوسف. أصبحت مراكش عاصمة الإمبراطورية المرابطية ثم الموحدية فكثرت بناياتها وتعددت مرافقها الاقتصادية والاجتماعية، وتجملت بالمآثر الفنية والروائع المعمارية التي شدت أنفاس المعاصرين فخلدوها في كتاباتهم التاريخية والأدبية. ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

▪ صومعة الكتبية. ▪ البيمارستان (دار الفرج). ▪ مدينة تمراكشت الموحدية جنوب مراكش بقساريتها الرائعة. ▪ جامع المنصور بقصبة مراكش ومقصورته إضافة إلى البساتين والمساجد.

ويلخص صاحب الروض المعطار ذلك بقوله:"وعظمت مراكش في الدولتين، فكانت أكبر مدن المغرب الأقصى. وعظمت تجارتها وتنافس الناس في البناء فيها وبُنيت فيها الفنادق والحمامات وفيها قيسارية عظيمة"[4].

في مراكش المرابطية انشطرت الحياة اليومية إلى شطرين:

- شطر سياسي يُمارس نشاطه في قصر الحجر (دار الخلافة) وما يحيط بها من مرافق السلطة والحكم.

- شطر شعبي يتحلق حول مسجد ابن يوسف، ويتمثل في المسجد الجامع نفسه وفي الأسواق، ثم بعض الأحياء التي ورد ذكرها في بعض المصادر كحارة السورة ودشر تودغة،

---

[1] – ابن عذاري: المصدر السابق.

[2] – "الحلل الموشية": المصدر السابق.

[3] – ابن عذاري: المصدر السابق.

[4] – ابن عبد المؤمن الحميري: المصدر السابق.

وأسوال (انظر الخريطة). "وهكذا اتصلت عمارات مراكش وحسن قطرها" (الروض المعطار) وانتقل مركز الخلافة إلى الجنوب حيث بنيت تمراكشت وأصبحت تنافس المدينة الأم في الصدارة. واستقلت هي الأخرى بكل مراجعها.

1-3-3: موارد البناء التي استعملت في مراكش

1-3-3-1: تملك مراكش أرضية طينية جيدة تصلح قاعدة لإنتاج مواد البناء، كما تتوفر على محاجر الجير على مسافة قريبة، إلى جانب الغابات الجبلية على بضع عشرات الكلمترات إلى الجنوب. وتوجد بشمال المدينة كديتان حجريتان جبل (ايجليز) جليز وجبل العبيد، تستخرج منها الحجارة للبناء وهكذا تنوعت مواد البناء واستعملت كلها في إعطاء مراكش رونقها وشكلها المعماري المتميز.

1-3-3-2: واستغل قاطنو مراكش ما توفره طبيعة المنطقة في إقامة بنايات المدينة واعتمدوا على الطين والحجارة ونسوق فيما يلي مجموعة من النصوص لتأكيد ذلك.

- قال ابن عذاري: "فذكروا أن أول دار بنيت بمراكش من ديار لمتونة دار تورزگين بن الحسن الكائنة بموضع أسدال بناها بالطوب وجددها وهي الآن ظاهرة على المقر الموضوع المذكور إلى وقتنا هذا"[1].

- وقال الإدريسي:"وليس في موضع مدينة مراكش الحجر البتة إلا ما كان من هذا الجبل (ايجليز) وإن بنائها بالطين والطوب والطوابي المقامة من التراب. وهي في وطاء من الأرض ليس حولها شيء من الجبال إلا جبل صغير سمي ايجليز، ومنه قطع الحجر الذي بني منه قصر أمير المؤمنين وهو المعروف بدار الحجر"[2]، وقال ابن أبي زرع:"...فسكن الموضع بخيام من الشعر، وبنى فيه مسجدا للصلاة وقصبة صغيرة لاختزان أمواله وسلاحه ولم يبين على ذلك سوراً. وكان رحمه الله، أي يوسف بن تاشفين، لما شرع في بناء المسجد يحتزم ويعمل في الطين والبناء مع الخدم تواضعاً منه وتورعا"[3].

- وقال الحسن الوزان:"كان لها أي مراكش – أربعة وعشرون بابا وجدار سور غاية في الجمال والصناعة مبني من اللبن الكلسي ومن رمل غليظ مخلوط بالجبص"[4].

---

[1] – ابن عذاري: المصدر السابق.

[2] – الإدريسي: المصدر السابق.

[3] – ابن أبي زرع: المصدر السابق .

[4] – الحسن الوزان: المصدر السابق.

ويلخص لنا ابن خلدون المواد التي استعملت في البناء وكذلك تقنية البناء في النص التالي:"...منها البناء بالحجارة المنجدة، يقام بها الجدران، ملصقا بعضها إلى بعض بالطين والكلس الذي يعقد معها ويلتحم كأنه جسم واحد. ومنها البناء بالتراب خاصة يتخذ لها لوحان من الخشب مقداران طولا وعرضا فينصبان على أساس وقد بوعد بينهما بما يراه صاحب البناء في عرض الأساس، ويوصل بينها بأذرع من الخشب يربط عليها بالحبال والجدر، ويسد الجهتان الباقيتان من ذلك الخلاء بينهما بلوحين آخرين صغيرين ثم يوضع فيه التراب ثانياً وثالثاً حتى يمتلئ ذلك الخلاء بين اللوحين وقد تداخلت أجزاء الكلس والتراب وصارت جسماً واحداً ثم يعاد نصب اللوحين"[1].

بينما يصف لنا جان موكي في رحلة إلى المغرب Voyage au Maroc مراكش قائلاً:"جل المنازل العادية بها منحدرة، صغيرة ومبنية بطريقة بسيطة بالطين والجير لكن منازل القواد والسادة واسعة ومبنية بالحجارة ومسورة".

خلاصة: نستخلص من مختلف النصوص الواردة أعلاه أن مواد البناء متنوعة لكن غلب عليها الطين والطوب نظراً لوفرتها بالمنطقة ولملاءمتها لمناخ الجهة التي توجد بها مراكش. ولم يستعمل الطين وحده بل أضيفت إليه مادتا الرمل والجير ليصبح أكثر صلابة ومقاومة. والطين هو المادة الأولية المستعملة. أما منازل السادة، فقد استعملت فيها الحجارة المنجدة والتي حملت من جبل ايجليز شمال المدينة. ويلاحظ المؤرخون المحدثون أن المرابطين والموحدين اعتمدوا في بناء مراكش على تقنيات نقلوها من الجنوب الصحراوي الإفريقي ومن الشمال الأندلسي فاعتمدوا التبليط والزخارف الكتابية والنباتية والنحت المخرم والفستقيات.

1-4: مراحل التعمير:

يتضح من خلال الخريطة التي نعرضها في هذا المقال أن تعمير مدينة مراكش خلال العهدين المرابطي والموحدي مر بأربع مراحل:

1-4-1: تمثلت المرحلة الأولى في إقامة معسكر الخيام المرابطي وبناء قصر الحجر حيث استقرت دار الخلافة. وتزامنت هذه المرحلة مع أبي بكر بن عمر ويوسف بن تاشفين الذي اتجهت همته إلى فاس أكثر من مراكش.

---

[1]- عبد الرحمان بن خلدون: "المقدمة" القاهرة 1963.

1-4-2: أما المرحلة الثانية فتوافق عهد علي بن يوسف الذي أعطى للمدينة شخصيتها الأولى بتجديد مجالها داخل سور بناه بعد استشارة العلماء، ثم تشييد المسجد الجامع بعيدا عن دار الخلافة والذي تركزت حوله الأسواق التجارية. وخلال هذه المرحلة ظهرت مجموعة من الأحياء السكنية والحرفية كحارة السورة ودشر تودغة وأسوال، واستقر الدباغون شرق المدينة بالقرب من واد إيسيل وكذلك صناعة الفخار والمعاصر.

1-4-3: المرحلة الثالثة وهي التي بدأت مراكش تزدهر خلالها مع عبد المؤمن الموحدي وابنه أبي يعقوب يوسف. ونسوق النص التالي للإدريسي لأن فيه البيان الشافي "مدينة مراكش في هذا الوقت من أكبر مدن المغرب الأقصى لأنها دار إمارة لمتونة ومدار ملكهم، وكان بها إعداد قصور لكثير من الأمراء والقواد وخدام الدولة. وأزقتها واسعة ورحابها فسيحة ومبانيها سامية إذ كبرت المدينة وأصبحت في مصاف المدن الكبرى، واكتسبت شخصيتها وازداد عدد سكانها وامتلأت الفراغات المتواجدة بين أحياءها السكنية حتى ضاقت بأهلها وأصبحت تشكو الاكتظاظ"[1].

1-4-4: ويمثل بناء تمراكشت (قصبة الموحدين) جنوب مراكش على يد أبي يوسف يعقوب الموحدي (يعقوب المنصور) المرحلة الرابعة بحيث أنشأ له مدينة متاخمة لمراكش المرابطين ومدها بكل ما تحتاجه من مرافق سكنية وإدارية واقتصادية واجتماعية. وتمراكشت مدينة بأسوارها وأبوابها ومسجدها تتكون من ثلاث وحدات.

- دار الخلافة وملحقاتها وبها 12 قصرا.
- المشور أو الاسَراك.
- المسجد وملحقاته وما يحيط به من منشآت اقتصادية.

وتتصل هذه الأقسام الثلاثة بواسطة مجموعة من الأبواب.

2- مجالات مراكش المختلفة ودلالتها:

2 -1 : المجال السياسي:

لا شك أن دار الخلافة هي رمز السلطان والسيادة وبالتالي شكلها ورونقها يعكس مكانة السلطة السياسية. منذ الانطلاق فكر المرابطون في بناء دار الإمارة فكانت قصر الحجر، والذي اختلف عن بنايات مراكش الأولى بحيث استعملت في بنائه الحجارة بدل الطين وأحيط بسور حتى أصبح ممتنعا، في حين أبعدت الأحياء السكنية والمرافق الاقتصادية إلى الشرق منه.

---

[1] - الإدريسي: المصدر السابق.

استعمل الموحدون في البداية نفس القصر لكنه لم يعد ينسجم مع قوتهم وانتشار إمبراطوريتهم على الكثير من البلاد، وتكاثر حاشيتهم. أقاموا مدينة أخرى جنوب مراكش هي مدينة الإمارة حملت اسم تمراكشت وزينوها بمختلف البناءات والقصور. وقد ترك المؤرخ العمري وصفا جيدا لهذه المدينة في مسالك الأبصار يقول العمري:"وبها قصر الخلافة بناه المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، اختطها خارج مراكش خاصة به وخواصه، وتعرف بتمراكشت. قال ابن سعيد ولا أدري كيف أصل إلى غاية في الوصف، أصف به ترتيب هذه المدينة المحدثة، فإنها من عجائب همات السلاطين، ذات أسوار ضخمة وأبواب عالية، وبها قصر الخلافة وبه ديار عظيمة، منها دار البلور ودار الماء. وكل دار منها لا تخلو من المياه والبساتين العجيبة والمناظر المرتفعة المشرفة على بسائط مراكش[1]. والقصبة المنصورية مدينة مستقلة بكل مرافقها الاقتصادية والإدارية منها تنطلق الأوامر وإليها تعود الجبايات. قصبة ممتنعة كذلك بأبواب ضخمة وأسوار عالية وساحات كبرى، قصبة تمثل عظمة السلطة السياسية. ومن الملاحظ أنها كالقصبة المرابطية بنيت بعيدا عن مساكن الشعب، وأحيطت بالأسوار، وأصبحت في عالم الغيب بالنسبة للإنسان العادي البسيط. وقد استمرت قصبة المنصور تلعب دور قطب المجال السياسي حتى بعد انهيار الموحدين.

وقد اجتذبت المدينة الجديدة إليها الاهتمام واستأثرت بالنفوذ لأنها مقر الحكم والسلطان، وبالتالي أصبحت مراكش الأولى ثانوية تقريبا. وأهم ما يميز المجال السياسي هو انعزال دار الخلافة بعيدا عن الأوساط السكنية العادية واحتمائها داخل أسوار من تراب أو من حجر وهو المجال الذي تمارس فيه الأمور السياسية وتتخذ القرارات المهمة وتدبر وتحاك المؤامرات.

2 – 2: المجال الديني

يتمثل المجال الديني في المساجد. وعندما نطل على المساجد خلال هذه الفترة نخرج بالخلاصات التالية:

2 – 2 – 1: المسجد الجامع الرئيسي بمراكش

عرف هذا المسجد عدم الاستقرار. ففي العهد المرابطي لعب مسجد بن يوسف دور الريادة لأنه كان الوحيد، فيه يجتمع الناس لصلاة الجمعة ثم لتأكيد ولائهم للدولة الحاكمة، ولما

---

[1]– فضل الله العمري: "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار". ورد ذكره عند دوفردان.

استولى الموحدون على الحكم أقاموا مسجدا جامعا آخر هو الكتبية وفي هذا يقول الإدريسي:"وكان بها جامع بناه أميرها يوسف بن تاشفين فلما كان في هذا الوقت وتغلب عليها المصامدة وصار الملك لهم تركوا ذلك الجامع عطلاً مغلق الأبواب ولا يرون الصلاة فيه، وبنوا لأنفسهم مسجدا جامعا يصلون فيه"[1]، ويرجع بناء الكتبية لعبد المؤمن وابنه أبي يعقوب.

وعندما كبرت المدينة واكتظت بالسكان انتقل مركز الخلافة إلى جنوب المدينة حيث شيدت تمراكشت، ضمت القصبة من بين مبانيها مسجدا جامعا ثالثا سرق الأضواء من الكتبية وأصبح يلعب الدور الأول على المستوى الديني لأن الخليفة يصلي فيه الجمعة.

لكن سرعان ما استرجع جامع ابن يوسف مكانته بعد انهيار الدولة الموحدية.

2 – 2 – 2: مساجد الجانب الشرقي

لم تذكر الوثائق التاريخية أسماء هذه المساجد ولكن احتفظت لنا بأهميتها الدينية خاصة في العهد الموحدي عندما ازدهرت الصوفية بمراكش مع الولي الصالح أبي العباس السبتي وآخرين وحملت هذه الجماعة اسم أهل الصفة.

2–2–3: المساجد العادية

وهي المساجد التي توجد بالأحياء وتقام فيها الشعائر الدينية اليومية.

خلاصة: المجال الديني مهم نظرا لتنوع عناصره من جهة وللدور الكبير الذي تلعبه المساجد في حياة الناس. فالمسجد مكان لأداء الشعائر الدينية وملتقى للمناظرات الدينية والسياسية ومكان لتواجد المعارضة السياسية للحكم ومنطلق الثورات.

2–3: المجال الاقتصادي

2–3–1: مركز صناعي

عرفت مراكش خلال العهدين المرابطي والموحدي نشأة مجموعة من الصناعات والحرف. فقد تجمعت الصناعات التي تحتاج إلى الماء والمكان الواسع في الناحية الشرقية. ونذكر منها الدباغة، الفخارة، إلى جانب عدد من المعاصر (انظر الخريطة) ولم يتغير مكان هذه الصناعة لحد الآن بسبب الروائح الكريهة، إذ يستحسن أن يكون موقعها تحت الهواء والذي يهب من

---

[1] – الإدريسي: المصدر السابق.

الغرب في اتجاه الشرق في غالب أيام السنة، كما ذكرت بعض المصادر أن مراكش توفرت على منشآت لصناعة الصابون والسكر. وإلى جانب هذه الصناعات توفرت بالمدينة ولا شك صناعات أخرى لازمة لحياتها وملازمة لمركز الخلافة كالتجارة والحدادة والحياكة والبناء...

2-3-2: المجال التبادلي

2-3-2-1: الفنادق

أشارت المصادر إلى تواجد ثلاثة فنادق بمدينة مراكش هي فندق الأرنجة قرب مسجد ابن يوسف، فندق السكر قرب باب نفيس (انظر الخريطة) فندق المقبل الذي هبط فيه أبو العباس السبتي لما قدم إلى مراكش[1]، وكانت الفنادق بمثابة أماكن يستقر بها التجار الزائرون لمراكش خلال المدة التي تقتضيها تجارتهم، وفي نفس الوقت تعتبر مكانا لإبرام الصفقات وترويج البضائع، والفندق كذلك مخزن لوضع السلع قبل ترويجها ومربط لبهائم النقل ووسائله وبيوت لإسكان التجار الوافدين، ومن الممكن أن تضم مراكش بين أسوارها فنادق أخرى أغفلتها المصادر الشحيحة التي نتوفر عليها.

2-3-2-2: الأسواق

يقول الإدريسي "ومدينة مراكش في هذا الوقت من أكبر مدن المغرب الأقصى.... وأزقتها واسعة ورحابها فسيحة ومبانيها سامية وأسواقها مختلفة، وسلعها نافقة" ويزيد قائلا:"... وكانت أكثر الصنع في مراكش متقبلة عليها مثل سوق الدخان والصابون والصفر والمغازل"[2].

إذن تمثل الأسواق الفضاء التبادلي لمراكش حيث يلتقي البائع والمشتري. وكان من العادة أن تكون الأسواق التجارية الرئيسية مجاورة للمسجد الجامع. وهكذا انتقل المركز التجاري للمدينة مع انتقال المسجد الجامع من وسط المدينة (مسجد ابن يوسف) إلى غربها (مسجد الكتبية) إلى جنوبها (مسجد قصبة المنصور) ليرجع من جديد إلى وسط المدينة حول مسجد ابن يوسف، وكلما انتقل الرواج من جوار مسجد إلى مسجد آخر أصاب المركز التجاري الأول كساد كبير في حين تمتع المركز الجديد بالرواج. وقد ذكرت لنا المصادر أسماء بعض الأسواق مثل السراجين والبرادعيين والقشاشين، والقراقين، والقيسارية حيث تباع الأثواب. وهذه هي الأسواق المهاجرة في حين ذكرت

1- عباس بن إبراهيم المراكشي:"الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام" فاس 1936.

2- الإدريسي: المصدر السابق.

أسواق أخرى لها شخصيتها وتخصصها كسوق الحنطة وسط المدينة وسوق البهائم خارج المدينة في الجنوب الغربي بينما يمثل سوق الكتبيين الميزة الثقافية والتعليمية للمدينة.

2- 3 - 2 -3: توفرت الأحياء على فضاء تبادلي بسيط يصلح لتغطية الحاجيات اليومية ويتمثل في الدكاكين.

2 - 4: المجال التعليمي

عرفت مراكش ازدهار العلوم والفلسفة وكانت مساجدها مكانا للمساجلات الفقهية والمناظرات. كما استقطبت العلماء والأطباء والمهندسين والفلاسفة. ازدهر بها العلم الشرعي والوضعي ولعبت مساجدها دور المدارس الحالية والجامعات. وكانت القصبة السلطانية مكانا ازدهرت فيه المدارس ونذكر منها مدرسة القصبة، القبة المنصورية، مدرسة الأمراء، نادي طلبة الحضر.

وإلى جانب المدارس كثرت الخزانات الخاصة والتابعة للدولة، كما ازدهرت حرفة الكتبيين وأنشئ لها حي خاص تم ترصيفه لأهميته. وتطورت العلوم الرسمية وبجوارها العلوم الصوفية. واستقطبت كل واحدة مدرسين وطلاباً.

2 - 5: المجال الاجتماعي

وفرت مراكش لسكانها بمساعدة الدول الحاكمة الخدمات الاجتماعية المختلفة، فنقلت المياه من خارج المدينة وشيدت الصهاريج وغرست الحدائق (أكَدال) وبني بيمرستان (دار الفرج) وهو مستشفى يقول عنه المراكشي في المعجب "وبني يعقوب المنصور بمدينة مراكش بيمارستان ما أظن في الدنيا مثله وذلك أنه تخير ساحة فسيحة بأعدل موضع في البلاد وأمر البنائين بإتقانه على أحسن الوجوه...وأمر أن يغرس فيه مع ذلك من جميع الأشجار والمشمومات والمأكولات، وأجرى فيه مياها كثيرة تدور على جميع البيوت... ثم أمر له من الفرش النفيسة من أنواع الصوف والكتان والحرير والأديم... وأقام فيه من الصيادلة لعمل الأشربة والأذهان والأكحال وأعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم ولم يقصر على الفقراء دون الأغنياء بل كل من مرض بمراكش من غريب حمل إليه وعولج إلى أن يستريح أو يموت"[1].

---

[1]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق.



G. Deverdun : Marrakech des origines à 1912

المفتاح

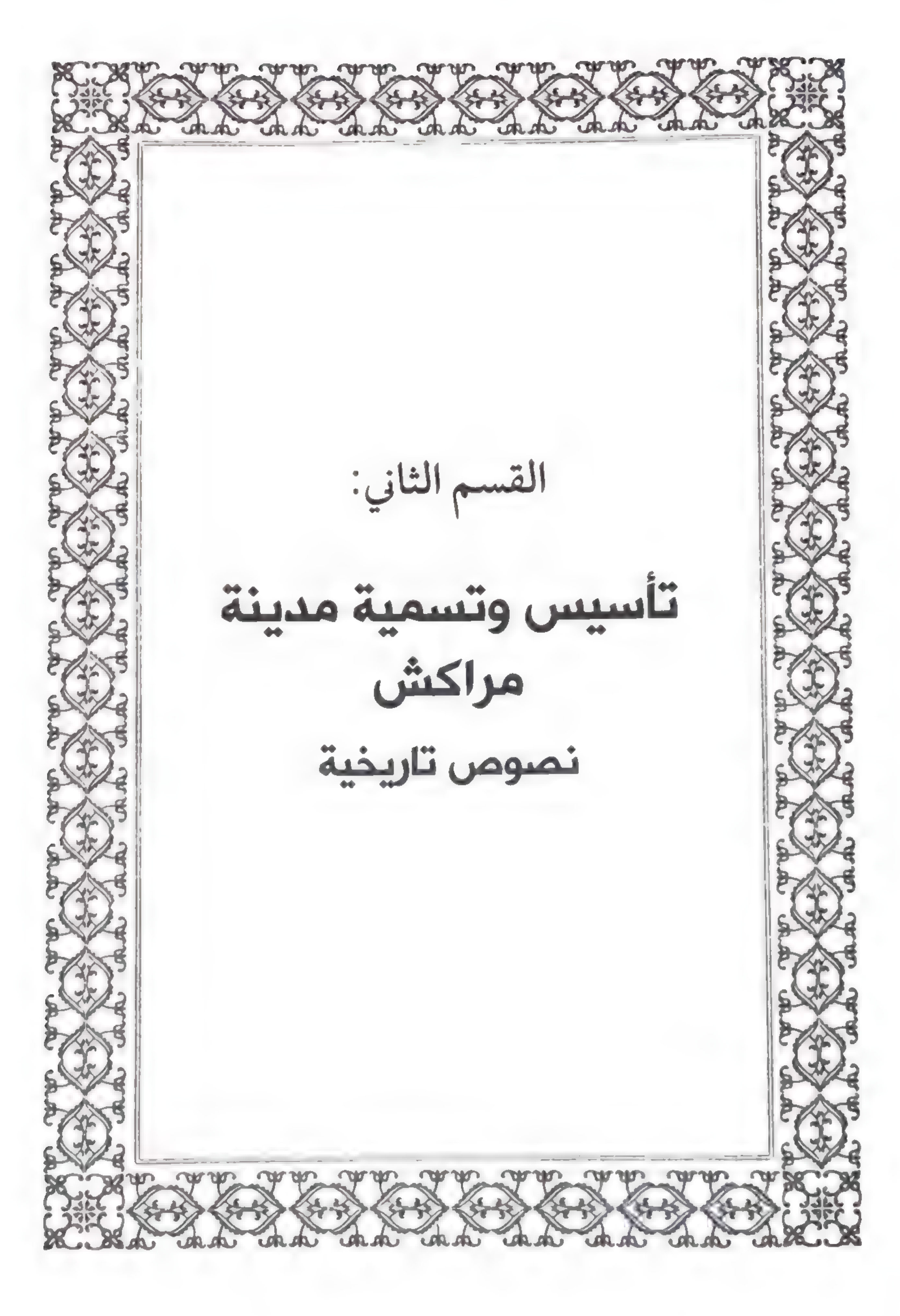
○	احياء مرابطية
⬡	احياء أضيفت في العهد الموحدي
△	الساحة الكبرى (جامع الفناء فيما بعد)
▦	مباني دينية
■	مصاريج
الدباغين	أسماء أحياء صناعية
- - - -	الطرق والازقة داخل المدينة
——	سور المدينة مع الابواب

أبواب مراكش

1	باب تاغزوت
2	- الموحونة
3	- دكالة
4	- الرخاء
5	- المخزن
6	- الشريعة
7	- نفيس (الرب)
8	- الصالحة
9	- أغمات
10	- ايلان (ايلانة)
11	- الدباغين (الدباغ)
12	- فاس

ص ط

لَا غَالِبَ إِلَّا اللَّهُ



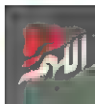
القسم الثاني:

تأسيس وتسمية مدينة مراكش

نصوص تاريخية


وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا

نصوص تاريخية مغربية وأندلسية حول تأسيس وتسمية مدينة مراكش



لا غالب إلا الله

نص الشريف الإدريسي*

"... وبشمال هذه المدينة (أغمات) وعلى اثني عشر ميلا منها مدينة بناها يوسف بن تاشفين في صدر سنة سبعين وأربع مائة بعد أن اشترى أرضها من أهل أغمات بجملة أموال واختطها له ولبني عمه وهي في وطاء من الأرض ليس حولها شيء من الجبال إلا جبل صغير يسمى ايجليز ومنه قطع الحجر الذي بني منه قصر أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين وهو المعروف بدار الحجر...".

نص صاحب الاستبصار*

(مؤلف مجهول)

"... مدينة مرّاكش - كلأها الله «3»

هي اليوم حضرة بلاد المغرب ودار مملكتها، وهي مدينة عظيمة في بسيط من الأرض، أسسها يوسف «ب» بن تاشفين سنة 459 [1067]؛ وأول ما بني فيها دار الأمة وهي الآن معلومة بها، ثم اختط سورها ولده علي سنة 514 [- 1120] ؛ وفتحها الخليفة أمير المؤمنين رضه يوم السبت بعد صلاة الظهر 18 من شوال سنة 541 [- 24 مارس 1147]. وعلى 3 أميال منها وادي تنسيفت، منبعه من بلد دمنات «ا»، يصب فيه وادي وريكة ووادي نفيس وأودية كثيرة، ومصبه في ساحل رباط جوز «ب» ويدخله الشابل الكثير الطيب.

وهي مدينة طيبة التربة كأنها غطاء من حجر على حجر، عذب ماؤها قريب من قامة أو قامتين؛ وبساتينها تسقى من آبار منتفد بعضها ببعض حتى تخرج على وجه الأرض. وبينها وبين

* - الشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، المجلد الأول، القاهرة، 1964، ص 233.

* - مؤلف مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، بغداد، 1986، ص 208.

درن نحو ال 20 ميلا، وهي كثيرة الزرع والضرع تحرثها دكّالة وجنتها نفيس، وحولها من البساتين والجنات التي يسمونها البحائر لعظمها ما لا يحصى كثرة؛ وإنما بناها واضعها ليملك منها جبل درن لكثرة من يعمره، وكان خروج هذه الشرذمة الصحراوية لقتال براغواطة الكفار المرتدين عن ديانة الإسلام.

وكان إسلام قبائل الصحراء سنة 435 [- 1043] وخروجهم سنة 450- 1058] أو نحوها فقتل زعيمهم الذي أخرجهم ببلد برغواطة بموضع يسمى تيلمت، وبني على قبره مسجد وولي بعده أبو بكر بن عمر اللمتوني المحمدي وبقي إلى سنة 457 [- 1065] قبل أن ينخلع ويولي يوسف بن تاشفين، ويطلق زوجته زينب بنت ابراهيم النفزاوي «1». ولم يكن في زمانها أجمل منها ولا أعقل ولا أظرف، فتزوجها بعده يوسف وبنى لها مراكش، وسار أبو بكر بن عمر إلى الصحراء فقاتل السودان فرشقه سهم فمات. ومدينة مراكش اليوم من أعظم مدن الدنيا بهجة وجمالا بما زاد فيها الخليفة الإمام وخليفته أمير المؤمنين أبو يعقوب وخليفتهما أبو يوسف رضهم، فإن الخليفة الإمام بنى فيها جامعا عظيما «2» ثم زاد فيه مثله أو أكثر في قبلته؛ كان قصرا، ورفع بينهما المنار العظيم الذي لم يشيد في الإسلام مثله، وأكمله ابنه وخليفته أبو يعقوب رضه. وجلب الخليفة الإمام المياه من أودية درن وغرس بحيرة عظيمة بغربي المدينة قبل نفيس دورها 6 أميال، وبنى فيها وخارجها صهريجين عظيمين كنا في تلك المدة نعوم فيهما فلا يكاد القوى منا يقطع الصهريج إلا عن مشقة، وكنا نتفاخر بذلك. وأحدث الخليفة بعده ابنه أبو يعقوب رضه بحائر مثلها في الغرس بل أجمل، وجلب لها المياه وأخذها في صهاريج أعظم من المتقدمة، وزاد في قبلة المدينة حصنا أنفذه الآن ابنه الإمام الخليفة أبو يوسف رضه، وزاد عليه مدينة أخرى تقارب الأولى في دورها؛ وكانت بحائر عظيمة فبناها قصورا وجامعا وأسواقا وفنادق، وجلب التجار إلى قيسارية عظيمة لم يبق في مدن الأرض أعظم منها، وأمر بعمارتها أول سنة 585 [1189]. ومدينة مراكش أكثر بلاد المغرب جنات وبساتين وأعناب وفواكه وجميع الثمرات، وكانت قبل ذلك يطير الطائر حولها فيسقط من العطش والرمضاء، وأكثر شجرها الزيتون ففي مراكش اليوم من الزيتون والزيت ما تستغني به عن غيرها من البلاد وتمير بلادا كثيرة، وكان زيتها قبل اليوم دهن الهرجان «1» لأنه بتلك البلاد كثير جدا. وزيتون مراكش أكثر من زيتون مكناسة وزيتها أرخص وربما أطيب.

ومما شرف به سيدنا ومولانا أمير المؤمنين أبو يوسف حضرته المكرمة رضه أن أرسل في وسط المدينة ساقية ظاهرة ماؤها ماء قصره المكرم، تشق المدينة من القبلة إلى الجوف، وعليها السقايات لسقي الخيل والدواب واستقاء الناس، فهي اليوم أشرف مدن الدنيا وأعدلها هواء. ومن بركاته «ب» وضع دار الفرج في شرقي الجامع المكرم، وهو مارستان المرضى، يدخله العليل فيعاين ما أعد فيه من المنازه والمياه والرياحين والأطعمة الشهية والأشربة المفوهة «ج» ، ويستطعمها ويسيغها فتنعشه من حينه بقدرة الله تعالى. وكان في سنة 585 [– 1189] قد استدعى العلماء ورواة الحديث وأمر بتدريس حديث النبي – صلى الله عليه وسلم ...".

نص عبد الواحد المراكشي*

"وفي إمارة المعتضد بالله نزل لمتونة ومسوفة – قبيلتان عظيمتان من البربر – رحبة مراكش، فتخيروها دار ملكهم لتوسطها البلاد، وكانت إذ نزلوها غيضة لا عمران بها، و غنما سميت بعبد أسود كان يستوطنها يخيف الطريق اسمه مراكش، فاستوطنها البربر كما ذكرن، وقدموا عليهم رجلا منهم اسمه تاشفين بن يوسف".

نص ابن سعيد المغربي*

"... حاضرة المغرب مراكش، بناها يوسف بن تاشفين المتولي سلطان الملثمين في أرض صحراوية، وجلب إليها الماء، وأكثر الناس فيها البساتين. وقد كثر وخمها ولا يكاد غريب يخلص فيها من الحمى ولا سيما الملثمة...".

*– عبد الواحد المراكشي، المُعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبطه وصححه وعلق على حواشيه وأنشأ مقدمته محمد سعيد العريان و محمد العربي العلمي، الدار البيضاء، 1978، ص 148.

*– ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، حققه ووضع مقدمة وعلق عليه إسماعيل العربي، بيروت، 1970، ص 125.

نص ابن عذاري المراكشي*

"... وفي هذه السنة[1] ضاق المجمع بمدينة أغمات وريكة عن الخلق فيها فشكا أشياخ وريكة وهيلانة بذلك إلى الأمير أبي بكر بن عمر مرة بعد أخرى إلى أن قال لهم: "عينوا لنا موضعا أبني فيه مدينة – إن شاء الله تعالى" – وكان سكناه مع إخوانه في الأخبية... حتى ابتنى بزوجه زينب النفزاوية في هذا العام فزاد الخلق بأغمات من أجل... هيلانة وهزميرة على أن يعينوا موضعا حيث يكون بناء المدينة، فوقع التنازع بين المذكورين في ذلك، وطلب كل واحد أن يكون بناء المدينة في بلادهم لينسب بناؤها إليهم وذلك لأجل ما تقدم بينهما من الفتنة ومداولة الإمارة إلى أن اجتمعت أشياخ قبايل المصامدة وغيرهم فوقع تدبيرهم أن يكون موضع تلك المدينة بين بلاد هيلانة وبين بلاد هزميرة فعرفوا بذلك أميرهم أبا بكر بن عمر وقالوا له: "قد نظرنا لك موضع صحراء لا أنيس به إلا الغزلان والنعام ولا تنبت إلا السدر والحنظل". ثم كان أراد بعضهم أن تكون المدينة على وادي تانسيفت فامتنع لهم من ذلك وقال: "نحن من أهل الصحراء ومواشينا معنا لا يصلح لنا السكنى على الوادي" فنظروا له ذلك الموضع لكي يكون وادي نفيس جنانها، ودكالة فدانها، وزمام جبل درن بيد أميرها طول زمانها، فركب الأمير أبو بكر في عسكره مع أشياخ القبايل فمشوا معه إلى فحص مراكش وهو خلاء لا أنيس به فقالوا له: "ابن هنا مدينة تكون متوسطة بين هيلانة وهزميرة".

وفي سنة اثنتين وستين وأربعمائة في الثالث والعشرين لرجب ابتدئ بأساس مراكش وذلك قصر الحجر، وشرع الناس في بناء الدور دون سور، وفي ذلك اليوم بعينه كان ركوب الأمير أبي بكر بن عمر وإخوته وجميع محلته مع أشياخ المصامدة والفعلة من البنائين وغيرهم، فابتدأ العمل في الأساس بمشاركة الأشياخ وحسب عونهم، فأعانوا على البناء بالمال والرجال، فقام سور قصر الحجر في نحو ثلاثة أشهر على نحو ما ذكره ذوو المعرفة والأخبار، واشتغل الناس فيها ببناء الديار كل واحد على قدر جهده واستطاعته. فذكروا أن أول دار بنيت بمراكش من ديار لمتونة دار تورزجين بن الحسن الكائنة بموضع أسدال بناها بالطوب وجددها وهي الآن ظاهرة على المقر

* – ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 4، (قطعة من تاريخ المرابطين)، كتب التعليقات إحسان عباس، لبنان، 1967، صص 19 – 22.

1 – أنظر الحلل، 5.

بالموضع المذكور إلى وقتنا هذا سنة ست وسبعماية، وذكروا أن اللمتونيين حين طلبوا موضعا صحراء يبنون فيه مدينتهم ليبعدوا من مواضع الوادي والغياض على أنفسهم ومواشيهم لعادتهم في بلادهم فوقع بحثهم وجدهم واجتهادهم على موضع مدينة مراكش والله أعلم بذلك.

وفي سنة ثلاث وستين وأربعماية كان الأمير أبو بكر بن عمر قاعدا على السور والفعلة أمامه يعملون في السور وفي غيره إلى أن وقف عليه رجل راكب على فرس أشعت الرأس فسلم عليه وقال: "أيد الله الأمير إن جدالة أغارت على إخوتك فقتلوا الرجال وسلبوا الأموال وهزموهم". فلما استوفى كلامه قال الأمير أبو بكر: "إنا لله وإنا إليه راجعون وبعث إلى أشياخ لمتونة وكبرائهم وعظمائهم وقال لهم "إن إخوانكم قد أغارت جدالة عليهم وقتلوهم... وأنا مسافر- إن شاء الله- إليهم لآخذ بثأرهم فانظروا منكم رجلا استخلفه عليكم".

ذكر حركة الأمير أبي بكر بن عمر إلى الصحراء

لما أخذ الأمير أبو بكر في الحركة إلى الصحراء ولى يوسف مكانه وقسم الجيش بين يوسف وبينه، فقيل أن الذي ترك مع يوسف بن تاشفين من اللمتونيين الثلث ورحل معه الثلثان[1]، وذلك في غرة ربيع الآخر من سنة ثلاث وستين.

ذكر ولاية يوسف بن تاشفين ونبذ من أخباره

لما توجه الأمير أبو بكر بن عمر إلى الصحراء ولاه مكانه وترك معه الثلث من لمتونة إخوانه فاشتغل ببناء مراكش وتحصينها، وحصل منها تحت سور وأبواب في قصر الحجر[2]، وأعانه القبائل في جميع أموره وأحواله، وحبب نفسه إليهم، وأفاض إحسانه عليهم، وكان يكاتب الأمير أبا بكر بكل ما يصنع، فيشكره على ذلك وأبو بكر بن عمر في الصحراء يحارب جدالة حتى أخذ ثأره منهم في خبر طويل. وتزوج يوسف بن تاشفين زينب النفزاوية في شهر شعبان المكرم من سنة ثلاث وستين.

---

[1]- في الروض أن أبا بكر بن عمر ارتحل بنصف الجيش إلى الصحراء.

[2]- الحلل: واشتغل ببناء الحصن المسمى بحصن قصر الحجر برحبة مراكش وجعله تحت سور وأبواب وحصنه.

نص صالح بن عبد الحليم*

"... وفي خمسة وسبعين وأربعمائة شرع يوسف بن تاشفين في بنيان مراكش، وشرع ابنه علي في بنيان سورها سنة اثنين وعشرين وخمسمائة بإشارة الفقيه المشاور أبي الوليد بن رشد ومشهده، فإن علي بن يوسف استوفده من قرطبة لعقد البيعة لابنه تاشفين بن علي، فقال له الفقيه أبو الوليد:"لا يحل لك سكنى هذه المدينة دون سور والعدو قريب منك، يريد بالعدو والله أعلم المهدي وعبد المومن، فبلغ الإنفاق في السور نحو السبعين ألف دينار، وفي الجامع نحو الستين ألف دينار، وكانت قبل ذلك مبنية بالطوب، وفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة نهض يوسف بن تاشفين لقتال سقوت البرغواطي وابنه أصحاب سبتة وطنجة ...".

نص ابن أبي زرع الفاسي*

"... ودخلت سنة أربع وخمسين وأربعمئة، فيها تقوا أمر يوسف بن تاشفين بالمغرب وكبر صيته وفيها اشترى موضع تأسيس مدينة مراكش ممن كان يملكه من المصامدة، فسكن الموضع بخيام من الشعر، وبنى فيه مسجدا للصلاة وقصبة صغيرة لاختزان أمواله وسلاحه، ولم يبن على ذلك سورا، وكان رحمه الله لما شرع في بناء المسجد يحتزم ويعمل في الطين والبناء بيده مع الخدمة تواضعا منه وتورعا غفر الله له ونفعه بقصده، والذي بناه يوسف من ذلك هوالموضع المعروف الآن بسور الحجر من مدينة مراكش جوفا من جامع الكتبيين منها، ولم يكن بها ماء، فحفر لهم الماء على قرب، فاستوطنها الناس ولم تزل كذلك لا سور عليها، فلما ولي بعده ولده علي بنى سورها في ثمانية أشهر، وذلك في سنة ست وعشرين وخمسمئة ...".

---

*- الأيلاني، أبو علي صالح بن عبد الحليم، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، الرباط، 2005، ص 146.

*- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، 1973، صص 138-139.

نص لسان الدين بن الخطيب*

"... ولم يزل الأمير أبو بكر بن عمر حتى أخذ ثاره، وأثخن القتل فيهم، وقدّم ابن عمه يوسف بن تاشفين بن إبراهيم، على عسكر كبير، فيهم أشياخ لمتونة، وقبايل البرابرة والمصامدة، واجتاز على بلاد المغرب، فدانت له. وطرق الأمير أبا بكر خبرٌ من قومه من الصحراء انزعج له، فولى بن تاشفين على مملكة المغرب، وترك معه الثلث من لمتونة، إخوانه، وأوصاه، وطلق زوجته زينب، وأمره بتزوُّجها، لما بلاه من يمنها، فبنى يوسف مدينة مراكش وحصنها[1]، وتحبّبَ إلى الناس، واستكثر من الجنود والقوة، وجَبى الأموال، واستبد بالأمر. ورجع الأمير أبو بكر من الصحراء سنة خمس وستين وأربعمائة، فألفى يوسف مستبدا بأمره فسالمه، وانخلع له عن الملك، ورجع إلى صحرايه، فكان بها تَصِله هدايا يوسف إلى أن قتله السّودان. واستولى يوسف على المغرب كله، ثم أجاز البحر إلى الأندلس، فهزَم الطاغية الهزيمة الكبرى بالزلاقة، وخلع أمراء الطوائف، وتملك البلاد إلى حين وفاته...".

نص ابن الصباح الأندلسي*

"لما قسم نوح عليه السلام البلاد على أولاده أعطى بلاد اليمن إلى سام وبلاد الشمال إلى يافث وبلاد الجنوب مع العرب إلى حام، فعمر كل واحد منهم بلاده وأرضه. قال الراوي: صور نوح عليه السلام الأرض في صفة طائر، وجعل بلاد اليمن رأس الطير وبلاد الشمال جناحه الشمال والجنوب جناحه الأيمن، وبقي الغرب الأقصى الذنب لضيق بين الأبحر. قال ابن عباس رضي الله عنه لا تزيد البحور على الأرض ولا الأرض على البحور بقدر مربط ثوره. قال: فلما كثرت العمائر من ولد نوح حسد بعضهم بعضا وقاتل بعضهم بعضا على البلاد، ولم

---

*- لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الرابع، حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1977، صص 348 – 349.

[1]- وردت في الإسكوريال (تحضها) وهو تحريف.

*- ابن الصباح الأندلسي، أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار، وَرَدَ النص عند جمعة شيخة، "مراكش من خلال رحلة ابن الصباح الأندلسي"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، العدد 6، 1990. صص 116-117.

يزل البغي بينهم مدة التبابع من آل قحطان وآل حمير فطردهم حمير إلى الغرب وبلاد الحبشة وبلاد السودان فهم فيها الآن. فكان ممن مر بالغرب من ولد حام كوش. قال: هوكوش بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام مر بالمغرب هووجماعته فنزلوا في موضع هذه المدينة فبنوها بنيانا عظيما، ودوروها بسور متسع مقدار عشرين ميلا دورة السور، وبنوا فيها أبراجا مشيدة وحصنوها بمنع حصين وسكنوها زمانا وغرسوا فيها بكثرة شجر الزيتون. قال أهل التجارب والقياس: كان القوم سودانا فكان قرينهم لا يحب إلا السواد من جميع الأشياء وهذا شيء مما يناسب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل إنما بناها وغرس أشجارها وأجرى أنهارها وفتح آبارها وشيد سورها الأحمر بن سباحين".

نص ابن سماك العاملي*

"... اعلم، رحمك الله، أن سبب ذلك، على ما نقله جماعة من علماء التاريخ، أن الأمير أبا بكر بن عمر بن إبراهيم بن تورفيت اللمتوني، لما خرج من الصحراء باللمتونيين، واحتلوا بأغمات وريكة[1]، وكثر الخلق بها، وضيقوا على أهلها، وكانوا على حال صعبة، شكا أشياخ وريكة وهيلانة، إلى الأمير أبي بكر بن عمر ما يلحقهم في ذلك من العناء والمشقة، وأنهوه إليه المرة بعد المرة، إلى أن قال لهم: عينوا لنا موضعا نبنى فيه مدينة إن شاء الله.

فاجتمعوا على أن يكون بناؤها بين بلاد هيلانة وبين بلاد هزميرة، فعرفوا بذلك الأمير أبا بكر بن عمر، وقالوا له: قد نظرنا لك أيها الأمير موضعا صحراء، رحب الساحة، واسع الفناء، يليق بمقصدك. وقالوا له: نفيس[2] جنانها، وبلاد دكالة فدانها، وزمام جبل درن[3] بيد أميرها.

---

* - ابن سماك العملي، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية"، حققه الدكتور سهيل زكر، وعبد القدر ازممة، الدار البيضاء، 1979، الدار البيضاء، صص 15 – 16.

[1] - قال الحميري في الروض المعطار:"أغمات، بأرض المغرب...بينها وبين (وادي نفيس) مرحلة....وأغمات مدينتان، أحداهما تسمى أغمات وريكة، والأخرى أغمات هيلانة، وبينهما نحو ثمانية أميال، وبأغمات وريكة تسكن الأعيان، وبه ينزل التجار." هذا ومعروف أن وريكة وهيلانة، أو أيلان، من قبائل البربر.

[2] – نفيس اسم يطلق على واد ومدينة من أحواز أغمات ومراكش، اندثرت.

[3] – هو ما يعرف اليوم بسلسلة جبال الأطلس الكبير.

فعند ذلك ركب الأمير أبو بكر بن عمر ومعه قومه الملثمون[1]، وأشياخ المصامدة، ووجوه الناس، وصاروا معه إلى فحص مراكش، وهو خلاء لا أنيس به إلا الغزلان والنعام، ولا ينبت إلا السدر والحنظل، وكان ذلك سنة اثنين وستين وأربعمائة. فانتقلوا إلى تلك الرحبة، فوجدوا في فحصها من المسرح الخصيب للجمال والدواب ما غبطهم بها. وشرع الناس في بناء الدور من غير تسوير عليها. فبينما الأمير أبو بكر بن عمر قد نزل بها وأخذ في بناء الديار، إذ وفد عليه رسول من قبيلة لمتونة بالصحراء، يعلمونه أن جدالة أغارت عليهم، وكانت بينهم فتنة دائمة. فاستخلف ابن عمه[2] يوسف بن تاشفين على المغرب، ودخل إلى الصحراء لإصراخهم، ولأخذ ثأرهم من عدوهم ...".

نص ابن خلدون*

"... واختط يوسف مدينة مراكش سنة أربع وخمسين ونزلها بالخيام وأدار سورها على مسجد وقصبة صغيرة لاختزان أمواله وسلاحه وكمل تشييدها وأسوارها علي ابنه من بعده سنة ست وعشرين وخمسائة وجعل يوسف مدينة لنزله لعسكره وللتمرس بقبائل المصامدة المصيفة بمواطنهم بها في جبل درن...".

نص: الحسن الوزان*

مدينة مَرَّاكُش العُظْمَى:

تعد مراكش من كبريات عواصم العالم وأشرف مدن إفريقيا. تقع في سهل فسيح بعيدة عن الأطلس بنحو أربعة عشر ميلا. بناها يوسف بن تاشفين أمير لمتونة حين دخل مع قبيلته إلى

---

[1]- في ك: ومعه جماعة من الملثمين.

[2]- في هـ: ابن عمته.

*- ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، 1979. الجزء السادس، ص184 .

*- الوزان الحسن بن محمد الفاسي، "وصف إفريقيا"، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الربط 1980، ج 1، صص 97 - 113.

هذه الناحية، واتخذها عاصمة لملكه بالقرب من طريق أغمات التي يقطع منه الأطلس للذهاب إلى الصحراء موطن هذه القبيلة. وقد بنيت مراكش بحسب تصاميم لمهندسين ممتازين من طرف صناع ماهرين، في وسط إقليم عظيم، وفي حياة علي بن يوسف ابن تاشفين كان بها ما ينيف على مائة ألف كانون، وأربعة وعشرون بابا، وسور في غاية الجمال والقوة مبني بالطين المدكوك بالجير والرمل الغليظ الممزوج بالحصى، ويمر على بعد ستة أميال منها نهر كبير يدعى تنسيفت.

في هذه المدينة مساجد ومدارس وحمامات وفنادق على الشكل الإفريقي. من هذه المساجد ما بناه ملوك لمتونة، ومنها ما بناه من خلفهم من ملوك الموحدين. وفي وسط المدينة جامع في غاية الحسن بناه علي بن يوسف أول ملوك مراكش يسمي جامع علي بن يوسف. وقد هدمه عبد المؤمن من الملوك الذين جاؤوا بعد اللمتونيين وأعاد بناءه لغرض واحد، هو أن يمحو اسم علي ويجعل اسمه هو مكانه، فذهب عمله سدى، لأنه لا يجري على السنة الناس إلى الآن إلا الاسم القديم (جامع ابن يوسف).

ويوجد أيضا قرب القصبة جامع آخر بناه عبد المؤمن هذا، وهو ثاني ملوك الدولة التي خلفت الدولة (اللمتونية) السابقة بعد أن ثارت عليها. وقد وسع هذا الجامع بعد ذلك يعقوب المنصور حفيد عبد المؤمن، وزاد فيه خمسين ذرعا في كل جهة، وزينه بعدة أعمدة جلبها من اسبانيا، وبني تحته خزان ماء بأقواس على جميع مساحة الجامع، وأمر بأن يغطى الجامع بسقف من الرصاص تحيط به قنوات ضيقة بحيث تصرف جميع المياه الساقطة عليه إلى الخزان، وشيد كذلك صومعة بالحجر الضخم المنحوت الشبيه بحجر برج الكوليزي بروما، يبلغ محيط دائرة هذه الصومعة مائة ذراع توسكاني، وهي أعلى من برج أزينيلي في بلونية.

يصعد إلى هذه الصومعة بواسطة مدرج مستو عرضه تسعة أشبار، وسمك جدارها الخارجي عشرة أشبار وسمك الجدار الداخلي خمسة أشبار. وفي داخل الصومعة سبع غرف واسعة في غاية الجمال، بعضها فوق بعض. وهذا المدرج مضاء جدا من أسفل إلى أعلى بواسطة كوى رائعة في غاية الأحكام والانتظام، هي في الداخل اعرض منها في الخارج. وعندما يصل الإنسان إلى أعلى الصومعة يجد بريجا هرمي القمة. محيطه خمسة وعشرون ذراعا بحجم الصومعة تقريبا، وعلوه رمحان كبيران يشتمل البريج على ثلاث طبقات مقوسة يصعد إليها بواسطة درج من الخشب وقد ركز في أعلى هذا الهرم بإحكام تام عمود نضدت فيه ثلاث تفاحات فضية،

السفلى أضخم من الوسطى، وهذه أضخم من العليا، وتزن كلها ثلاثة وتسعين رطلا ايطاليا[1]م، وعندما يوجد المرء في الطبقة العليا من البريج عليه أن يدير رأسه إلى جميع الجهات كما لو كان على مرقب صاري السفينة. وإذا نظر إلى أسفل لم ير الرجال مهما طالت قامتهم إلا كأطفال عمرهم سنة واحدة. ويظهر جليا جبل آسفي البعيد عن مراكش بمائة وثلاثين ميلا، كما تظهر أيضا السهول المحيطة بالمدينة على مسافة نحو خمسين ميلا.

والجامع المذكور غير مزخرف كثيرا من الداخل، ومع ذلك فإن سقفه من الخشب مثل كثير من سقوف الكنائس التي رأيناها في ايطاليا. والواقع أن هذا الجامع من أبهى معابد العالم، لكنه اليوم مهجور لأن سكان مراكش تعودوا ألا يقيموا فيه غير صلاة الجمعة، ولان المدينة قليلة السكان جدا لا سيما في الحي المجاور لهذا الجامع. وحتى الوصول إليه يتعذر كثيرا بسبب أنقاض الخرائب المتراكمة في الطريق. وكان تحت رواقه قديما نحو مائة دكان للكتبيين لم يبق منها اليوم ولو دكان واحد.

أن ثلثي هذه المدينة المسكينة غير مسكون، والأراضي الفارغة فيها غرست بالنخيل والكروم والأشجار المثمرة لأن السكان لا يستطيعون أن يملكوا ولو شبرا واحدا من الأرض الصالحة للفلاحة خارج الأسوار لكثرة تعسف الأعراب ويمكن أن نقول حقيقة أن هذه المدينة شاخت قبل الأوان، ففي الوقت الذي يحرر المؤلف هذا الكتاب لم يمض على تأسيس مراكش سوى خمسمائة سنة، إذ بناها يوسف بن تاشفين عام 424[2]، وخلف يوسف بعد موته ابنه علي، وخلف عليا ابنه إبراهيم، الذي ظهر في عصره إمام يدعى المهدي، وقد ولد ونشأ في هذه الجبال، فثأر وجمع جنودا كثيرين حارب بهم إبراهيم[3].

اضطر الملك إبراهيم إلى الخروج مع جنده لملاقاة جيش المهدي، وجرت معركة انهزم الملك على أثرها لسوء طالعه، وقطعت أمامه الطرق المؤدية إلى مراكش، فعدل عن الرجوع إليها وفر نحو الشرق في قليل من الجند الذي بقي معه متبعا سفوح منحدرات الأطلس. ولم يكتف المهدي بذلك بل كلف أحد أتباعه المدعو عبد المؤمن بمطاردة الملك وأعطاه نصف الجيش، وبقي هو مع نصف

---

[1]- م) أي نحو 30 كيلو غرام ونصف كيلو، باعتبار أن الرطل الايطالي 330 غرام بالتقريب.

[2]- يظهر أنه وقع هنا أيضا خلط في الأرقام، فتأسيس مراكش كان عام 454هـ/ 1026م.

[3] – الذي خلف عليا هو ابنه تاشفين الذي حارب الموحدين طوال مدة ولايته سنتين وشهرا ونصف شهر إلى أن هلك في قتالهم خارج وهران في 27 رمضان عام 539/ 23 مارس 1145م. وكان المهدي قد مات عام 524، فخلفه تلميذه عبد المؤمن بن علي.

الجيش الآخر يحاصر مدينة مراكش. ولم يجد الملك وسيلة للنجاة من عدوه ولا لمدافعته إلى أن وصل إلى مدينة وهران. فظن أنه سيتحصن بها أحسن ما يكون مع باقي جنده، لكن عبد المؤمن لم يلبث أن وصل وخيم أمام المدينة، أشعر السكان الملك حينئذ بأنهم لا يريدون أن يصيبهم ضرر بسببه، وفقد الملك البائس كل أمل في النجاة، فأردف امرأته على فرسه وخرج متنكرا من أحد أبواب المدينة، وقاد فرسه نحو صخرة عالية مشرفة على البحر، ثم همز دابته وارتمى متدحرجا من صخرة إلى صخرة. وعثر على الثلاثة ميتين مهشمين فوق صخور البحر فدفنوا في حالة مؤسفة.

رجع عبد المؤمن منتصرا إلى مراكش، فشاء حظه السعيد أن يجد المهدي قد مات، وانتخب ملكا مكانه من طرف المريدين الأربعين والأمناء العشرة[1]، وهو عرف جديد في الشريعة المحمدية. شدد عبد المؤمن الحصار على مراكش سنة كاملة حتى دخلها عنوة. وأخذ الطفل إسحاق بن إبراهيم الوحيد الذي بقي على قيد الحياة ودبحه بيده بكل شراسة، وفتك بمعظم الجند الموجود هناك، وقضى على حياة قسم كبير من سكان مراكش. وتوارثت أسرة عبد المؤمن الملك من عام 516 إلى عام 668 حيث خلعهم ملوك بني مرين. فاعتبروا بتقلبات الدهر وقد احتفظت هذه الأسرة بالملك إلى عام 785، فانقرضت بدورها، ودحت مراكش تحت حكم بعض الأمراء من أبناء جبل درن المجاور للمدينة[2].

ولم يضر بمراكش من هذه التغييرات في الحكم أكثر مما أضر بها بنو مرين الذين استقروا بفاس وأقاموا بلاط ملكهم وأرسلوا نائبا عنهم إلى مراكش فأصبحت فاس عاصمة موريطانيا وجميع المنطقة الغربية. وقد تحدثنا عن المسألة بكيفية أشمل في الملخص الذي وضعناه لتاريخ الإسلام.

وقد ابتعدنا قليلا عن موضوعنا، وآن الأوان للرجوع إلى وصف مراكش، بهذه المدينة قصبة كبيرة كأنها مدينة، ذات أسوار سميكة متينة فتحت فيها أبواب في غاية الحسن، قوائمها وأعاليها من الحجر المنحوت، ومصاريعها مصفحة بالحديد.

---

[1]- المعروف في كتب التاريخ أن أول من بايع عبد المؤمن بن علي العشرة أصحاب المهدي، ثم الخمسون من أشياخ الموحدين (لا الأربعون كما هنا). أنظر ترتيب **المهدي** لقومه: أهل الدار، وأهر الجماعة، وأهل الساقة، وأهل خمسين، الخ عند ابن الخطيب في رقم **الحلل**، ص 57.

وانظر في موضوع نشأة دولة الموحدين عموما أ. الناصري، **الاستقصا**، 2: 71 فما بعدها.

[2]- في الترجمة الفرنسية (الجبل القديم) وهو بدون شك تحريف (لجبل درن) الذي هو الأطلس الكبير.

وفي وسط القصبة جامع في غاية البهاء تعلوه صومعة متناهية الجمال كذلك، في أعلاها ركز عمود من حديد فيه ثلاث تفاحات من ذهب تزن مائة وثلاثين ألف مثقال إفريقي[1]، أكبرها السفلى وأصغرها العليا. وقد أراد كثير من الملوك أن يزيلوا هذه التفاحات ويسكوها نقودا عندما اشتدت حاجتهم إلى المال، ولكنهم في كل مرة تحدث لهم حادثة غريبة تلزمهم بتركها في محلها حتى أنهم تطيروا من مسها، وتقول العامة أن التفاحات وضعت هناك تحت تأثير أحد الكواكب، بحيث يستحيل أن ينزعها أحد من مكانها، كما تقول بأن من ركز تلك التفاحات قرأ عليها عزائم سحرية ألزمت بعض الأرواح برصدها على الدوام.

وفي القصبة أيضا مدرسة في غاية الحسن، أو على الأصح مؤسسة معدة للدراسة وسكنى مختلف الطلبة، تحتوي على ثلاثين حجرة، وقاعة في الطبقة الأرضية كانت تعطى فيها الدروس فيما سبق. وكان كل طالب مقبول في هذه المدرسة ينفق عليه ويكسى مرة في السنة، ويتقاضى الأساتذة مرتبا قدره مائة أو مائتا مثقال حسب نوع الدروس المطوقين بإلقائها. ولم يكن يقبل في هذه المدرسة إلا من كان يعرف مبادئ العلوم معرفة تامة. وهذه البناية مزخرفة بالفسيفساء البديعة، وحيث لا توجد فسيفساء تغطى الجدران الداخلية بزليج من الطين المشوي اللماع المقطع على شكل أوراق رقيقة أو بمواد أخرى بدل الفسيفساء، وذلك على الأخص في قاعة الدروس والممرات المسقوفة. وفناء المدرسة المكشوف كله مفروش بالزليج اللماع كالذي يستعمل في اسبانيا. وفي وسط المدرسة فسقية (خصة) منحوتة من المرمر الأبيض في غاية الجمال، لكنها منخفضة على عادة الأفارقة. وكان بالمدرسة قديما حسبما سمعت عدد كثير من الطلبة، لكنهم اليوم لا يتجاوزون خمسة طلاب مع أستاذ جهله بالفقه فاحش، ليس له سوى معرفة سطحية غامضة بالآداب وأقل من ذلك بعلوم أخرى [...].

وفي القصبة أيضا أحد عشر أو إثنا عشر قصرا حصينا في غاية الجودة، بناء وزخرفة من تشييد المنصور. كان يقيم في القصر الأول المواجه حرس الرماة المسيحيون، وهم في العادة خمسمائة، يسيرون دائما أمام الملك عندما ينتقل من مكان إلى آخر. ويسكن في القصر الذي يليه نفس العدد من الرماة. وعلى بعد قليل من هذا القصر يوجد مسكن العمال والكتاب الذي

---

[1] - ظن المعلق في النسخة الفرنسية أن صفرا قد أقحم هنا، والصواب أن تقرأ 13.000 مثقال أي ما يساوي 60 كيلوغراما من الذهب، لكن هناك روايات تاريخية أخرى تؤكد أن تفافيح منار جامع اشبيلية موهت بمائة ألف دينار ذهبا، فيمكن إذا أن تكون تفافيح جامع المنصور بالقصبة السلطانية بمراكش موهت بمائة وثلاثين ألف دينار أو مثقال ذهبا.

يسمى بالعربية دار القضايا. ويسمى القصر الثالث قصر النصر، توضع فيه الأسلحة وذخائر المدينة. وفي قصر آخر بعيد قليلا كان يسكن رئيس اصطبلات الملك. وبالقرب من هذا القصر ثلاث اصطبلات مقوسة السقوف يسع كل واحد منها ثلاثمائة فرس. وهناك اصطبلان آخران أحدهما للبغال يضم مائة بغل، الثاني للحجرات والبغلات التي يركبها الملك. وبعد هذه الاصطبلات كان هريان مبنيان كذلك بسقف مقوس، في كل هري طبقة علوية. يوضع العلف في الطبقة الأرضية، يخزن في إحدى الطبقتين أكثر من ثلاثين ألف (روجي) من الجنوب.

وقد أعدت طاقات في سقف هاتين البنايتين يرقى إليها بواسطة مدرج من الحجر تصعد فيه الدواب محملة إلى هذا السطح حيث يكال الحب ثم يصب من هذه الطاقات. وإذا أريد إخراج الحب اكتفى بفتح الثقب الموجودة في أسفل الهري. وهكذا يمكن أخذ الحب من هذين الهريين ووضعه فيهما دون عناء.

ويوجد أيضا بعيدا من هناك قصر جميل آخر كان يستعمل مدرسة لأبناء الملك وأبناء أسرته، ترى فيه قاعة مربعة في غاية الحسن، يحيط بها ممر مع نوافذ رائعة ذات زجاج ملون. وحول القاعة خزانات كثيرة مصنوعة من الخشب المزخرف بنقوش مذهبة، طليت مختلف أجزائها بطلاء الذهب وباللازوردي الرفيع.

وكان يوجد قصر آخر معد كذلك لحرس من رجال الأسلحة. كما كان الملك يعقد جلساته العامة في قصر آخر كبير جدا، بينما يقيم السفراء عندما كان الملك يستقبلهم في قصر آخر، وكذلك الكتاب. وخصص قصر آخر لنساء الملك ووصائفهن وإمائهن. وبالقرب من هذا القصر كان قصر آخر مقسم إلى عدة مساكن يقيم بها الذين شبوا عن الطوق من أبناء الملك.

وعلى مسافة قريبة من هناك كان يوجد على طول سور القصبة المشرف على البادية بستان في غاية الجمال والسعة ملئ بجميع أنواع الأشجار والأزهار، فيه حوض مربع من رخام، عمقه سبعة أشبار، في وسطه عمود يحمل أسدا منحوتا من رخام بفن عجيب يخرج من فيه ماء غزير نمير يتدفق في الحوض وفي كل زاوية من زواياه الأربع ركب فهد من المرمر البيض المجزع طبيعيا بنقط خضر مستديرة. ولا يوجد هذا المرمر في أي مكان آخر غير بعض الأماكن في الأطلس على بعد خمسين ومائة ميل من مراكش.

وكان بالقرب من البستان معرض وحوش يحتوي على عدد عديد من الحيوانات الوحشية كالزرافات والفيلة والأسود والأيول المختلفة إلا أن معرض الأسود مفصول عن معرض الحيوانات الأخرى. ويسمى حتى اليوم معرض الأسود.

ورغم قلة آثار الماضي الباقية بهذه المدينة فإنها تدل على الفخامة والعظمة السائدتين في عهد المنصور. ولم يبق مسكونا في أيامنا هذه سوى قصر الأسرة الملكية، وقصر حرس الرماة الذي يقيم فيه الحجاب والمكلفون ببغال الأمير الحالي، أما سائر القصور فيعشش فيها الحمام والبوم والغربان وما شابهها. والبستان الذي كان من قبل في غاية البهجة أصبح اليوم مزبلة للمدينة. والقصر الذي كانت فيه خزانة الكتب استعمل جناح منه للدجاج وآخر للحمام، وأصبحت الخزانات التي كانت توضع فيها الكتب أقفاصا لهذه الطيور.

نص أحمد بن خالد الناصري*

"لما دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة (1062-63) كان أمر يوسف بن تاشفين قد استفحل بالمغرب جدا، ورسخت قدمه في الملك، وعظم صيته، فسمت همته إلى بناء مدينة يأوي إليها بحشمه و جنده، وتكون حصنا له ولأرباب دولته، فاشترى موضع مدينة مراكش ممن كان يملكه من المصامدة، وقال صاحب المعرب: كان ملكا لعجوز منهم.

ثم نزل الموضع المذكور بخيم الشعر، وبنى مسجدا لصلاته وقصبة صغيرة لاختزان ماله وسلاحه، ولم يبن على ذلك سورا.

وقال أبو الخطب بن دحية في كتاب النبراس: أن موضع مدينة مراكش كان مزرعة لأهل نفيس، فشتراه يوسف منهم بماله الذي خرج به من الصحراء. وفي كتاب المعرب: أن يوسف بن تاشفين اختط مدينة مراكش بموضع كان يسمى بذلك الإسم و معناه بلغة المصامدة امش مسرعا، وكان ذلك الموضع مكمنا للصوص فكان المارون فيه يقولون لرفقائهم تلك الكلمة، فعرف الموضع بها، وضبط هذه الكلمة بضم الميم وفتح الراء المشددة، بعدها ألف وبعد الألف كاف

*- أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج 2، أشرف على النشر محمد حجي وإبراهيم بوطالب وأحمد التوفيق، الرباط، 2001، صص 191-192.

مكسورة، ثم شين معجمة. ويقال كان في موضعها قرية صغيرة في غابة من الشجر وبها قوم من البربر فاختطها يوسف، وبنى بها القصور والمساكن الأنيقة، وهي في مرج فسيح، وحولها جبال على فراسخ منها، وبالقرب منها جبل لا يزال عليه الثلج وهو الذي يعدل مزاجها وحرها.

وقال ابن خلدون: اتخذ يوسف بن تاشفين مدينة مراكش لنزوله ونزول عسكره، وللتمرس بقبائل المصامدة المقيمة بمواطنهم منها في جبل درن. إذ لم يكن في قبائل المغرب أشد منهم قوة و لا أكثر جمعا.

وفي القرطاس: لما شرع يوسف بن تاشفين في بناء مسجد مراكش كان يحتزم ويعمل في الطين و البناء بيده مع الخدمة تواضعا منه لله تعالى، قال: والذي بناه يوسف من ذلك هو الموضع المعروف الآن بسور الحجر من مدينة مراكش جوفا من جامع الكتبيين منها، ويعرف اليوم بالسجينة، ولم يكن بالموضع ماء فحفر الناس فظهر لهم الماء على قرب، فاستوطنوها وبنوا بها".

نص عبد الله التاسافتي*

"... وقد كنت أبحث عن علة تسمية مدينة حمراء مراكش بهذه اللفظة، ومن سماها به في كتاب الحلل [الموشية]، ومن بنى مناره الأعظم الموسومة فيه هناك بالكتبية، وما أصلها، وتاريخ بنائها، وعلى كم أسست من السنين، ولم أقف على شيء من هذا فيه؛ غير أنه قال: لما بنت لمتونة ديارها في الساحة التي بها مراكش، وهم نازلون في غمات ودير كيك وحوزه، من حين طلوعهم من بلاد الصحراء، كان من غير سور. وكان سوره من جنود الخيل المجندة، وذلك من كثرة عدد جيشهم، إلى أن أشار له فيه بعض علمائهم وبناه له.

قال لي شيخنا المعدل الحيسوبي محمد بن علي، الصنهاجي الأصل، المراكشي الدار، عام أربعة عشر [ومائة وألف (1702)]: لما رصد علماء الملك الباني السور لمراكش وقتا لبنائه اتفق رأي المعدلين أن يقع ابتداء بنيانه إذا حل القمر ببرج ثابت. ثم وضع شرائط على نواحي المدينة لتربيع السور، وأحدقت بجميع ما في المدينة من الدور. وأمر للمعلمين الواقفين على بناء ذلك

*- عبد الله بن إبراهيم التاسافتي، رحلة الوافد في أخبار هجرة الوالد في هذه الأجبال بإذن الواحد، القنيطرة - المغرب، 1992، صص 166-167.

أن لا يشرع أحد منهم في البناء حتى تروا هذا الشريط محركا من لدنّا، لجهة سماها لهم، فقد رصد للملك وقتا لذلك. ولما نزل القمر بالبرج الثابت، وهو العقرب، بأول ثانية منه، ينتظرون مع ذلك بعض كواكب نصبة سؤال ذلك، ولعملها نظر بعضها لبعض نظر عداوة، من تربيع أو تثمين اللتين عندهم في غاية النحس. ثم إن غرابا نزل على ذلك الشريط المعهود الذكر في ذلك الوقت قبل وصول الوقت المرصود، وحرك ذلك المعلم الشريط، وشرعوا كلهم في البناء من غير إذن الراصدين. ولم تكن لهم قدرة على نهيهم، لبعد ما بين مصارع دور سور المدينة، لما أراد الله من تنفيذ أمره ووعده. وقالوا لهم: لو كان أول ابتداء سور المدينة في الأوان المرصود له لم ينهدم أبدا. وهذا سبب بناء السور وما جرى فيه.

وأما المنار المذكور فقد ذكر لي الأنجب المحب الأرضى الحاج علي بن عبد الرحمن الغيغائي، عام خمس وثلاثين ومائة وألف (22-1723)، بسوس في بلد مسكوطة، بعد أن تكلمت معه على أخبار ما ذكرنا في المدينة، من أجل كثرة سكناه بمراكش، قائلا: أخبرني من يوثق بقوله أن اسم الرجل المعلم الباني لهذا المنار الأعظم بمراكش اسمه علي بن عطية، قد بنى نصفها (في نظم الجمان، 166: ثلثها)، وتركها عاما كاملا لئلا تحدث بها الشقوق، أو تزلزل السماء، أو نحو ذلك، بعد أن بلغ بأساسها الماء. وعلى الصحة أسس قواعد بنائها؛ ثم كملها على ما هي عليه الآن، سالمة من آفات شقوق البناء وتزلزله، التي لا يخلو منه غالبا ...".

نص محمد المشرفي*

"اختط يوسف بن تاشفين مدينة مراكش بموضع كان اسمه مراكش فسميت باسمه، ومعناه أمش مسرعا بلغة المصامدة. كان ذلك الموضع مأوى اللصوص، وكان المارون فيه يقولون لرفقائهم هذه الكلمة، فعرف الموضع بها، بنى فيه أولا قصبة صغيرة لإحراز خزائنه، ومسجدا للصلاة وذلك سنة خمس وستين وأربعمائة."

---

*- محمد بن محمد المشرفي، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعدّ بعض مفاخرها غير المتناهية، دراسة وتحقيق إدريس بوهليلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 2005، الجزء الأول، صص 229-230.

نص محمد بن المؤقت*

رقم: 1

أما وقت بنائها: فقد اتفقوا على أنه كان سنة أربع وخمسين وأربعمائة. وفي القرطاس،[1] للعلامة المؤرخ الثقة المرجوع إليه في السير والأخبار، أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الحليم، عرف بابن أبي زرع[2]، من ترجمته لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين[3] ما نصه: "ودخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة فيها تقوى أمر يوسف بالمغرب، وكبر صيته. وفيها اشترى موضع (تأسيس)"[4] مدينة مراكش ممن كان يملكه من المصامدة. فسكن الموضع بخيام الشعر، وبنى فيها مسجدا للصلاة، وقصبة صغيرة لخزن[5] أمواله وسلاحه، ولم يبن على ذلك سورا. وكان رحمه الله لما شرع في بناء المسجد يحتزم ويعمل في الطين والبناء بيده مع الخدمة، تواضعا منه (وتورعا، غفر الله له ونفعه بقصده)[6]. والذي بناه يوسف من ذلك هو الموضع المعروف الآن بسور الحجر من مدينة مراكش، جوفا من جامع الكتبيين منها (قلت: ويعرف اليوم بالسجينة)[7]. قال: ولم يكن بها ماء فحفر الناس بها آبارا؛ فخرج لهم الماء على قرب؛ فاستوطنها الناس؛ ولم تزل كذلك لا سور لها. فلما ولي بعده ولده علي[8] بني سورها في ثمانية أشهر، وذلك في سنة ست وعشرين وخمسمائة؛ ثم احتفل في بنائها ومصانعها يعقوب[9] المنصور الموحدي، [ابن يوسف بن

---

* - المراكشي، محمد بن محمد بن عبد الله، **السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية**، تقديم وتحقيق حسن جلاب، وأحمد متفكر، مراكش، 2002، الجزء الأول، صص 47 – 67.

[1] – ص: 138، ط. دار المنصور الرباط 1972.

[2] – أبو الحسن علي بن عبد الله المعروف بابن أبي زرع الفسي مؤرخ، كتب كتابه **الأنيس المطرب** للسلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني، وله **زهرة البستان في أخبار الزمان** توفي سنة : 741 هـ/ 1380 م. ترجمه صاحب بيوتات فاس الكبرى ص 63 – 64. **الأعلام** للزركلي 4/ 305.

[3] – المؤسس للدولة المرابطية وبطل الزلاقة ومؤسس مدينة مراكش توفي سنة 500 هـ/ 1106 م.

[4] – سقطت في الأصل.

[5] – في الأصل لاختزان.

[6] – سقطت من المؤلف.

[7] – إضافة من المؤلف.

[8] – ولد سنة 477 هـ/ 1084 م وتوفي سنة 537 هـ/ 1143 م.

[9] – ولد سنة 554 هـ/ 1160 م وتوفي سنة 595 هـ/ 1199 م.

عبد المومن بن علي الكومي][1]-[2]. وفي الاستقصا ما نصه : بناء مدينة مراكش: لما دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة كان أمر يوسف بن تاشفين قد استفحل بالمغرب جدا، ورسخت قدمه في الملك، وعظم صيته؛ فسمت همته إلى بناء مدينة يأوي إليها بحشمه وجنده، وتكون حصنا له ولأرباب دولته. فاشترى موضع مدينة مراكش ممن كان يملكه من المصامدة. قال صاحب المعرب: كان ملكا لعجوز منهم. ثم نزل الموضع المذكور بخيام الشعر، وبنى به مسجدا لصلاته، وقصبة صغيرة لاختزان ماله وسلاحه؛ ولم يبن على ذلك سورا. وقال أبو الخطاب ابن دحية[3] في كتاب النبراس: إن موضع مدينة مراكش كان مزرعة لأهل نفيس؛ فاشتراه يوسف منهم بماله الذي خرج به من الصحراء.[4] ثم قال بعد هذا: [ولما ولي بعده ابنه علي بن يوسف ومضى معظم دولته][5] أدار عليها السور سنة ست وعشرين وخمسمائة. يقال: كان ذلك بإشارة القاضي أبي الوليد محمد بن رشد[6] الفقيه المشهور: فإنه كان قد قدم على السلطان بمراكش، فأشار عليه بذلك عندما نبغ محمد بن تومرت،[7] مهدي الموحدين، بجبال المصامدة. وكانت مدة البناء ثمانية أشهر؛ وكان الإنفاق على السور سبعين ألف دينار. وبنى علي بن يوسف أيضا الجامع الأعظم المنسوب إليه إلى اليوم، والمنار الذي عليه، وأنفق عليه سبعين ألف[8] دينار أخرى. ورأيت في كتاب ابن عبد العظيم الأزموري الموضوع في مناقب بني أمغار، رضي الله عنهم، أن أمير

---

[1] - ما بين المعقوفين ساقط من الأصل.

[2] - **الأنيس المطرب بروض القرطاس** ص 138 – 139 .ط. دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط 1973.

[3] - عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي أبو الخطاب، أديب مؤرخ حافظ للحديث ولد سنة 544 هـ/ 1150 م وتوفي بلقاهرة سنة 633 هـ/ 1236 م من تصانيفه: **المطرب من أشعار أهل المغرب، ونهاية السول في خصائص الرسول، والنبراس في تاريخ خلفاء بني العباس**. انظر **وفيات الأعيان** 1/ 381، ونفح الطيب 368.

[4] - **الاستقصا** 2/ 24.

[5] - سقطت من الأصل.

[6] - محمد ابن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي أبو الوليد قاضي الجماعة بقرطبة جد ابن رشد الفيلسوف ولد بقرطبة 450 هـ 1058 م وتوفي بها سنة: 520 هـ/ 1126 م. من مؤلفاته: **المقدمات والممهدات، والبيان والتحصيل**، انظر **قضاة الأندلس** 98. **أزهار الرياض** 3/ 59.

[7] - محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي الملقب بالمهدي. ولد بهرغة سنة: 485 هـ/ 1092 م وتوفي بمراكش سنة 524 هـ/ 1130 م مؤسس الدولة الموحدية ومن أهم أعلام المغرب. له **أعز ما يطلب، وكنز العلوم**، ترجم له البيذق في كتابه **أخبار المهدي بن تومرت، وفيات الأعيان** 2/ 39، **والدولة الموحدية** حسن جلاب ط 3: 1995 مراكش.

[8] - **الاستقصا** ج 2/ 25.

المسلمين علي بن يوسف اللمتوني[1] لما عزم على إدارة السور على مراكش شاور الفقهاء وأهل الخير في ذلك؛ فمنهم من ثبطه ومنهم من ندبه إليه؛ (وكذلك)[2] من جملة من ندبه القاضي أبو الوليد بن رشد ثم شاور أبا عبد الله محمد بن إسحاق المعروف بأمغار صاحب عين الفطر، فأشار ببنائه، وبعث له من ماله الحلال، وأمره أن يجعله في صندوق صائر البناء، ويتولى الإنفاق في ذلك رجل فاضل؛ فقبل السلطان إشارته وعمل برأيه، فسهل الله أمر البناء.

ثم لما جاءت دولة الموحدين، وكان منهم يعقوب المنصور الشهير الذكر، اعتنى بمدينة مراكش، واحتفل في تشييدها، وبالغ في تنميق مساجدها وتنجيد مصانعها ومعاهدها، [على ما نذكر البعض منه في محله إن شاء الله][3]. ولم تزل مراكش دار مملكة المرابطين ثم الموحدين من بعدهم سائر أيامهم. ثم لما جاءت دولة بني مرين من بعدهم اتخذوا كرسي مملكتهم بمدينة فاس، وبنوا بها المدينة البيضاء. ثم جاءت الدولة السعدية من بعدهم فنقلوا الكرسي إلى مراكش، وبنوا بها قصر البديع المشهور.

ثم جاءت الدولة الشريفة العلوية، [فأخذ][4] مولانا إسماعيل بن الشريف[5] كرسي ملكه بمكناسة الزيتون، واحتفل في بنائها احتفالا عظيما، [على ما نذكره إن شاء الله][6]. ثم لما كانت دولة مولانا محمد بن عبد الله[7] رد كرسي الملك إلى مراكش، وبنى بها قصوره ومصانعه، واستمرت كرسيا لمملكتهم إلى الآن. انتهى منه ببعض تصرف[8].

---

[1] – علي بن يوسف بن تاشفين توفي سنة 537 هـ/ 1142 م.

[2] – في الأصل (وكان). وهو الصواب.

[3] – إضافة من الأصل.

[4] – فاتخذ في الأصل. وهو الصواب.

[5] – اسماعيل بن محمد الشريف بن علي العلوي، السلطان العلوي المشهور ولد سنة 1156 هـ/ 1645 م وتوفي سنة 1139 هـ 1727 م. **إتحاف أعلام الناس** 2/ 51. **الاستقصا** 8/ 45.

[6] – زيادة في الأصل.

[7] – محمد بن عبد الله بن اسماعيل، من ملوك الدولة العلوية، ولد سنة 1134 هـ/ 1721 م وتوفي سنة: 1204 هـ/ 1790 م اتخذ مدينة مراكش عصمة له، وكان من العلماء المؤلفين بنى مدينة الصويرة، وجدد أغلب مساجد وأضرحة مدينة مراكش، من مؤلفاته: **مسانيد الأئمة الأربعة، والفتوحات الإلهية في أحاديث خير البرية، ومواهب المنان، الاعلام للتعارجي** 6/ 109، **الدرر الفاخرة** 55.

[8] – **الاستقصا** 2/ 25– 26.

وفي الجزء الثالث من وفيات الأعيان لابن خلكان ما نصه: (مراكش مدينة عظيمة بناها الإمام يوسف بن تاشفين[1] بموضع كان اسمه مراكش، [بمعنى][2] امش مسرعا بلغة المصامدة، وكان ذلك الموضع مأوى اللصوص، وكان المارون فيه يقولون لرفقائهم هذه الكلمة، فعرف الموضع)[3] بها.

وفي المعجب في تلخيص أخبار المغرب للحافظ سيدي عبد الواحد المراكشي ما نصه: (مراكش هو كرسي المملكة؛ وهو آخر المدن بالمغرب.[4] وكان الذي اختطها ملك لمتونة تاشفين بن علي،[5] ثم زاد فيها بعده ابنه يوسف، ثم زاد فيها بعدهما علي بن يوسف، ثم ملكها المصامدة فزادوا فيها حتى جاءت في نهاية الكبر: فهي اليوم طولا وعرضا قدر أربعة فراسخ.[6] وأجرى المصامدة فيها مياها كثيرة لم تكن فيها قبل ذلك، وبنوا فيها قصورا لم يكن مثلها لملك ممن تقدمهم من الملوك، فصارت بذلك في نهاية الحسن وغاية الكمال[7].

ومثل هذا في الأنيس المطرب[8]، وقوله: وهو اليوم طولا وعرضا قدر أربعة فراسخ، أي في زمنه؛ وإلا فهي اليوم أقل من ذلك.

وفي الرياحين الوردية في الرحلة المراكشية للعلامة أبي عبد الله سيدي محمد بن محمد بن ناصر الدرعي ما نصه: (وبنى يوسف بن تاشفين مدينة مراكش سنة تسعين وأربعمائة. ولما ملكها عبد المومن[9] صارت مدينة الخلفاء من أهل بيته، وصارت تضاهي بغداد في العظم بكثرة الرؤساء والعلماء والأدباء).

---

[1] - الامام في الأصل.

[2] - معناه في الأصل.

[3] - **وفيات الأعيان 7/ 124** ط دار الثقافة بيروت بتحقيق إحسان عباس سنة: 1971.

[4] - تصرف المؤلف في هذه الفقرة فقد وردت في الأصل كالتالي: (وبين مدينة سلا هذه ومدينة مراكش - كرسي المملكة - تسع مراحل، فمراكش آخر المدن بالمغرب...).

[5] - لعله يقصد أبا بكر بن عمر اللمتوني ابن عم يوسف الذي يقال بأنه مختط المدينة.

[6] - سقطت جملة هي (هذا إذا ضمت إليها قصور بني عبد المومن)، محمد سعيد العربان، ومحمد العربي العلمي.

[7] - **المعجب** 507 طبعة دار الكتاب الدار البيضاء 1978 بتحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي.

[8] - ذكر صاحب **الأنيس المطرب** تأسيس مدينة مراكش في الصفحة 138 - 139 ط. دار المنصور الرباط 1973.

[9] - سنة 541 هـ/ 1146م وهو عبد المومن بن علي الكومي تلميذ محمد بن تومرت والمؤسس الحقيقي للدولة الموحدية الحلل الموشية، أخبار المهدي بن تومرت للبيذق انظر الرياحين الوردية ص 37 مخطوط، توفي في سنة 558 هـ/ 1163م.

تنبيه: ضبط صاحب القاموس مراكش بالشكل، وهو ضم الميم وتشديد الراء وكسر الكاف، والشكل عنده معتبر، وذلك من الجزء الرابع في باب الواو والميم إلى اللام، ولم يتكلم عليه البتة عدا هذا الموضع، وهذا من أغرب صنيعه، وقد تتبعته فلم أقف عليه عدا ما ذكر، فليعلم. ورأيت في الجزء الأول من كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للإمام القسطنطيني ما نصه: الأجوبة المحبرة عن الأسئلة المحيرة للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى السبتي المالكي، المتوفى بمراكش سنة أربع وأربعين وخمسمائة. ثم قال: (ومراكش بضم الميم وتشديد الراء (مفتوحة بعدها ألف وكسر الكاف): بلد بأقصى المغرب)[1].

وفي الاستقصا ما نصه: (إن يوسف بن تاشفين اختط مدينة مراكش بموضع كان يسمى بذلك الاسم، ومعناه بلغة المصامدة امش مسرعا، وكان ذلك الموضع مكمنا للصوص فكان المارون فيه يقولون لرفقائهم تلك الكلمة، فعرف الموضع بها. وضبط هذه الكلمة بضم الميم وفتح الراء المشددة بعدها ألف وبعد الألف كاف مكسورة ثم شين معجمة.

ويقال: كان في موضعها قرية صغيرة في غابة من الشجر، وبها قوم من البربر، فاختطها يوسف وبنى بها القصور والمساكن الأنيقة. وهي في مرج فسيح، وحولها جبال على فراسخ منها. وبالقرب منها جبل لا يزال عليه الثلج، وهو الذي يعدل مزاجها وحرها)[2].

وفي المجلد الثامن من معجم البلدان للحموي[3] البغدادي المتوفى سنة ست وعشرين وستمائة ما نصه: (مراكش بفتح (الميم)[4] ثم تشديد (الراء مفتوحة وبعدها ألف) وضم الكاف وشين معجمة: أعظم مدينة بالمغرب، وأجلها، وبها سرير ملك بني عبد المومن)[5]. وكما ضبطه بالقلم ضبطه بالشكل. قلت: وكثيرا ما يجري هذا الضبط على ألسنة عامة الناس، ولهم ما يشهد لذلك كما ترى [...].

---

[1] - وردت العبارة في كشف الظنون كالتالي (ومراكش بضم الميم وكسر الكاف وتشديد الراء بأقصى المغرب) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة. ط. مكتبة المثنى بغداد، ص 11.

[2] - **الاستقصا** 2/ 24 – 25.

[3] - ياقوت بن عبد الله الحموي مؤرخ جغرافي، عالم باللغة والأدب ولد عام: 574 هـ/ 1174 م. وتوفي عام: 626 هـ/ 1229م، **الاعلام** للزركلي 8/ 131، **وفيات الأعيان** 2/ 210.

[4]- ما بين قوسين من إضافات المؤلف.

[5]- **معجم البلدان** لياقوت الحموي ج 5/ 94. ط. دار صادر ودار بيروت 1957.

الـملحق[1]

يقول جامعه الفقير إلى الله محمد بن محمد بن المؤقت المراكشي، كان الله له:

عثرت بعد طبع جل تاريخنا (السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية)، على جواب لأخينا في الله ومحبنا من أجله، الفقيه العلامة المؤرخ المحقق، المفتي المدقق، أبي سالم سيدي العياشي بن إبراهيم الجرناوي[2] المراكشي، حفظه الله، أجاب به لما سئل عن تاريخ بناءات عديدة بهذه الحضرة المراكشية. ولما فاتنا جلها في المقدمة استدركناه هنا ليكون لها كالتتمة؛ ولفظه:

بناء مسجد الكتبيين وسببه:

ففي سنة سبع وثلاثين وخمسمائة تم لأمير المسلمين عبد المومن بن علي الكومي، وارث المهدي ابن تومرت، فتح جميع أمصار المغرب والأندلس سهلا ووعرا؛ ولم يبق له إلا فتح حاضرة مراكش، لكونه أخر فتحها لما ناله من المشقة العظيمة هو وموروثه في الحضرة المراكشية، لكونها دار ملك المرابطين، ومأوى استعدادهم وقوتهم. فدخلها الأمير عبد المومن تاريخَه؛ فاستقدم أهل الحل والعقد من الموحدين؛ فأبوا الدخول رعيا لوصية إمامهم قائلا لهم: "لا تدخلوها حتى تطهروها". فاستفتوا الفقهاء عن ذلك، فأجابوهم ببناء مسجد للجمعة. فبادر عبد المومن حينه في تأسيس الجامع المسمى بالكتبيين، بسور الحجر، قرب دار ملك المرابطين.

وفي سنة إحدى وتسعين وخمسمائة شيد حفيده السلطان المشهور، يعقوب المنصور، منار هذا الجامع العجيب، وجعل في طوله مائة ذراع وعشرة أذرع بالصنع الأنيق. وممن جدد هذا الجامع السلطان الهمام، مولانا عبد الرحمن، مرتين؛ وكذا حفيده السلطان المعظم، مولانا الحسن، في آخر عام سبعة وثلاثمائة وألف: جدد أثره، وصان مركزه؛ وحدث اعوجاج عظيم في جاموره فانتهز الفرصة فيه، وأمر بإحضار أرباب الحرف، صونا واهتماما لإبقاء ذلك الأثر، رحمه الله.

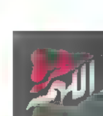
بناء مسجد المنصور الموحدي:

وفي سنة إحدى وتسعين وخمسمائة توجه السلطان يعقوب المنصور إلى الغزو، وأوصى نوابه على تأسيس الجامع المنسوب إليه، المدعو الآن بالمنصوري. ولما رجع وجد الموصى به طبق

---

[1]- ورد هذا المبحث في آخر الكتاب وقد عزم المؤلف إلحاقه بآخر المقدمة في الطبعة الثانية من السعادة الأبدية، فحققنا بذلك رغبته، انظر ج 2/ 183 من الأصل.

[2]- توفي عام 1357هـ/ 1938م، أنظر معلمة المغرب 9/ 2969.



إشدرته؛ وجعلوا له أبواب ثمانية، كما جعلوا له مقصورة عجيبة هندسية، تنصب له إذا استقر، وتنخفض إذا انفصل عنها. وحيث تطوّف بالمسجد المذكور رأىٰ جزءا من النواب، لإسرافهم فيما بذلوه في تأسيسه من تشييده، فقال ارتجالا، حيث رأىٰ ما رأىٰ: (لا بأس بالغالي إذا قيل حسن). وممن جدده السلطان سيدي محمد بن عبد الله والسلطان مولانا عبد الرحمن، رحمهما الله.

سبب تسوير مراكش وفتح أبوابها:

وفي سنة عشرين وخمسمائة قدم الشيخ ابن رشد الكبير القرطبي لمراكش عند أمير المومنين سيدي علي بن يوسف، فوجد الفتنة قائمة بينه وبين المهدي بن تومرت؛ فأشار علىٰ السلطان أن يجعل سورا للبلاد. فشرع من حينه فيه، وكمل في ثمانية أشهر، مع سعة البلاد وعظمها، وصير عليها سبعين ألف دينار ذهبا. وبوبها ففتح بابا مسامتا لدكالة، فسمىٰ الباب باب دكالة؛ وفتح بابا مسامتا لفاس فسمي باب فاس، وفي آخر مدة ملك السعديين سمي باب الخميس؛ كما أن باب تغزوت لما فتح كان الناس يخرجون منه إلىٰ الغزو فسمي بباب تغزوت؛ وفتح باب الدباغين ومن ذلك العصر لازال لم يغير اسمه لانسحاب الوصف الذي سمي به من أجله.

باب هيلانة: لازال الاسم هو الاسم منذ أسس الباب في تاريخه. وموجبه أن قبيلة هيلانة، من المصامدة، كانوا يخرجون منه ويدخلون، فسمي بذلك. قلت: ولا يعرف الآن إلا باب أيلان، بفتح الهمزة، وتقدمت الإشارة لذلك.

باب اغمات: لازال الاسم منذ أسس السور المذكور تاريخه، وسمىٰ بذلك لمسامتته بأغمات وريكة.

باب الرب: كان هذا الباب منذ أسس في التاريخ المذكور؛ سمي بباب الشريعة لإقامة الحدود فيه ولهذا يقال له الآن باب الرب.

باب احمر: أسسه السلطان سيدي محمد بن عبد الله حين أسس قصره.

باب القصيبة: أسسه يعقوب المنصور الموحدي حين أسس القصبة، إذ هو الباني لها في تاريخ واحد وتسعين وخمسمائة.

باب اكناو: أسسه يعقوب المنصور في عام إحدىٰ وتسعين وخمسمائة، حيث أسس القصبة، وجعل قصره فيها محل قبور الشرفاء السعديين الآن.

نص محمد بن المؤقت*

رقم: 2

"لما دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة، كان أمر يوسف بن تاشفين قد استفحل بالمغرب جدا، ورسخت قدمه في الملك، وعظم صيته، فسمت همته إلى بناء مدينة يأوي إليها بحشمه وجنده، وتكون حصنا له ولأرباب دولته، فاشترى موضع مدينة مراكش ممن كان يملكه من المصامدة بالمال الذي خرج به من الصحراء، وكان لعجوز منهم، وقيل كان مزرعة لأهل نفيس ويعرف الموضع بمراكش، ومعناه بلغة المصامدة امش مسرعا. أنظر بسط الكلام عليه في تاريخنا لمراكش، ولما ملك الموضع المذكور اتخذه لنزوله، ونزول عسكره، وللتمرس بقبائل المصامدة المقيمة بمواطنهم منها في جبل درن إذ لم يكن في قبائل المغرب أشد منهم قوة، ولا أكثر جمعا، وبنى به القصور والمساكن الأنيقة، ولم يبن على ذلك سورا، ولما شرع في بناء مسجد مراكش كان يحتزم، ويعمل في الطين والبناء بيده مع الخدمة تواضعا منه لله تعالى، والذي بناه يوسف بمراكش هو الموضع المعروف الآن بسور الحجر من مدينة مراكش جوفا من جامع الكتبيين منها، ويعرف اليوم بالسجينة."

نص العباس بن ابراهيم السملالي*

"في ذكر مراكش وتاريخ بنائها وبيان مؤسسها وجوامعها وأجنتها وبركها وما كان لها من ضخامة الشأن، وما شيد فيها من القصور العظيمة الهياكل الفخيمة البنيان وغير ذلك مما يحصل بذكره ارتياح للأرواح والأبدان.

---

*- المراكشي، محمد بن محمد بن عبد الله المسفيوي، إرشاد الشيخ والشارح للمخص بعض التواريخ، ضمن مجموعة اليواقيت العصرية المحتوية على ستة كتب في أهم التواريخ والحوادث والأحوال الوقتية وغيرها من عجائب الوقائع، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1349هـ صص 234-235.

*- العباس بن ابراهيم السملالي، "الإعلام بمن حل مراكش من الأعلام"، ج 1، راجعه عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1993. صص 228 – 238.

فأقول مستمدا من الله تبارك وتعلى العون والتسديد في حصول المأمول: إن مراكش قد ذكرها غير واحد ممن صنف في البلدان وحلوها بالأوصاف الجميلة، والمنافع المستحسنة، الكافلة لساكنها بنيل المنى مما يتم به العمران، منهم صاحب (الاستبصار في عجائب الأمصار)[1] الذي نقل منه ابن أبي زرع في قرطاسه قال: مدينة مراكش كلأها الله هي اليوم حاضرة بلاد المغرب ودار مملكتها، وهي مدينة عظيمة في بسيط من الأرض، أسسها يوسف بن تاشفين سنة تسع وخمسين وأربعمائة، وأول ما بني فيها دار لحرمه هي الآن معلومة بها، ثم اختط سورها ولده علي سنة أربع عشرة وخمسمائة، وفتحها الخليفة أمير المؤمنين رضي الله عنه يوم السبت بعد صلاة الظهر الثامن عشر من شوال سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، وعلى ثلاثة أميال منها وادي تانسيفت منبعه من بلد هيلانة ويصب فيه وادي وريكة ووادي نفيس وأودية كثيرة ومصبه في ساحل رباط جوز ويدخله الشابل الكثير الطيب، وهي مدينة صليبة التربة كأنها غطا من حجر على حجر عذب ماؤها قريب على قامة أو قامتين، وبساتينها كلها تسقى من آبار ينفذ بعضها لبعض حتى تخرج على وجه الأرض، وبينها وبين درن نحو العشرين ميلا، وهي كثيرة الزرع والضرع، محرثها دكالة، وجنتها نفيس، وحولها من البساتين والجنات التي يسمونها البحائر لعظمها ما لا يحصى كثرة، وإنما بناها واضعها ليملك منها جبل درن لكثرة مَن يعمره، وكان خروج هذه الشرذمة الصحراوية لقتال برغواطة الكفار المرتدين عن ديانة الإسلام وكان إسلام قبائل الصحراء سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، وخروجهم سنة خمسين أو نحوها، فقتل زعيمهم الذي أخرجهم ببلد برغواطة بموضع يسمى كريفلة[2]، وبنى على قبره مسجد، وولي بعده أبو بكر بن عمر اللمتوني المحمدي، وبقي إلى سنة سبع وخمسين فرءا أن ينخلع ويولي يوسف بن تاشفين ويطلق زوجته زينب بنت إبراهيم النفزاوي، ولم يكن في زمانها أجمل منها ولا أعقل ولا أظرف، فتزوجها بعده يوسف وبنى لها مراكش، وسار أبو بكر بن عمر إلى الصحراء، فقاتل السودان فرشقه سهم فمات، ومدينة مراكش اليوم من أعظم مدن الدنيا بهجة وجمالا بما زاد فيها الخليفة الإمام عبد المومن وخليفته يوسف وخليفتُها يعقوب رضي الله عنهم، فإن الخليفة الإمام بنى فيها جامعا عظيما ثم زاد فيه مثله أو أكثر في قبلته كان قصرا ورفع بينهما المنار العظيم الذي لم يتشيد في الإسلام مثله أكمله ابنه وخليفته يوسف رضي الله عنه، وجلب الخليفة الإمام المياه من

---

[1]– طبع بالإسكندرية، سنة 1948.

[2]– ضريح عبد الله بن ياسين معروف بكريفلة من أرض قبيلة زعير حوز الرباط.

أودية درن وغرس بحيرة عظيمة بغربي المدينة قبل نفيس دورها ستة أميال، وبني فيها وخارجها صهريجين عظيمين كنا في تلك المدة نعوم فيهما، فلا يكاد القوي منا يقطع الصهريج إلا عن مشقة، وكنا نتفاخر بذلك، وأحدث الخليفة بعده ابنه يوسف رضي الله عنه بحائر مثلها في الغرس بل أجمل، وجلب لها المياه وأصدرها في صهريج أعظم من المتقدمين، وزاد في قبلة المدينة حصنا أنفذه الآن ابنه الإمام الخليفة يعقوب رضي الله عنه وزاد عليه مدينة أخرى تقارب الأولى في قبليها، وكانت بحائر عظيمة فبناها قصورا وجامعا وأسواقا وفنادق وجلب التجار إلى قيسارية عظيمة لم يبن في مدن الإسلام أعظم منها، وأمر بعمارتها أول سنة خمس وثمانين وخمسمائة، ومدينة مراكش أكثر بلاد المغرب جنات وبساتين وأعناباً وفواكه وجميع الثمرات، وكانت قبل ذلك يطير الطائر حولها فيسقط من العطش والرمضاء، وأكثر شجرها الزيتون، وفي مراكش اليوم من الزيتون والزيت ما تستغني به عن غيرها من البلاد وتمير بلادا كثيرة[...]

ومنهم ياقوت في معجم البلدان في الجزء الثامن من آخر أجزائه قال: مراكش بالفتح ثم التشديد وضم الكاف وشين معجمة أعظم مدينة بالمغرب وأجلها، وبها سرير ملك بنى عبد المؤمن، وهي في البر الأعظم منها بينها وبين البحر عشرة أيام في وسط بلاد البربر، وكان أول من اختطها يوسف بن تاشفين من الملثمين الملقب بأمير المؤمنين في حدود سنة 470، وبينها وبين جبل درن الذي ظهر منه ابن تومرت المسمى بالمهدي ثلاثة فراسخ، وهو في جنوبيها، وكان موضع مراكش قبل ذلك مخافة يقطع فيها اللصوص على القوافل، كانت إذا انتهت القوافل إليه قالوا معناه بالبربرية أسرع المشي، وبقيت مدة يشرب أهلها من الآبار حتى جلب إليها ماء يسير من ناحية أغمات يسقي بساتين لها، وكان أول من اتخذ بها البساتين عبد المومن بن علي، يقولون أن بستانا منها طوله ثلاثة فراسخ.

قلت أما ضبطه مراكش بما ذكر فهو الذي مازال ينطق به أهلها الآن غير أن البعض صار يفتح الكاف، وضبطها بعضهم بضم الميم وكسر الكاف كما سيأتي، وقوله بينها وبين البحر عشرة أيام ليس كما قال، بل بينها وبين البحر نحو ثلاثة أيام، وسيأتي في أغمات نقلا عنه أن من وراء أغمات إلى جهة البحر المحيط السوس الأقصى بأربع مراحل، وقوله في حدود سنة 470 تقدم أن تأسيسها كان سنة 459 وسيأتي عن غيره أن تأسيسها سنة 452 وما في المعجم يوافقه ما يأتي عن نزهة المشتاق، وعن سيدي الصغير الإفراني سنة 480 اللهم إلا أن يريد ما سيأتي عن الأزموري أن يوسف بن تاشفين شرع في بناء ما بنى منها سنة 475 غير أن قوله الاختطاط

صريح في التأسيس، وفي الحلل أن بناء حصن قصر الحجر كان سنة 463 برحبة مراكش وحصنه تحت سور وأبواب كما ذكر قبل أن الانتقال إلى فحص مراكش كان من الأمير أبي بكر بن عمر لما عظم الخلق وكثر الازدحام بأغمات، وقوله ماء يسير من ناحية أغمات ينبغي أن يقرأ فعلا مضارعا لا اسما أي يأتي من ناحية أغمات، وهي الساقية العظيمة المعروفة بتسلطانت كما سيأتي، وقوله أن بستانا منها الخ هو بستان المسرة الذي أنشأه عبد المؤمن بن علي وجدده المنصور الذهبي كما سيأتي، وقوله عن البستان أن طوله ثلاثة فراسخ تقدم أن دوره كله ستة أميال، وقد أطلق السيد محمد أمين الخانجي بمنجم العمران في المستدرك على معجم البلدان لفظ مراكش على المملكة كلها، وتكلم عليها في نحو ورقتين، ثم ذكر مدينة مراكش آخرا فراجعه، قلت وما ذكره سبقه إليه الشيخ الجليل محمد بيرم الخامس التونسي فقد تكلم على سلطنة مراكش في الفصل الموفى أربعين من صفوة الاعتبار. بمستودع الأقطار والأمصار، في حدود سنة 1297.

ومنهم الشريف الإدريسي قال في نزهة المشتاق في ص: 67 من الجزء المطبوع منها في إفريقيا والأندلس ما نصه: وعلى 12 ميلا منها أي من أغمات مدينة بناها يوسف بن تاشفين في صدر سنة 470 بعد أن اشترى أرضها من أهل أغمات بجملة أموال واختطها له ولبني عمه، هي في وطاء من الأرض ليس حولها شيء من الجبل إلا جبل صغير يسمى ايجليز ومنه قطع الحجر الذي بنى منه قصر أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين وهو المعروف بدار الحجر وليس في موضع مدينة مراكش حجر البتة إلا ما كان من هذا الجبل، وإنما بناؤها بالطين والطوب والطوابي المقامة بالتراب، وماؤها الذي تسقى به البساتين مستخرج بصنعة هندسية حسنة، استخرج ذلك عبيد الله ابن يونس المهندس، وسبب ذلك أن ماءهم ليس ببعيد الغور موجود إذا احتفر قريبا من وجه الأرض، وذلك أن هذا الرجل المذكور وهو عبيد الله ابن يونس جاء إلى مراكش في صدر بنائها وليس بها إلا بستان واحد لأبي الفضل مولى أمير المسلمين المقدم ذكره، فقصد إلى أعلى الأرض مما يلي البستان فاحتفر فيه بيرا مربعة كبيرة التربيع، ثم احتفر منها ساقية متصلة الحفر على وجه الأرض، ومر يحفر بتدريج من أرفع إلى أخفض متدرجا إلى أسفله بميزان حتى وصل الماء إلى البستان وهو منسكب مع وجه الأرض يصب فيه، فهو جار مع الأيام لا يفتر، وإذا نظر الناظر إلى مسطح الأرض لم ير بها كبير ارتفاع يوجب خروج الماء من قعرها إلى وجهها، وإنما يميز ذلك عالم بالسبب الذي به استخرج ذلك الماء، والسبب هو الوزن للأرض، فاستحسن ذلك أمير المسلمين من فعل عبيد الله ابن يونس المهندس وأعطاه مالا وأثوابا وأكرم

مثواه مدة بقائه عنده، ثم إن الناس نظروا إلى ذلك ولم يزالوا يحفرون الأرض ويستخرجون مياهها إلى البساتين حتى كثرت البساتين والجنات، واتصلت بذلك عمارات مراكش وحسن قطرها ومنظرها، ومدينة مراكش في هذا الوقت من أكبر مدن المغرب الأقصى، لأنها كانت دار إمارة لمتونة ومدار ملكهم وسلك جميعهم، وكان بها أعداد قصور لكثير من الأمراء والقواد وخدام الدولة، وأزقتها واسعة ورحابها فسيحة ومبانيها سامية وأسواقها مختلفة وسلعها نافقة، وكان بها جامع بناه أميرها يوسف بن تاشفين فلما كان في هذا الوقت وتغلب عليها المصامدة وصار الملك لهم تركوا ذلك الجامع عطلا مغلق الأبواب ولا يرون الصلاة فيه وبنوا لأنفسهم مسجدا جامعا يصلون فيه بعد أن نهبوا الأموال وسفكوا الدماء وباعوا الحرم، كل ذلك بمذهب لهم يرون ذلك فيه حلالا، وشرب أهل مراكش من الآبار، ومياهها كلها عذبة، وآبارهم قريبة معينة، وكان علي بن يوسف قد جلب إلى مراكش ماء من عين بينها وبين المدينة أميال، ولم يستتم ذلك، فلما تغلب المصامدة على الملك وصار لهم وبأيديهم تمموا جلب الماء إلى داخل المدينة وصنعوا به سقايات بقرب دار الحجر وهي الحظيرة التي فيها القصر منفردا متحيزا بذاته، والمدينة بخارج هذا القصر، وطول المدينة أكثر من ميل وعرضها قرب ذلك، وعلى 3 أميال من مراكش نهر لها يسمى تانسيفت وليس بالكبير لكنه دائم الجري، وإذا كان زمن الشتاء حمل بسيل كبير لا يبقي ولا يذر، وكان أمير المسلمين علي بن يوسف بنى على هذا النهر قنطرة عجيبة البناء متقنة الصنع بعد أن جلب إلى عملها صناع الأندلس وجملا من أهل المعرفة بالبناء، فشيدوها وأتقنوا بنيانها حتى كملت ثم لم تلبث غير أعوام يسيرة حتى أتى عليها السيل فاحتمل أكثرها وأفلت عقدها وهدمها ورمى بها في البحر الزخار، وهذا الوادي يأتي إليه الماء من عيون ومياه منبعثة من جبل درن من ناحية مدينة أغمات أيلان[...]

وعن ابن سعيد مراكش محدثة بناها يوسف بن تاشفين في أرض صحراوية وجلب إليها المياه وأكثر الناس فيها البساتين، فكثر وخمها، ولا يكاد الغريب يسلم فيها من الحمى، وجنوبي مملكة مراكش جبل درن وشماليها مملكة سلا وغربيها البحر المحيط وشرقيها الجهات التي بين سجلماسة وفاس ومراكش سبعة أميال، ولها سبعة عشر بابًا وحرها شديد وهي في شمال أغمات بميلة يسيرة إلى الغرب، وبينهما نحو خمسة عشر ميلا[...]

وقال مؤرخ الدولتين الموحدية والحفصية محمد ابن إبراهيم المنتهى في تاريخه إلى حوادث 882 وهو ممن أخذ عن تلامذة أبي مهدي عيسى الغبريني ما نصه: وتوفي في خلال ذلك علي بن

يوسف صاحب مراكش في ثالث رجب سنة سبع وثلاثين، وهو الذي أحدث مراكش في سنة 520 وأدار سورها وبنى سقايتها وجامعها وقصر إمارتها وجعل دروها سبعة أميال، وكانت قبل ذلك قفراء يسكنها البربر، فاشتراها أبوه يوسف بن تاشفين منهم بسبعين درهما، وبنى فيها مسجدا بالطوب وأمر البربر بسكناها فعملوا فيها خوصا وسكنوها إلى زمن بنائها، قلت ولا يخفاك ما في بعض كلامه من التدافع، فإن الجم الغفير من المؤرخين ذكروا أن مؤسسها ومحدثها هو يوسف ابن تاشفين سنة اثنين وخمسين وأربعمائة.

وذكر في الحلل الموشية عن جماعة من علماء التاريخ كما سيأتي أن الذي أسسها في التاريخ المذكور هو عمه أبو بكر بن عمر، وقوله أن علي بن يوسف بنى قصر إمارتها الذي عند غيره كما يأتي أن الذي بناه هو والده أيضا عام 454 وقوله أنه أدار سورها سنة 520 سيأتي عن غيره أن ذلك وقع سنة 526 أو سنة 522 بعد شروع والده سنة 475 ثم أن والده إنما بنى منها سور الحجر[...]

وباني مراكش هو أول من تسمى بأمير المسلمين، قال في الجذوة في ترجمته ما نصه واشترى موضع مدينة مراكش ممن كان يملكه من المصامدة فسكن الموضع بخيام الشعر وبنى به مسجدا للصلاة وقصبة صغيرة لخزن أمواله وسلاحه ولم يبن على ذلك سورا وكان لما بنى المسجد يعمل فيه بيده ويحمل الطين والحجر للفعلة تواضعاً منه غفر الله تعالى له بمنه والذي بناه يوسف منها هو الموضع المعروف بسور الحجر جوفا من جامع الكتبيين، ولم تزل كذلك لا سور لها إلى أن وَلِيَ أمرها ولده فبنى سورها في ثمانية أشهر وذلك في سنة ست وعشرين وخمسمائة وتوفي يوسف المذكور رحمه الله سنة خمسمائة هـ[...]

وأصله لابن خلدون في 185 من ج 6 من تاريخه، وقبلهما ابن أبي زرع في القرطاس، وكان الإنفاق على بناء سور مراكش سبعين ألف دينار، وبنى علي بن يوسف أيضاً الجامع الأعظم المنسوب إليه إلى اليوم والمنار الذي عليه وأنفق عليه ستين ألف دينار أخرى وهذا المسجد لم يزل على حاله إلى أن جدده أمير المؤمنين مولانا سليمان رضي الله عنه وبناه بناء ضخما وأزال منارته التي كانت به قديماً وشيد المنار القديم مع السور الذي كان دائرا بالمسجد ومن رآه عرف ما نقص من المسجد.

وموضع مراكش قيل إنه كان ملكاً لعجوز من المصامدة، وقيل مزرعة لأهل نفيس، فاشتراه يوسف منهم بماله الذي خرج به من الصحراء وهذا الموضع كان يسمى بذلك الاسم ومعناه بلغة المصامدة امش مسرعا، وكان ذلك الموضع مكمنا للصوص، فكان المارون فيه

يقولون لرفقائهم تلك الكلمة فعرف الموضع بها، وضبط هذه الكلمة صاحب كشف الظنون عند ذكر الأجوبة المحبرة عن الأسئلة المحيرة للقاضي عياض بضم الميم وفتح الراء المشددة بعدها ألف وبعد الألف كاف مكسورة ثم شين معجمة وتقدم عن تقويم البلدان ضبط آخر ويقال كان في موضعها قرية صغيرة في غابة من الشجر وبها قوم من البربر فاختطها يوسف وبنى بها القصور والمساكن الأنيقة وهي في مرج فسيح وحولها جبال على فراسخ منها وبالقرب منها جبل لا يزال عليه الثلج وهو يعدل مزاجها وحرها واتخذها يوسف رحمه الله لنزول عسكره وللتمرس بقبائل المصامدة المقيمة بمواطنهم منها في جبل درن إذ لم يكن في قبائل المغرب أشد منهم قوة ولا أكثر جمعا.

ولما جاءت دولة الموحدين وكان منهم يعقوب المنصور الشهير الذكر اعتنى بمدينة مراكش واحتفل في تشييدها وبالغ في تنميق مساجدها وتنجيد مصانعها ومعاهدها وكان رحمه الله لما عزم على المسير إلى الأندلس بقصد الجهاد أوصى إلى نوابه ووكلائه ببناء قصبة مراكش والاعتناء بتشييد قصورها فمن آثاره الباقية بها إلى الآن الباب المعروف بباب أكناو لا مزيد على ضخامته وارتفاعه وأمرهم ببناء الجامع الأعظم بها المنسوب إليه إلى اليوم وتشييد مناره ومنار جامع الكتبيين المضروب به المثل في الارتفاع وعظم الهيكل[...]

وذكر الشيخ العالم الباحث المحقق عبد الملك بن موسى الوراق في كتابه الذي صنف في أخبار المغرب أن الإنفاق بلغ في سور مراكش نحو السبعين ألف دينار ذهبا، وفي جامعه الأعظم نحو الستين ألف دينار، وكانت قبل هذه مبنية بالطوب رحمه الله تعالى[...]

وقال الزياني ما نصه وهو يعني يوسف الذي أسس مدينة مراكش: لما سافر أبو بكر بن عمر للصحراء عام اثنتين وخمسين وأربعمائة شيد قصره ومسجده عام أربعة وخمسين وأربعمائة [...]

ورأيت في الحلل أن الذي أسسها هو ابن عمه المذكور عام 452 دون تسوير ونقله عن جماعة من علماء التاريخ [...]

وقال في (الحلل) عن مرتادي موضع مدينة مراكش: نفيس جنانها، وبلاد دكالة فدانها، وزمام جبل درن بيد أميرها هـ[...]

وذكر في (يتيمة العقود الوسطى) أن سيدي محمد المعطى بن عبد الخالق كان في حجر والده في صغره بحضرة مدينة مراكش التي ورد في بعض الآثار أن الولاية تنبع من حيطانها كما ينبع البقل من أرضها، وقال سيدي المكي الناصري في (الرحلة) ما نصه: قال (1) صاحب (مناهج الفكر

ومباهج العبر): مراكش مدينة بناها يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي سنة تسعين وأربعمائة، لها نهر يأتيها من جبل درن، ويصب في البحر، ولما ملكها عبد المومن صارت مدينة الخلفاء من أهل بيته، وصارت تضاهي بغداد في العظم بكثرة الرؤساء والعلماء والأدباء هـ، وكتب الشيخ سيدي محمد الصغير الإفراني على قوله سنة تسعين الخ فيه نظر، بل تاريخها مكة سنة 480 هـ.

وفي (المجد الطارف والتالد) بعد ذكر سيدي يوسف بن تاشفين ما نصه: أقول وكفاه منقبة هذه المدينة السعيدة التي بناها وكانت غيضة للوحوش واللصوص فصارت عمارة لأولياء الله تعالى الأخيار وتختا لأبهة ملوك المغرب من سنة خمس وخمسين وأربعمائة إلى سنة تقييد هذا سنة 1294 والله أعلم بما تكون عمارتها بعد هذا هـ".

نص محمد بن عثمان المراكشي*

لما تم الأمر ليوسف بن تاشفين بتنازل أبي بكر له عن عرش المملكة المغربية سمت به همته الطماحة إلى تنفيذ فكرة أبي بكر بتأسيس مدينة ضخمة تكون على جانب عظيم من الأهمية والاعتبار يجعلها مقر كرسيه العظيم فكانت تلك الهمة العالية هي المؤثر الفعال في تكوين مراكش الحمراء على هذا الشكل الفخيم الذي يعتبر على جانب مهم من الوجهة الحربية.

وقد نفذ ذلك بتخطيط هذه المدينة الشامخة سنة أربع وخمسين وأربعمائة حسبما ذكره بعض المؤرخين وقد قال في تأسيسها صاحب العبر ما نصه: (اتخذ يوسف بن تاشفين مدينة مراكش لنزوله ونزول عسكره، وللتمرس بقبائل المصامدة المقيمة بمواطنهم منها في جبل درن، إذ لم يكن في قبائل المغرب أشد منهم قوة ولا أكثر جمعا)[1].

وقد اتجه اهتمام يوسف بن تاشفين إلى وضع هذه المدينة على هيئة تكفل له راحة جيشه لذلك وقع اختياره على موضع الحمراء لما له من الأهمية السياسية حيث يعتبر مفتاح المصامدة والأطلس الجبار.

* – محمد بن عثمان المراكشي، الجامعة اليوسفية بمراكش في تسعمائة سنة، تقديم ونشر وتصحيح، د. حسن جلاب، مراكش 2001 م، صص 62 – 65.

[1] – العبر، ج 6/ 184.

وقد أسست هذه المدينة العظيمة بعد أن ظهرت طلائع الدولة المرابطية بنحو أربعين سنة، كانت تمهيدا لظهور بطل الجنوب يوسف بن تاشفين الذي خلد تأسيسها في صحيفته الخالدة حسبما نبأتنا أخباره.

على أن ابن السماك يرى في تأسيسها خلاف ما حكاه المؤرخون حيث قال في حلله: (سبب تخطيط مراكش ما نقله جماعة من علماء التاريخ أن الأمير أبا بكر بن عمر بن إبراهيم بن تورقت اللمتوني لما خرج من الصحراء بالملثمين احتلوا أغمات وريكة وكثر الخلق بها وضيقوا على أهلها وكانوا على حالة صعبة، شكا أشياخ أوريكة وهيلانة إلى الأمير أبي بكر بن عمر ما يلحقهم في ذلك من العناء والمشقة، وأنهوه إليه المرة بعد المرة إلى أن قال لهم: عينوا لنا موضعا نبني فيه مدينة إن شاء الله.

فاجتمعوا على أن يكون بناؤها بين بلاد هيلانة وبلاد هزميرة، فعرفوا بذلك الأمير أبا بكر بن عمر، وقالوا قد نظرنا إليك أيها الأمير موضعا صحراء رحب الساحة واسع الفناء يليق بمقصودك. إلى أن قال: وصاروا معه إلى محضر مراكش وهو خلاء لا أنيس به إلا الغزلان، ولا ينبت إلا السدر والحنظل وكان ذلك سنة اثنين وأربعمائة[*]

فانتقلوا إلى تلك الرحبة فوجدوا في فحصها من المسرح الخصيب للجمال والدواب ما غبطهم بها، وشرع الناس في بناء الدور من غير تسوير عليها. فبينما الأمير أبو بكر بن عمر قد نزل بها وأخذ في بناء الديار إذ وفد عليه رسول قبيلة لمتونة بالصحراء يعلمه أن اكدالة أغارت عليهم وكانت بينهم فتنة دائمة فاستخلف ابن عمه يوسف بن تاشفين ودخل للصحراء لإخراجهم ولأخذ ثأرهم من عدوهم)[1].

وها أنت ترى صاحب الحلل جزم بأن واضع مراكش هو الأمير أبو بكر ناسبا ذلك لجماعة من علماء التاريخ. لذلك صح عنده ما ذكر من خروج ابن تاشفين من مراكش حيث أتى أبو بكر من الصحراء للتنازل له عن عرش المغرب حيث قال: (ولما تشوف الأمير أبو بكر بن عمر على أحوال ابن عمه يوسف بن تاشفين وعلم حبه في الملك وأنه قد استمال نفوس من معه بإحسانه،

---

[*]- مع التنبيه إلى أن تلك السنة لا تزال دولة المرابطين في عالم التكوين حيث أن الأمير أبا زكرياء الكدالي ما قدم على وجاج إلا سنة ثلاثين وأربعمائة في رجب لما اتصل عنده بابن ياسين ثم دخلا للصحراء آخر تلك السنة ولعل صاحب **الحلل** يريد سنة اثنين وأربعين وأربعمائة.

[1] - **الحلل الموشية**، ص 16.

وانقطع رجاؤه من الملك، طلب منه تعيين يوم لاجتماعهما، فخرج يوسف بن تاشفين في جنوده وعبيده وتلقاه في نصف الطريق فكان اجتماعهما بين أغمات ومراكش على تسعة أميال منها) إلى أن قال: (وأشهد على نفسه بالتخلي له عن الأمور بوطن المغرب وقام فودعه الأمير يوسف بن تاشفين وعاد الأمير أبو بكر إلى موضع نزوله من اغمات ورجع يوسف إلى مراكش موضع ملكه)[1].

ولاشك أن هذه نتيجة معقولة لما صح عنده من تخطيط مراكش أيام أبي بكر بن عمر، وقد يستأنس لذلك بما ذكره صاحب النجوم الزاهرة حيث قال في حوادث سنة ثمانين وأربعمائة: (وفيها توفي أمير الملثمين بمراكش وغيرها من بلاد المغرب الأمير أبو بكر بن عمر. أصله من ولد تاشفين، كان أميرا جليلا مجاهدا في سبيل الله تعالى. ركب في بعض غزواته في خمسمائة ألف مقاتل من رجال الديوان والمطوعة. وكان يخطب في بلاده للدولة العباسية، وكان يصلي بالناس الصلوات الخمس، ويقيم الحدود، ويلبس الصوف، وينصف المظلوم، ويعدل في الرعية. وكان بين رعيته كواحد رحمه الله تعالى) إلى آخر ما انتهى إليه كلامه في الجزء الخامس صحيفة 126[2].

... على أن هناك قولا غريبا في تخطيطها اقتصر عليه صاحب تاريخ الدولتين عندما تكلم على دجال الموحدين المهدي بن تومرت يستعرض حياته الغامضة التي قال في ضمنها: (وتوفي خلال ذلك علي بن يوسف صاحب مراكش في ثالث رجب سنة سبع وثلاثين[3]. وهو الذي أحدث مراكش في ثالث رجب سنة عشرين وخمسمائة 520 هـ وأدار سورها وبنى سقاياتها وجامعها وقصر إمارتها وجعل دورها سبعة أميال وكانت قبل ذلك شعرا يسكنها البربر)[4]. غير أنه أشار إلى شرائها وبناء مسجد يوسف فيها قبل ذلك مما سنبسط القول فيه عند فرصة أخرى بحول الله.

ذلك، وقد ذكرنا هذه النبذة اليسيرة في تكوين الدولة المرابطية إلى عهد تأسيس مراكش، لبيان أنها ما وضعت أساسها الإنشائي على أنقاض دولة الأدارسة، لما علم أن الدولة الإدريسية لم يمتد سلطانها إلى مقر انبعاث الدولة اللمتونية في الصحراء، سيما ودولة الأدارسة لم يستقر لها قرار بعد وفاة المولى إدريس إلا مدة بسيطة. حيث ظهرت فيها فتن ومنازعات تصدعت بسببها أركان الدولة الإدريسية.

---

[1] - الحلل الموشية، 26 – 27.

[2] - ط. دار الكتاب. دت.

[3] - وخمسمائة للهجرة موافق 1142 م.

[4]- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم اللؤلؤي المعروف بالزركشي. طبع بمطبعة الدولة التونسية سنة 1989، ص 5.

نص الصديق بلعربي*

"... إن أول ما يصادفنا عند البحث في نشوء هذه المدينة اسمها (مراكش) فلقد تضاربت أقوال المؤرخين في أصل هذه الكلمة التي أطلقها المؤسسون عليها فقيل أنه اسم شلحي، وروى آخرون أنه مركب من كلمتين من مر العربية وكش البربرية وقيل غير ذلك من الأقوال التي لم يقم لتدعيمها أي دليل قاطع

... وكما اختلفوا في اسمها اختلفوا أيضا في رسم هذا الاسم والنطق به ففي عصرها الأول كانت تدعى مروكش وتكتب بالواو كما ورد في مخطوطة مذكرات الأمير عبد الله الصنهاجي، ثم كتبت تامراكشت بإدخال علامة التأنيث الشلحية كما نقل ذلك ابن سعيد في تأليفه. وعلى الشكل الأول وهو مراكش انتقل هذا الاسم إلى اللغات الأوربية في القرن السادس...".

نص أحمد بن الشرقي حصري*

مراكش في لغة الطوارق:

"تمراكشت: اختزلت فصارت مروكش ثم مراكش تعني في لغة الطوارق: (دائرة تشتمل على مرعى ومخيم) ترعى فيها الدواب وتستحلب إناثها في وقت معين تحت أنظار أصحابها(7).

ضاقت رحاب أغمات وضواحيها الظليلة بحشود العساكر ومعداتها، فكان من الضروري البحث عن مكان متسع الأرجاء يكفي حاجيات الوضع الجديد. يكون مستودعا للذخيرة وحصنا لمراقبة مسالك الجبال الأطلسية ومجالا واسعا لتحركات الجيش ومرعى خصبا للإبل والأنعام والدواب ومناخا يتلاءم شيئا ما مع طبيعة الصحراء من حيث الهواء الجاف والطقس الحار والسماء الصافية ووفرة المياه. وقد اختيرت بقعة من إحدى البقاع التي كان يخيم فيها الجيش من قبل على الضفة

---

*- بلعربي، الصديق، جولة في تاريخ مراكش، ضمن كتاب:" مقالات ومحاضرات الصديق بلعربي"، جمع وتنسيق أحمد متفكر، مراكش 2001، صص 227 – 228.

*- أحمد بن الشرقي حصري، "ارتسامات ومعطيات تاريخية حول مدينة مراكش"، مراكش 1986، الجزء الأول، صص 38 - 47.

اليسرى لوادي إيسيل لإنشاء قصبة يتمحور حولها النشاط العسكري والاقتصادي وتكون مخزنا للذخيرة والأموال والتموين.

واختيار البقعة للاستقرار تكريس للأمر الواقع، وبناء الحصن قدر له أن يكون نواة العاصمة الكبرى. وقد شرع أهل المغرب من المقيمين ببناء دور من الطوب المجفف وآخرون (بطابية) التراب المضغوط يوضع بين لوحيتن يبلغ طولها نحو مترين وعرضها العادي نحو 80 سم على شكل صندوق بدون غطاء ويوضع التراب وسطها ويدك دكا حتى يصير كتلة واحدة فينزع اللوح ويوضع بجانب الجدار المبني حتى يبلغ الطول المقصود ثم يشرع في البناء فوق الجدار الأساسي إلى أن يبلغ الارتفاع المراد، وعلى هذا الشكل بنيت قصبة المرابطين على النمط المستعمل بالمغرب وفي الصحراء. وقد اكتشف قسم من سور هذه القصبة سنة 1976 غرب دار البارود إزاء باب سيدي غريب حين شرع في حفر الصحراوي الآلف للنظر البعيد وخلو الفضاء من كل ما يحجب بصره عن قطعانه المنتشرة على بعد منه. ويحدثنا البكري رواية عن أحد المعاصرين فيما يتعلق بالحياة السياسية والاجتماعية، وهو محمد بن يوسف القيرواني: (كان سكان أغمات يتعاقبون فيما بينهم على تحمل أعباء الإمارة، الذي يتولى الإمارة لمدة سنة يعوض بآخر منتميا إليهم عن طريق الانتخاب. وهذا ما يقع دائما تبعا لخطة معينة بتسوية ودية، وأضاف أن سكان أغمات وسوس أمهر الناس في الصناعة وأصدقهم نشاطا وحرصا على السعي وراء الغناء يلزمون نساءهم وشبابهم لمزاولة المهن التي تجلب لهم ربحا ماديا).

... ولننقل كلام ابن عذاري المراكشي في شأن تأسيس مراكش ثم نضيف إليه كلام ابن أبي زرع في الموضوع لنخرج باستنتاج عله يكون أقرب إلى الواقع يقول ابن عذاري:

وفي سنة – 462-23. رجب ابتدئ أساس مراكش وذلك قصر الحجر وشرع الناس في بناء الدور دون سور.

وفي ذلك اليوم بعينه كان ركوب الأمير أبي بكر وإخوته وجميع محلته مع أشياخ المصامدة والفعلة من البنائين وغيرهم، فابتدأ العمل في الأساس بمشاركة الأشياخ فأعانوا على البناء بالمال والرجال، فقام سور قصر الحجر في نحو 3 شهور على نحو ما ذكره ذوو المعرفة. واشتغل الناس في بناء كل الديار كل واحد على قدر جهده واستطاعته فذكروا أن أول دار بنيت بمراكش من ديار لمتونة دار تورزكين بن الحسن الكائنة بموضع أسدال بناها بالطوب وجددها وهي الآن ظاهرة على المقر بالموضوع المذكور إلى وقتنا هذا سنة 706.

وذكروا أن اللمتونيين حين طلبوا موضعا صحراء يبنون فيه مدينتهم ليبعدوا عن مواضع الوادي والغياض حفاظا على أنفسهم ومواشيهم لعادتهم في بلادهم فوقع بحثهم وجدهم واجتهادهم على موضع مدينة مراكش والله أعلم بذلك.

ابن أبي زرع: "وفيها أي سنة 454 اشترى ابن تاشفين موضع مدينة مراكش ممن كان يملكه من المصامدة فسكن الموضع بخيام من الشعر وبنى فيه مسجدا للصلاة وقصبة صغيرة لاختزان أمواله وسلاحه. ولم يبن على ذلك سورا، وكان رحمه الله لما شرع في بناء المسجد يحتزم ويعمل في الطين والبناء بيده مع الخدم تواضعا منه وتورعا، والذي بناه من ذلك هو الموضع المعروف الآن بقصر الحجر من مدينة مراكش جوفا من جامع الكتبية منها".

يتبين من الروايتين: الاختلاف في تاريخ التأسيس والمؤسس، فابن عذاري يجعله سنة 462هـ-1069م وينسبه لأبي بكر بن عمر اللمتوني. وابن أبي زرع ومن تبعه يؤرخ له سنة 454 هـ 1062م- وينسبه إلى يوسف بن تاشفين والفرق الزمني بين المؤرخين 8 سنوات.

ونرجح ما ذكره ابن عذاري للأسباب الآتية:

1- ابن عذاري سكن مراكش وكان أقرب زمنا ومكانا واتصالا شخصيا بمن روى عنهم من أهل البلد وهو أيضا أوثق مصدرا من بن أبي زرع وأشد منه تحريا فيما يكتب.

2- ومن حيث الزمن أن أبا بكر بن عمر هو الذي كان يقود حملة الإصلاح مع رفيقه ابن ياسين. وقد طالت الحروب لما عرف عن المغاربة من شجاعة ومقاومة متوالية تدعو إلى قضاء زمن طويل للسيطرة بقعة أثر بقعة وقبيلة أثر قبيلة فلم تكن إذ ذاك سلطة مركزية موحدة يخضع لها الكل بحيث إذا هزمت وحلت محلها سلطة أخرى- أقوى منها يدين لها الكل بالطاعة.

3- إن أبا بكر قد جمع من الأسلاب والغنائم مما يجعله يفكر في تشييد مأمن تودع فيه تلك الذخائر يكون محاطا على أوسع نطاق بأنصاره وجنوده رفقة إبلهم وخيلهم ولا يتأتى ذلك بأغمات التي تضيق بها نفس الصحراوي. ولم تبن القصبة لسكنى الأمير وإنما بنيت لأجل أن تكون مخزنا مع استمرار الإقامة بالخيام فقط حتى ظهور جيل جديد من الشباب الذين تربوا في رباط الصحراء ونضجت عقولهم فصاروا كهولا، وكيفتهم الحروب الطويلة وبرزت من بينهم كفاءات ومهارات هيأتهم للقيادة فجعلت أبا بكر يسند إليهم مهام الحملات لإقرار الوضع الجديد ويشرف هو على توجيهها من مركز القيادة العليا إلى النواحي التي تجري فيها عمليات

المعارك، وكانت إقامته تدعو إلى بناء الحصن قبل يوسف بن تاشفين المنتسب إلى ذلك الجيل. فإذا يكون أبو بكر هو المؤسس الأول وإتمامه على يد يوسف ابن تاشفين أكبر قواده.

ويتابع ابن عذاري حديثه عن بناء الحصن فيقول:

كان الأمير أبو بكر قاعدا على السور والفعلة أمامه يعملون فيه وفي غيره إلى أن وقف عليه رجل راكب على فرس أشعث الرأس فسلم عليه وقال له: "إن أكَدالة أغارت على إخوتك وقتلوا الرجال وسلبوا الأموال وهزموهم" ويتضح من هذه الفقرة أن البناء لم يتم وأن أبا بكر رجع إلى الصحراء بعدما استخلف يوسف فيكون إذا قد أتم البناء الذي بدأه سلفه فيصير كلاهما اشترك في التأسيس الأول وحينئذ تضيق شقة الخلاف فيما يتعلق بالمؤسس ويبقى التضارب قائما حول وقت التأسيس.

أما بناء المسجد الذي كان يعمل فيه بيديه فقد يكون تشييده وقع بعد إتمام الحصن وبجواره.

إطلاق اسم قصر الحجر على البناية:

لم يشر أحد من المؤرخين حسب علمنا على استعمال الحجر في البناء الأولى فذكروا الطوب والطين سواء في بناء القصبة أو المسجد. ولم تكن تلك التسمية تطلق عليه أيام العهد الأول المرابطي، وإنما أطلقت عليه بعد إدخال الحجر المنجور. الشيء الذي لم يعهده المراكشيون من قبل وبناء الباب البارز بالحجر شمال شرقي جامع الكتبيين المكتشف. ما بقي منه أخيرا مع السور الملحق به. كان من توجيه علي بن يوسف الذي أخذت الدولة على عهده تنسلخ من خشونة البداوة وتأخذ بحظ وافر من الحضارة دفعته إلى تشييد قصر متين من حجر كَيليز والأجور على يد صناع مهرة هيأهم تطور الصناعة في البلاد فشيدوا لأميرهم قصرا يكون في مستوى عظمة الدولة وقد استعمل ذلك النمط نفسه من الحجر في بناء منارة جامع ابن يوسف القديم، كما دلت على ذلك الحفريات التي أجريت حديثا.

من الخيام إلى الدور:

كان بناء القصبة إعلانا عن إرادة هادفة للبناء والاستقرار على أرض المغرب، وصرف النية عن الرجوع إلى الصحراء، وتحولا من حياة الترحال إلى حياة الاستقرار ومتابعة الجهاد في سبيل تعاليم الإسلام في شكله البسيط وخلق مركز للانطلاق ومباشرة الحكم.

ولا نستطيع أن نجزم بوجود مخطط مسبق لتشييد مدينة مراكش الفسيحة وتحديد امتداداتها وأماكن مرافقها الحيوية انطلاقا من بناء القصبة مركز القيادة ورمز الصمود. فقد سبق إنشاءها وجود مخيمات ومعسكرات متعددة تبعد إحداها عن الأخرى بالقدر الذي يسمح لكل مخيم أن يكون له مجال حيوي على النمط الصحراوي يتحرك فيه رفقة إبله ودوابه وأنعامه التي هي جزء من شخصيته مشتملا على بير أو آبار حسب أهميته، لأن الماء في هذه المنطقة أعذب وأقرب من الأعلى بالجنوب ويتكون ساكنوه على الأغلب من أفراد تربطهم روابط عرقية ولغوية أو انتماء لفرقة من الفرق العسكرية المتنوعة الأسلحة والماموريات وكل منها يحيط مخيمه بسياج من الزرب الشوكي المتوفر بكثرة في محيط أرض التخييم وعلى شكل دائري من خيام أو نوالات.

ولم تكن المعسكرات هذه تعيش في عزلة عن الاتصال بالقبائل المجاورة أو البعيدة، فقد كانت الوفود تتوالى على العاصمة لتقديم الطاعة وطلب التحيكم. فالمعسكر نقطة جاذبية للتبادل التجاري، وسوق يقصده التجار لصرف بضائعهم أو القرويون لعرض إنتاجهم الفلاحي، وأرباب المهن لتقديم خدماتهم وسد حاجيات الجند وغيرهم بما هو ضروري من الصناعات على مختلف أشكالها.

وكانت نفيس وأغمات بحكم موقعها الجغرافي المجاور، وما تتمتعان به من حضارة ورخاء تمدان التجمع الجديد بالمنطقة ببعض المواد الغذائية والفواكه والإطارات الصناعية. وبفضل التطور الحتمي للمجتمعات البشرية ووجود محيط متغير عن المحيط الصحراوي استبدلت الخيام تدريجيا بمباني قارة.

وقد شيدت بالضرورة من المواد المتوفرة في عين المكان: الطحلب، الجير وخشب النخيل على فرض أن واحة مراكش كانت موجودة قبل المرابطين. كما يوجد أيضا بالجبال وعلى ضفاف الأودية خشب الصفصاف وغيره الصالح لتسقيف البيوت.

يقول ابن عذاري: "إن أول دار بنيت بمراكش هي دار تورزكين وقد بناها بالطوب في موضع يدعى اسدال"(9).

ويظهر أن تورزكين هذا من أعيان لمتونة. توفرت لديه الإمكانيات لتشييد أول دار للسكنى بمراكش فاقتدى به من تسمح له وضعيته بالبناء على ما يظهر من أولائك المسرحين من التجنيد والمجبرين على البقاء من متطوعة الجيش لسبب من الأسباب أو من سكان القرى المقيمين الذين لم يتعودوا على السكنى بالخيام من صناع وتجار وحرفيين نزحوا للمعسكر لتقديم خدماتهم للمجتمع

الجديد. سمح لهم في بناء بيوتهم على الشكل الذي يوافق بيئتهم، فظهرت إلى الوجود بنايات منتشرة هنا وهناك وبقي الفراغ في انتظار ملء، ممن له قرابة أو تجانس أو زمالة مع القاطن الأول.

وهكذا نشأت بالتدريج أحياء متفرقة كل منها يكون مجتمعا خاصا به ويطلق عليه اسما من الأسماء نابع من خصائص البقعة أو نسبة إلى عشيرة أو مهنة أو شخصية ملحوظة: ويتخذ قالبه ومعناه من لغة زناكة أو البربرية المحلية. وقد بقيت بعض الأحياء إلى يومنا هذا محتفظة بأسمائها مثل: تيخزريت، تيشنباشت وازبزت. [...]

والملاحظ أن هذه الأحياء بنيت بعيدة عن القصبة مما يجعلنا نعتقد أن محيطها كان خاصا بإقامة الجنود المخيمين بالقرب منها حتى أن الأميرة نفسها قد اختارت سكناها بعيدة عن مقر إقامة أسرتها بوسط المدينة الحالية وبالقرب من الحارة المنسوبة إليها، حيث بنى أخوها الجامع وسط التجمع السكني الرئيسي الذي صار فيما بعد محورا للنشاط التجاري.

يتنافس الناس في اقتناء البقع لبناء الدكاكين لعرض بضائعهم فنشأ السوق المركزي حول المسجد وتطور تدريجيا إلى التصنيف إلى أسواق فرعية متخصصة تجاريا ومهنيا في البيع بالتقسيط للإنتاج اليدوي للمواد المصنعة. ولا يزال هذا السوق إلى الآن يحتفظ بطابعه وشكله ونظامه الذي كان عليه منذ قرون بقطع النظر عن بعض التحولات التجارية التي طرأت عليه في أوائل الأربعينات من هذا القرن.

الحي الصناعي العتيق:

أما الصناعات التحويلية للإنتاج الخام التي تتطلب بذل الجهد والطاقة وتستعمل مواد أولية ملوثة وتشغل سعة من الأرض. وتستهلك كمية ضخمة من المياه العذبة تكون متوفرة تتحول إلى نفايات قذرة. يدعو صرفها إلى وجود مجاري تسير في انحدار لتلقى بعيدة عن المدينة. مثل صناعة الجلود بمراحلها والفخار والصابون والآجور ومعاصر الزيت. ولا تتوفر هذه الخصائص إلا في الجانب الشرقي على الضفة اليمنى لوادي إيسيل في الخط الذي أنشأ فيه سور المدينة من باب أيلان وباب الدباغ إلى باب الخميس، وقد روعي عند بناء السور وامتداداته وتقلصاته تجنب وادي إيسيل وحماية الحي الصناعي وقد هيأت تلك الخصائص هذه المنطقة لتكون مركزا متطورا لإنشاء حي صناعي بجميع مقوماته استمر 9 قرون حتى عجز عن منافسة الصناعة الحديثة الجارفة وتخلف عن مسايرة التطور -خصوصا- بعد الحرب العالمية الثانية،

فقلصته قطاعا بعد آخر ولم يبق فيه من دور الدباغة وأوراش اللباطة والفخارة والحصارة وفنادق التموين بالمواد الخام إلا النزر اليسير تزاول فيها فئة قليلة من الصناع مهنتها ممن بقيت فيه طاقة العمل، ولم يجد بابا آخر للرزق المشرف.

ولعل أهم صناعة نشأت وتطورت هي صناعة الجلود ومشتقاته، ثم الحياكة والفخار والحدادة، والقنب، والدباغة لأهميتها في سد حاجيات الجند الكبير في إقامته وتنقلاته من الأدوات الضرورية المصنوعة من الجلد محليا، فجلود تافيلالت وغيرها، وخصوصا جلود نول لمطة المصنوعة من اهاب الظباء المشهورة بصلابتها وإتقانها في صنع الدرق والدروع لم تعد تكفي لمتطلبات الجيش المتطور، فكان لزاما أن تعرف هذه الصناعة في مراحلها ازدهارا ونفاذا، فمن ذلك النعال والأحدية والسروج والدلاء والقرب الذي يستهلك منها الجيش مقادر جمة في تحركاته، والنعال والأحدية للمشاة تبلى بسرعة من طول المشي على طرق وعرة ومسالك غير موطأة إذ يتعين إصلاحها أو إبدالها. والدلاء والقرب تأخذ حيزا ضخما من معدات الجيش لنزح المياه من الآبار والأودية للتروي عبر الأراضي القاحلة.

فالتصور هذا يجعلنا نعتقد أن صناعة الجلد وما يتصل بها كانت أهم الحرف رواجا، وأهلها أكثر عددا في مثل ظروف كهذه تزخر فيها البلاد بوجود جيش دائب الحركة. فصار من لوازم الوضعية الجديدة أن تنال الصناعات الحربية أيضا أهمية كبرى لتزويد الجيش بالأسلحة المستعملة في تلك الحقب من سيوف ورماح وسهام ونبال وخناجر وتزويد الخيل بالسروج واللجوم والصفائح فتنوعت الصنائع بتنوع الحاجيات الحربية والمدنية واتخذت لها أمكنة أخرى بين الأحياء قبل أن تنظم الأسواق وتتكتل وينفرد كل منها بتجارة أو مهنة خاصة لا تطلب غير دكان يزاول فيه التاجر أو الصانع نشاطه بدون كلفة أو مشقة.

أما التجارة الكبرى التي تحتاج إلى مخازن لوضع السلع قبل ترويجها ومرابط لوسائل النقل الحيواني وبيوت لإسكان الوافدين، فقد اتخذت لها فنادق في أطراف الأحياء اجتنابا للازدحام وضيق الطرق وتسهيلا لاستقبال القوافل التجارية الواردة من جميع الجهات. وقد احتفظ التاريخ باسم أحدها وهو فندق الأرنجة الذي قتل فيه الفتح بن خاقان(10). "اشتراه ناظر الأحباس فبني به دارا لسكناه ثم صارت فيها بعد مدرسة ابتدائية سنة 1962 استأجرتها بلدية مراكش" وهو بجوار جامع ابن يوسف من جهة زاوية الحضر. ولم تكن مختلف الصناعات الموجودة بمراكش كافية وحدها كما وكيفا للاستجابة إلى الحاجيات المتزايدة لسكان المدينة

والجيوش الرابطة بها تناوبا، والزائرين لها بل كانت تستورد من جميع المراكز سواء السلع الجاهزة أو المواد الخام لتصنيعها محليا.

فتمور الواحات وتبر السودان وفضة تامدولت أقا ونسيجها الممتاز ومصنوعات فاس المتنوعة وزرع دكالة وتامسنا وزيتون سفوح الجبال الأطلسية وفواكهها وملح مسفيوة ودمنات ومارغة والمواد الأولية للدباغة والصناعة عن وراء الأطلس. فصارت مراكش كعاصمة متطورة مركزا تجاريا. مستهلكا على أوسع نطاق لكل ما يرد عليها من إنتاج صناعي أو فلاحي، ويصدر الفائض منها إلى مختلف الأقاليم.

نمو عشوائي:

نشأت مراكش وتطورت تطورا (كالكوفة والقيروان) عفويا بدون تخطيط مسبق وتوجيه منسق يحدد للأفراد والجماعات أمكنة لإقامتها وأنشطتها التجارية والمهنية وتصميم شبكة الطرق والأزقة ومنافذ متعددة لتسهيل المرور سواء للإنسان أو الحيوان وتخصيص بقع - لإنشاء المرافق الحيوية الاقتصادية منها والاجتماعية والدينية: عمومية كانت أو خصوصية يزاول فيها الأفراد شعائرهم الدينية وتلبي حاجياتهم اليومية وهم شاعرون بمسؤوليتهم الجماعية ومتضامنون- تضامنا منبثقا من الوعي الشامل لمصلحة حي على حساب حي آخر انطلاقا من الانتمائية القبلية والتشبث بفكرة الرابطة الجوارية لحل المشاكل المطروحة يوميا.

ولا يعتقد أن تصميما عمرانيا مدنيا هادفا كان جاهزا ولا توجيها واعيا كان متبعا حين شرع الصحراويون ومن خالطهم من المقيمين في بناء بيوتهم لمزاولة أنشطتهم اليومية، فسعة المساحة وتراميها دفعت بهم إلى تشييد أحياء متباعدة بعضها عن بعض. رعيا للانتماء القبلي امتزج فيها الطابع الصحراوي بالطابع المحلي بما لكل منهما من حسنات وسيئات، طرق ضيقة ومنحرفة كثيرة الالتواءات داخل الأحياء والأسواق تعوق السير ويضل فيها الغريب بينما تجد خارج الأحياء فضاء واسعا خاليا يفصل بينها، تتراكم في بعضها القمامات العفنة وأكوام من التراب ومسافات أنشأت فيها حدائق وزرائب للحيوانات وأخرى أعدت للهو والرياضة ومبارك للإبل...

نصوص تاريخية مشرقية
حول تأسيس وتسمية
مدينة مراكش


واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

تأسيس مدينة مراكش
في المصادر المشرقية

جمعها ذ. محمد الزكراوي

هذه نصوص ورد فيها ذكر مراكش، أصحابها مؤرخون وجغرافيون غير مغاربة[1]، نحن على يقين (من النظر في تراجمهم) أنهم لم تطأ أقدامهم تراب مراكش قط، إلا أن خبرها وصل إليهم، في الأغلب الأعم بالنقل عن كتب من تقدمهم، مغاربة كانوا أم مشارقة. ومن تلك الكتب ما هو معروف مشهور، لاسيما "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للإدريسي، ومنها ما لا يكاد يُعرف إلا عنوانه، ككتاب "المعرب عن سيرة ملك المغرب" الذي نقل عنه ابن خلكان في "وفيات الأعيان".

وقد نقلنا من تلك المؤلفات ما يتصل بتاريخ التأسيس على الخصوص، وبضعة أخبار عن المنشآت الحضارية والأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تقدمته أو صاحبته أو تمخضت عنه.

ولا يخفى أن أهم كتاب ذكر فيه تاريخ تأسيس مدينة مراكش، وهو سنة 462/ 1070، هو "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"، لابن عذاري المراكشي، يليه كتاب "الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية"، لمؤلف مجهول؛ وكلاهما ثقة. لكنهما لم يخرجا إلى النور إلا بالأمس القريب، بيد أن "روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس"، لابن أبي زرع

---

[1]- هم على التوالي: يقوت الحموي، وابن الأثير، وابن خلكان، وأبو الفداء، والنويري، وابن عبد الحق البغدادي، وابن الوردي، وابن فضل الله العمري، والصفدي، والقلقشندي، والمقريزي، وابن إيس، وابن سبهي زاده، والقرماني، وابن العماد، ومحمود مقديش (وكلهم مشارقة، إلا مقديش، فهو تونسي).

الفاسي، قد طبع منذ سنة 1843؛ فشاع معه خبر تأسيس مراكش سنة 454[1]، لاسيما بعد أن نُشر القسم الخاص بالمغرب من "تاريخ" ابن خلدون (بين سنتي 1847 و1851)، وعُلم أنه ينقل (دون تمحيص في تلك المسألة) عن "روض القرطاس"؛ فكأنه زكى ما ورد فيه من أخبار عن مراكش، مع أن بعض المستشرقين قد أثبت منذ مدة أن تلك الأخبار خاصة لا يوثق بها كل الثقة[2]. ومن عجب أن بعض النصوص التي نسوقها هنا أتى على ذكر التاريخ الحقيقي للتأسيس، سنة 462/ 1070، بإشارة صريحة أو تقريبية (كقول أحدهم: "في عشر الستين وأربعمائة"، وكقول آخر، قبيل ذكر تأسيس مراكش: "وبقوا كذلك إلى سنة اثنتين وستين وأربعمائة")، إلا أن أحدا لم يعتدّ بذلك أو لم يتنبه إليه، فكان من شيوع التاريخ الخطأ وتواتره ما كان.

ومن أهم المؤلفات المغربية التي وصفت مراكش، بل لعله أولها بإطلاق، كتاب "نزهة المشتاق"، للشريف الإدريسي؛ وقد نُشر منه القسم الخاص بالمغرب والأندلس سنة 1864. وعنه نقل نفر كثير ممن أوردنا نصوصهم هنا؛ إلا أننا لم نورده لأنه مغربي فليس من شرط ما نحن بصدده. ولا يقل أهمية عنه، وإن جاء بعده بقريب من أربعة قرون، كتاب الحسن الوزان في "وصف أفريقيا". وكذلك خرج بشرطنا ذاك جميع المؤلفين الأندلسيين (كابن الخطيب في "الإحاطة" و"معيار الاختيار"، وابن سعيد في "الجغرافيا" و"بسط الأرض في الطول والعرض"، وابن عبد المنعم الحميري في "الروض المعطار في خبر الأقطار"، والزهري في "كتاب الجعرافية"،...). لكننا لم ندرج نصوص الأجانب (أعني أهل الذمة) الذين كتبوا عن مراكش، تجارا كانوا أم جواسيس أم أسارى أم سفراء... وفي مؤلفاتهم أخبار نفيسة عن مدينتنا؛ فأجّلنا إظهارها إلى فرصة أخرى.

وقد رتبنا هذه النصوص على وفيات أصحابها، الأقدم عهدا فالأحدث، ليتبين الناقل من المنقول عنه، وليتعين مصدر الأخبار المختلفة المتواترة في تلك الأزمان البعيدة عن تأسيس مدينة مراكش.

---

[1]- راجع تفصيل ذلك في دوفردان، مراكش من التأسيس إلى الحماية، ترجمة محمد الزكراوي وخالد المعزوزي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 2012. ونشير إلى أن "مجلة المغرب"، وكانت تصدر أيام الحماية، قد عقدت عددا خاصا لمراكش، هو العدد المزدوج 6-7 لسنة 1936، بعد أن أصدرت في العدد 4 لسنة 1932 مقالا لأحد الفضلاء عن مدينة مراكش.

[2]- راجع كتاب دوفردان المذكور قبل.

وصدر معظم تلك النصوص في نشرات محققة، وضع نشروها عليها من الحواشي والتعليقات ما رأوها في حاجة إليه؛ إلا أننا سمحنا لنفسنا بالتصرف فيها بالحذف، تخفيفاً، لأن أغلبها تعليق على الفروق بين النسخ؛ وأشرنا إلى ذلك في محله.

وبالله التوفيق.

نص ياقوت الحموي*

مَرّاكُش: (بالفتح ثم التشديد وضم الكاف وشين معجمة)

"... أعظم مدينة بالمغرب وأجلّها. وبها سرير ملك بني عبد المؤمن. وهي في البرّ الأعظم، بينها وبين البحر عشرة أيام، في وسط بلاد البربر. وكان أول من اختطها يوسف بن تاشفين، من الملثمين، الملقب بأمير المسلمين، في حدود سنة سبعين وأربعمائة. وبينها وبين جبل دَرَن، الذي ظهر منه ابن تومرت المسمى بالمهدي، ثلاثة فراسخ؛ وهو في جنوبيها. وكان موضع مرّاكش قبل ذلك مخافة يقطع فيه اللصوص على القوافل؛ كان إذا انتهت القوافل إليه قالوا: مراكش؛ معناه بالبربرية: أسرع المشي. وبقيت مدة يشرب أهلها من الآبار، حتى جُلب إليها ماء يسير من ناحية أغمات يسقي بساتين لها؛ وكان أول من اتخذ بها البساتين عبد المؤمن بن علي؛ يقولون: إن بستاناً منها طوله ثلاثة فراسخ...".

نص ابن الأثير*

"... لَمَّا مَلَكَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عُمَرَ سِجِلْمَاسَةَ اسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا يُوسُفَ بْنَ تَاشَفِينَ اللَّمْتُونِيَّ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَمِّهِ الْأَقْرَبِينَ، وَرَجَعَ إِلَى الصَّحْرَاءِ. فَأَحْسَنَ يُوسُفُ السِّيرَةَ فِي الرَّعِيَّةِ، وَلَمْ يَأْخُذْ مِنْهُمْ سِوَى الزَّكَاةِ. فَأَقَامَ بِالصَّحْرَاءِ مُدَّةً. ثُمَّ عَادَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عُمَرَ إِلَى سِجِلْمَاسَةَ، فَأَقَامَ بِهَا سَنَةً، وَالْخُطْبَةُ وَالْأَمْرُ

* – ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج 5، بيروت، 1977، ص 94.

* – ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج 9، بيروت، 1979، صص 621–623.

وَالنَّهْيِ لَهُ؛ وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا ابْنَ أَخِيهِ أَبَا بَكْرِ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ؛ وَجَهَّزَ مَعَ يُوسُفَ بْنِ تَاشَفِينَ جَيْشًا مِنَ الْمُرَابِطِينَ إِلَى السُّوسِ، فَفُتِحَ عَلَى يَدَيْهِ.

وَكَانَ يُوسُفُ رَجُلًا دَيِّنًا خَيِّرًا حَازِمًا دَاهِيَةً مُجَرِّبًا. وَبَقُوا كَذَلِكَ إِلَى سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَتُوُفِّيَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عُمَرَ بِالصَّحْرَاءِ؛ فَاجْتَمَعَتْ طَوَائِفُ الْمُرَابِطِينَ عَلَى يُوسُفَ بْنِ تَاشَفِينَ، وَمَلَّكُوهُ عَلَيْهِمْ، وَلَقَّبُوهُ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ. وَكَانَتِ الدَّوْلَةُ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ لِزَنَاتَةَ الَّذِينَ ثَارُوا فِي أَيَّامِ الْفِتَنِ، وَهِيَ دَوْلَةٌ رَدِيَّةٌ مَذْمُومَةٌ، سَيِّئَةُ السِّيرَةِ، لَا سِيَاسَةَ وَلَا دِيَانَةَ؛ وَكَانَ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ وَطَائِفَتُهُ عَلَى نَهْجِ السُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ الشَّرِيعَةِ. فَاسْتَغَاثَ بِهِ أَهْلُ الْمَغْرِبِ، فَسَارَ إِلَيْهَا وَافْتَتَحَهَا حِصْنًا حِصْنًا وَبَلَدًا بَلَدًا بِأَيْسَرِ سَعْيٍ. فَأَحَبَّهُ الرَّعَايَا، وَصَلُحَتْ أَحْوَالُهُمْ.

ثُمَّ إِنَّهُ قَصَدَ مَوْضِعَ مَدِينَةِ مَرَّاكُشَ، وَهُوَ قَاعٌ صَفْصَفٌ، لَا عِمَارَةَ فِيهِ، وَهُوَ مَوْضِعٌ مُتَوَسِّطٌ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ كَالْقَيْرَوَانِ فِي إِفْرِيقِيَةَ؛ وَمَرَّاكُشُ تَحْتَ جِبَالِ الْمَصَامِدَةِ الَّذِينَ هُمْ أَشَدُّ أَهْلِ الْمَغْرِبِ قُوَّةً، وَأَمْنَعُهُمْ مَعْقِلًا؛ فَاخْتَطَّ هُنَاكَ مَدِينَةَ مَرَّاكُشَ لِيَقْوَى عَلَى قَمْعِ أَهْلِ تِلْكَ الْجِبَالِ إِنْ هَمُّوا بِفِتْنَةٍ. وَاتَّخَذَهَا مَقَرًّا؛ فَلَمْ يَتَحَرَّكْ أَحَدٌ بِفِتْنَةٍ. وَمَلَكَ الْبِلَادَ الْمُتَّصِلَةَ بِالْمَجَازِ مِثْلَ سَبْتَةَ وَطَنْجَةَ وَسَلَا وَغَيْرِهَا، وَكَثُرَتْ عَسَاكِرُهُ.

وَخَرَجَتْ جَمَاعَةُ قَبِيلَةِ لَمْتُونَةَ وَغَيْرُهُمْ، وَضَيَّقُوا حِينَئِذٍ لِثَامَهُمْ؛ وَكَانُوا قَبْلَ أَنْ يَمْلِكُوا يَتَلَثَّمُونَ فِي الصَّحْرَاءِ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، كَمَا يَفْعَلُ الْعَرَبُ. وَالْغَالِبُ عَلَى أَلْوَانِهِمُ السُّمْرَةُ؛ فَلَمَّا مَلَكُوا الْبِلَادَ ضَيَّقُوا اللِّثَامَ.

وَقِيلَ: كَانَ سَبَبُ اللِّثَامِ لَهُمْ أَنَّ طَائِفَةً مِنْ لَمْتُونَةَ خَرَجُوا مُغِيرِينَ عَلَى عَدُوٍّ لَهُمْ، فَخَالَفَهُمُ الْعَدُوُّ إِلَى بُيُوتِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ بِهَا إِلَّا الْمَشَايِخُ وَالصِّبْيَانُ وَالنِّسَاءُ؛ فَلَمَّا تَحَقَّقَ الْمَشَايِخُ أَنَّهُ الْعَدُوُّ أَمَرُوا النِّسَاءَ أَنْ يَلْبَسْنَ ثِيَابَ الرِّجَالِ وَيَتَلَثَّمْنَ وَيُضَيِّقْنَهُ حَتَّى لَا يُعْرَفْنَ، وَيَلْبَسْنَ السِّلَاحَ. فَفَعَلْنَ ذَلِكَ؛ وَتَقَدَّمَ الْمَشَايِخُ وَالصِّبْيَانُ أَمَامَهُنَّ، وَاسْتَدَارَ النِّسَاءُ بِالْبُيُوتِ. فَلَمَّا أَشْرَفَ الْعَدُوُّ رَأَى جَمْعًا عَظِيمًا، فَظَنَّهُ رِجَالًا، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ عِنْدَ حُرَمِهِمْ يُقَاتِلُونَ عَنْهُنَّ قِتَالَ الْمَوْتِ؛ وَالرَّأْيُ أَنْ نَسُوقَ النَّعَمَ وَنَمْضِيَ، فَإِنِ اتَّبَعُونَا قَاتَلْنَاهُمْ خَارِجًا عَنْ حَرِيمِهِمْ. فَبَيْنَمَا هُمْ فِي جَمْعِ النَّعَمِ مِنَ الْمَرَاعِي إِذْ قَدْ أَقْبَلَ رِجَالُ الْحَيِّ، فَبَقِيَ الْعَدُوُّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ

النِّسَاءِ؛ فَقَتَلُوا مِنَ الْعَدُوِّ فَأَكْثَرُوا، وَكَانَ مَنْ قَتَلَ النِّسَاءُ أَكْثَرَ. فَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ جَعَلُوا اللِّثَامَ سُنَّةً يُلَازِمُونَهُ، فَلَا يُعْرَفُ الشَّيْخُ مِنَ الشَّابِّ، فَلَا يُزِيلُونَهُ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا؛ وَمِمَّا قِيلَ فِي اللِّثَامِ[1]:

قَوْمٌ لَهُمْ دَرَكُ الْعُلَى فِي حِمْيَرٍ ... وَإِنِ انْتَمَوْا صِنْهَاجَةً فَهُمْ هُمُ

لَمَّا حَوَوْا إِحْرَازَ كُلِّ فَضِيلَةٍ ... غَلَبَ الْحَيَاءُ عَلَيْهِمُ فَتَلَثَّمُوا

وَنَذْكُرُ بَاقِيَ أَخْبَارِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَوَاضِعِهَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى...".

نص ابن خلكان*

"... أبو يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتوني، أمير المسلمين وملك الملثمين. وهو الذي اختط مدينة مراكش (...).

ذكر أرباب التواريخ شيئا من أحواله؛ فاخترت في هذا الكتاب ما وجدته في كتاب "المعرب عن سيرة ملك المغرب"، لأنه أوعب في حديثه من غيره؛ لكنه لم يذكر مؤلفه حتى أذكره، غير أنه قال في أول النسخة التي نقلت منها هذا الفصل: إنه كتبها في سنة تسع وسبعين وخمسمائة، وفرغ منها في غرة ذي القعدة من السنة بالموصل؛ وهو في مجلد واحد لطيف؛ فاخترت منه مقتضبا ما مثاله:

كان بر المغاربة الجنوبي لقبيلة تسمى زناتة، برابر. فخرج عليهم من جنوبي المغرب، من البلاد المتخمة لبلاد السودان، الملثمون، يَقْدَمهم أبو بكر بن عمر... وكان ولاة المغرب من زناتة ضعفاء لم يقاوموا الملثمين؛ فأخذوا البلاد من أيديهم من باب تلمسان إلى ساحل البحر المحيط. فلما حصلت البلاد لأبي بكر بن عمر المذكور سمع أن عجوزا في بلاده ذهبت لها ناقة في غارة، فبكت وقالت: ضيعنا أبو بكر بن عمر بدخوله إلى بلاد المغرب. فحمله ذلك على أن استخلف على بلاد المغرب رجلا من أصحابه اسمه يوسف بن تاشفين، ورجع إلى البلاد الجنوبية.

---

[1] - المغرب في حلى المغرب (2/ 268) ونفح الطيب (3/ 205) أن القائل هو يحيى بن سهل اليكي؛ وفي **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** (2/ 4) أنه أبو محمد بن حامد الكاتب. وراجع ما سيأتي في النص 16 المنقول عن ابن العماد الحنبلي.

* - ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج 7، حققه الدكتور إحسان عباس، بيروت، 1994، صص 112-130.

وكان يوسف هذا رجلا شجاعا عادلا مقداما، اختط بالمغرب مدينة مراكش؛ وكان موضعها مكمنا للصوص؛ وكان ملكا لعجوز مصمودية (...).

وقد تقدم ... أن يوسف بن تاشفين هو الذي اختط مدينة مراكش. قال صاحب هذا الكتاب الذي نقلت منه هذه الترجمة، في آخر الكتاب: إن مراكش مدينة عظيمة، بناها الأمير يوسف بن تاشفين بموضع كان اسمه مراكش، معناه: امش مسرعا، بلغة المصامدة؛ كان ذلك الموضع مأوىٰ اللصوص؛ وكان المارون به يقولون لرفقائهم هذه الكلمة، فعُرف الموضع بها.

وقال غير مؤلف هذا الكتاب: بنىٰ ابن تاشفين مدينة مراكش في سنة خمس وستين وأربعمائة؛ قاله أبو الخطاب ابن دحية في كتابه الذي سماه "النبراس"، في خلافة القائم بأمر الله. قال: وكانت مزرعة لأهل نفيس؛ فاشتراها منهم بماله الذي خرج به من الصحراء (...). وذلك أنه لما توطنت نفسه علىٰ الملك، وأطاعته قبائل البربر، وذهب من يخالفه من لمتونة، سمت همّته إلىٰ بناء هذه المدينة. وكان في موضعها قرية صغيرة في غابة من الشجر، وبها قوم من البربر؛ فاختطها يوسف، وبنىٰ بها القصور والمساكن الأنيقة. وهي في مرج فسيح، وحولها جبال علىٰ فراسخ منها؛ وبالقرب منها جبل لا يزال عليه الثلج، وهو الذي يعدل مزاجها وحرها (...).

وكان يوسف بن تاشفين مقدم جيش أبي بكر بن عمر الصنهاجي. وخرج من سجلماسة في سنة أربع وخمسين وأربعمائة؛ وكان أبو بكر بن عمر قد أتىٰ سجلماسة في سنة ثلاث وخمسين، وحاصرها، وقاتل أهلها أشد قتال وأخذها؛ ثم رتب عليها يوسف بن تاشفين، فكان ما كان ...".

نص القزويني*

مراكش

"... مدينة من أعظم مدن بلاد المغرب، واليوم سرير ملك بني عبد المؤمن. وهي في البّر الأعظم، بينها وبين البحر عشرة أيام، في وسط بلاد البربر. وإنّها كثيرة الجنان والبساتين؛ ويخرق خارجها الخلجان والسواقي، ويأتيها الأرزاق من الأقطار والبوادي، مع ما فيها من جنىٰ الأشجار والكروم التي يتحدّث بطيبها في الآفاق. والمدينة ذات قصور ومبان محكمة.

* - القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، نشره فردناند فوستنفلد، جوتنجن، 1848م، ص 73.

بها بستان عبد المؤمن بن علي أبي الخلفاء، وهو بستان طوله ثلاثة فراسخ؛ وكان ماؤه من الآبار فجلب إليه ماء من أعماق تسير تسقي بساتين لها. وحكى أبو الربيع سليمان المُلتاني أن دورة مَرّاكُش أربعون ميلاً.

ينسب إليها الشيخ الصالح سني بن عبد الله المراكشي، وكان شيخاً مستجاب الدعوة ...".

نص أبو الفداء*

"... وقال أيضا في كتاب "نزهة المشتاق": وعلى ستة أميال من أغمات وريكة أغمات أيلان: مدينة صغيرة في أسفل جبل درن؛ وهي عن أغمات في جهة الشرق؛ وبها يسكن يهود تلك البلاد. وهي مدينة حسنة، كثيرة الخصب، كاملة النعم. وكانت اليهود لا تسكن مدينة مراكش، عن أمر أميرها علي بن يوسف بن تاشفين. (...)

مراكش: (بفتح الميم وتشديد الراء المهملة وفتحها وألف ساكنة ثم كاف وشين معجمة)

الأوصاف والأخبار العامة

وعن ابن سعيد: مراكش محدثة؛ بناها يوسف بن تاشفين في أرض صحراوية، وجلب إليها المياه؛ وأكثر الناس فيها البساتين فكثر وخمها؛ ولا يكاد الغريب يسلم فيها من الحمّى. وجنوبيّ مملكة مراكش جبل درن؛ وشماليّها مملكة سلا؛ وغربيّها البحر المحيط؛ وشرقيّها الجهات التي بين سجلماسة وفاس. وَدور مراكش سبعة أميال. ولها سبعة عشر بابا. وحرّها شديد. وهي في شماليّ أغمات، بميلة يسيرة إلى الغرب؛ وبينهما نحو خمسة عشر ميلا ...".

نص النويري*

"... قال: ثم قصد أمير المسلمين موضع مدينة مراكش، وهو قاع صفْصف لا عمارة فيه، وهو سُقْع متوسط في مملكة بلاد المغرب كالقيروان في بلاد إفريقية، تحت جبال المصامدة الذين

---

*- أبو الفداء، تقويم البلدان، صححه وطبعه رينود وماك كوكين ديسلان، باريس 1840 م.

*- النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق الأستاذ عبد المجيد ترحيني، بيروت، الجزء 24، ص 144.

هم أشد أهل المغرب قوة وأمنعهم معقلا. فاختط المدينة هناك ليتقوى على تدويخ أهل تلك البلاد. واتخذها دار ملكه، ومقرّ سكنه. فلم يعانده أحد من أهل تلك النواحي، لهيبته في نفوسهم. وعظم ذكره بالمغرب؛ وملك المدائن المتصلة بالبحر، مثل سبتة وسلا وطنجة وغيرها. وكثرت أمواله وجنوده. وخرج إليه جماعة لمتونة وكثير من القبائل. وضيّق لثامه هو وجماعته ...".

نص ابن عبد الحق البغدادي*

مَرّاكُش: (بالفتح ثم التشديد وضمّ الكاف وشين معجمة)

"... أعظمُ مدينة بالمغرب وأجلّها؛ وبها سريرُ ملوكه، في وسط بلاد البربر. بينها وبين البحر عشرةُ أيام. ومعنى مراكش بالبربرية: أسرع المشي، لأنها كانت موضع مخافة ...".

نص ابن الوردي*

"... ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وأربعمائة

(...)

ابتداء دولة الملثمين

الملثمون من عدَّة قبائل ينتسبون إلى حمير، وأول مَسِيرهم من اليمن في أيَّام أبي بكر رضي الله عنه؛ سيّرهم إلى جهة الشام. وانتقلوا إلى مصر، ثم إلى المغرب مع موسى بن نصير؛ وتوجهوا مع طارق إلى طنجة، وأحبوا الانفراد فدخلوا الصحراء واستوطنوها. فلما كانت هذه السنة توجه منهم جَوْهَر، من قبيلة جدالة، إلى إفريقية ليحج. فلما عاد استصحب معه فقيها من القيروان اسمه عبد الله بن ياسين الكزولي، ليعلم تلك القبائل دين الإسلام: فإنه لم يبق فيهم غير الشهادتين والصلاة في بعضهم.

---

*- ابن عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت، 1954، الجزء الأول، ص 1251.

*- ابن الوردي، **التاريخ**، ج 1، بيروت، 1996، صص 344- 345.

فتوجه عبد الله بن ياسين مع جوهر حتىٰ أتيا قبيلة لمتونة، ومنها يوسف بن تاشفين أمير المسلمين. ودعوهم إلىٰ العمل بالشريعة، فقالت لمتونة: أما الصلاة والصوم والزكاة فقريب؛ وأما قتل القاتل وقطع السارق ورجم الزاني فلا نلتزمه. فمضىٰ جوهر وعبد الله بن ياسين إلىٰ جدالة، قبيلة جوهر، فدعاهم عبد الله بن ياسين ودعا القبائل حولهم إلىٰ الشريعة، فأجاب أكثرهم وامتنع أقلهم. فأمر المجيبين بقتال المخالفين؛ فجعلوه أميرهم؛ فامتنع وقال لجوهر: أنت الأمير. فقال: أخشىٰ من تسلط قبيلتي علىٰ الناس فيكون وزر ذلك علي. ثم اتفقا علىٰ أبي بكر بن عمر، رأس قبيلة لمتونة: فإنه مطاع. فعرضا علىٰ أبي بكر ذلك فقبل وعقد البيعة وسماه ابن ياسين أمير المسلمين؛ واجتمع إليه كل من حسن إسلامه. وحرضهم عبد الله علىٰ الجهاد وسماهم المرابطين، فقتلوا من أهل البغي والفساد وممن لم يُجب إلىٰ الشريعة نحو ألفين، فدانت لهم قبائل الصحراء وقووا؛ وتفقه منهم جماعة علىٰ عبد الله.

ولما استبد أبو بكر بن عمر وعبد الله بن ياسين بالأمر داخل جوهرا الحسدُ فأخذ في إفساد الأمر؛ فعُقد له مجلس وحكم عليه بالقتل لكونه شقّ العصا وأراد محاربة أهل الحق. فصلىٰ جوهر ركعتين وأظهر السرور بالقتل طلبا للقاء الله تعالىٰ فقتلوه. ثم جرىٰ بين المرابطين وبين أهل السوس قتال فقُتل عبد الله بن ياسين الفقيه. ثم سار المرابطون إلىٰ سجلماسة فقاتلوا أهلها، فانتصر المرابطون وملكوها وقتلوا صاحبها.

ولما ملك أبو بكر بن عمر سجلماسة استعمل عليها يوسف بن تاشفين اللمتوني، من بني عم أبي بكر بن عمر، سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة؛ ثم استخلف أبو بكر علىٰ سجلماسة ابن أخيه، وبعث يوسف بن تاشفين بجيش من المرابطين إلىٰ السوس ففُتح علىٰ يديه؛ وكان ديّنا حازما داهية.

واستمر الأمر كذلك إلىٰ أن توفي أبو بكر بن عمر سنة اثنتين وستين وأربعمائة. فاجتمعت طوائف المرابطين وملّكوا يوسف بن تاشفين عليهم، ولقبوه أمير المسلمين. ثم افتتح المغرب حصنا حصنا، وكان غالبُها لزناتة. ثم قصد موضع مراكش، وهو قاع صفصف؛ فبنىٰ فيه مراكش واتخذها مقرّ ملكه. وملك البلاد المتصلة بالمجاز، مثل سبته وطنجة وسلا.

ويقال للمرابطين: الملثمون؛ تلثموا كالعرب؛ فلما ملكوا ضيّقوا اللثام ليتميزوا؛ وقيل: إن قبيلة لمتونة أغاروا علىٰ عدوّ، وألبسوا نساءهم لبس الرجال ولثّموهن؛ فقصد بعض أعدائهم

بيوتهم فظنوا النساء رجالا لأجل اللثام، فلم يقدموا عليهن. واتفق مجيء رجالهن، فأوقعوا بهم؛ فتبركوا باللثام وسنّوه؛ فسُمّوا الملثّمين ..."

نص ابن فضل الله العمري*

الباب الثالث عشر في مملكة بر العدوة (...)

"... وأما مراكش فهي متوسطة بين المحيط إلى الصحراء: إلى البحر أربعون[1] ميلا، ومثله إلى الصحراء؛ وهي كما قدمنا ثانية قواعد الملك.

حكى لي غير واحد عن سعة دورها وضخامة عمائرها، وما فيها من قصور بني عبد المؤمن وأولادهم وأجنادهم، حتى يقال: إنه إذا كان الرجل في صدر الدار ونادى رفيقه وهو في صدرها الآخر بأعلى صوته لا يكاد يسمعه لاتساعها.

قال ابن سعيد: ودَورها سبعة أميال. وهي بسيطةٌ يمتد فيها البصر. بناها أميرُ المسلمين يوسفُ بنُ تاشفين. وأولُ ما بنى بها القصر المعروف بقصر الحَجَر؛ ثم بنى الناسُ حولَه؛ ثم إن يوسف العشريَّ، وهو أبو يعقوبَ [يوسفُ] بنُ عبد المؤمن، كبَّرَها وفخَّمَها، ومصَّرَها وضخَّمها، وجلب إليها المياه والغراس.

ومنارة جامعها المعروف بالكُتبيّين[2] طولُها مائةٌ وعشرةُ أذرع[3]، من الحجر؛ وعلى باب جامعها ساعاتٌ ارتفاعُها في الهواء خمسون ذراعا، ينزل عند انقضاء كل ساعة صَنْجةٌ وزنُها مائةُ

---

* – ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، أشرف على تحقيق الموسوعة وحقق هذا السفر كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2010، 4/ 99–102؛ وابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق د. حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1423/ 2002، 4/ 196–202. وهذا النص – ما علمنا – هو أوسع النصوص القديمة وصفا لمراكش، ولاسيما للقصبة منها التي استحدثها بنو عبد المؤمن. فلأهميته ننقله بتمامه، مع تصحيح ما فات محققيه لأن أخطاء النشرتين مختلفة؛ ورجعنا أيضا إلى النص الذي نشره المرحوم الفقيه المنوني تحت عنوان: "وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني، مقتبس من مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري"، في مجلة "البحث العلمي"، السنة الأولى، العدد الأول، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1964، 131–153.

[1] – في المتن: "أربعين".

[2] – هو المعروف بجامع الكتبية. له قصة طريفة تجدها في مراكش من التأسيس إلى الحماية، وقد تقدم ذكره.

[3] – في **صبح الأعشى**، 5/ 157 (وسيأتي ذكره)، أن ذاك طول الجامع لا طول المنارة.

درهم، يتحركُ بنزولها أجراسٌ يُسْمَعُ وقعُها من بعيد، وتسمى عندهم المنجنة[1]؛ وهي الآن بَطَّالة لا تدور.

قال ابن سعيد: وحضرة [مراكش] مما سكنتُها وعرفتُها ظاهرا وباطنا، ولا أرى العبارة تفي بما تحتوي عليه؛ ويكفي أن كل قصر من قصورها مستقل بالديار والبساتين والحمام والإسطبلات والمياه وغيره ذلك، حتى يغلق الرئيسُ منهم بابَه على جميع خوَله وأقربه وما يحتاجُ [إليه]، ولا تخرج له امرأة إلى خارج داره، ولا يشتري شيئا من السوق لمأكل، ولا يقرئ أولاده في مكتب خارج، ويخرج هو من بيته راكبا لا تقعُ عليه العينُ راجلا. وفيها قصور عظيمة، وبها قصر الخلافة: بناه المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، وهو وسط المدينة [التي] اختطها خارج مراكش، خاصة به وبخواصه، وتُعرف بتامراكشت[2].

قال ابن سعيد: ولا أدري كيف أصل إلى غاية من الوصف أصف به ترتيب هذه المدينة المحدثة: فإنها من عجائب هِمّات السلاطين، ذات أسوار ضخمة وأبواب عالية. وبها قصر الخلافة، وبه ديار عظيمة، منها دارُ البلور، ودار الريحان، ودار المال؛ وكل دار منها لا تخلو من المياه والبساتين العجيبة، والمناظر المرتفعة المشرفة على بسائط مراكش.

ولها ثلاثة أبواب مختصة بها: باب البستان، وكان لا يراه إلا خواص بني عبد المؤمن، ويفضي إلى بستان يُعرف بالبحيرة[3]، طوله اثنا عشر ميلا، فيه العمائر الجليلة والمصانع العظيمة، والبركة التي لم يُعمل مثلُها قط؛ قال العقيلي: وطولها ثلاثمائة وثمانون باعا، على جانبها الواحد أربعمائة شجرة من النارنج، وبين كل اثنتين إما ليمونة وإما ريحانة. والباب الثاني باب القرّاقين[4]، وهو داخل في مدينة مراكش، يُنصرف[5] منه إلى ما يُحتاج إليه بالمدينة. والباب الثالث باب الرياض؛ وأمامه رحبة عظيمة تحمل طِراد الخيل، وكان بها أنواع من الوحوش في زمان بني عبد المؤمن؛ وبها قبة الخلافة، إلى جانب الباب: كان يخرج إليها خليفتهم بكرة كل نهار، وتكون بها الخدمة. وفي رحبة القصر دارُ الكرامة والأضياف (...). وفي هذه الرحبة المدرسة، وهي مكان

---

[1]- المنجنة: الساعة؛ عمي أصله فرسي. راجع مادة "منجنة" في Dozy, *Supplément aux dictionnaires arabes*, Leyde, E. J. Brill, 1881.

[2]- هي القصبة. راجع مراكش من التأسيس إلى الحماية، وقد تقدم ذكره.

[3]- كان إلى الجنوب من مراكش؛ شهد وقعة مشهورة كسر فيها المرابطون الموحدين. خبرها مفصل في الكتب المذكور قبل.

[4]- هم صنّاع الأقراق، جمع قُرْق، وهو الفلّين؛ كانت تُصنع منه النعال؛ ثم انحسر استعماله في الحمامات، إلى أن بطل بالمرة.

[5]- في النشرتين: "يتصرف".

جليل، به خزائن الكتب؛ وفيه كان خلفاء بني عبد المؤمن يجالسون العلماء. وفيها دار مخصوصة للوزارة المحلاّة بوزير الجند. وتفضي هذه الرحبة إلى باب السادة؛ وهو يفضي إلى خارج مراكش: كان مخصوصا ببني عبد المؤمن، إليه ينتهون على خيلهم، وعليه سلسلة منها ينزلون. وهناك مقابر أكابرهم وجنائز الأعيان، في نهاية حسن المباني والغراس. وفي الرحبة باب السقائف، وهو باب كبير يُخرج منه إلى سقائف أهل الجماعة، وهم ذرية العشرة أصحاب مهديّهم ابن تومرت، وسقائفِ أهل خمسين، وسقائف الطلبة، وهم أهل العلم والقراءة، وسقائفِ الحُفّاظ، وهم المتقدمون على الأعمال لحفظها، وسقائفِ أهل الدار، وهم غلمان الخلافة[1]. ثم يُخرج من هذه الرحبة إلى سقائف القبائل وأعيان الغُزّ والجموع؛ ثم يفضي إلى رحبة عظيمة فيها سقائف جنفيسة وجدميوة، والقبائلِ هسكورة وصنهاجة؛ وهؤلاء هم قبائل الموحدين. وبها موضع صاحب الشرطة. وبإزائها الجامع المبني في تامراكشت: على صحنه شبك من الصُّفْر الأندلسي، وهو في غاية الزخرفة والإتقان؛ ولا يبرح المنبر مستورا في بيت المقصورة؛ وهو والمقصورة مستوران إلى يوم الجمعة قُريبَ الصلاة، وتُرفع ستورها. والنهر الذي جلبه المنصور إليها يخترق قصوره، ثم يمر على السقائف والرحاب المقدمة الذكر، ثم يحدق بالجامع، ثم يمر بالجامع وبين الأسواق قدرَ ميل إلى أن يخرج على باب الصالحة، من أبواب مراكش. وفي هذه الرحبة المقدمة الذكر باب الكحل: كان منه دخول الموحدين؛ وأمامه فضاء عظيم يسع وقوفَ الخلائق وتصرفها[2]. وباب الرُّبّ: لا يَدخل هذا النوع إلا منه لاحتمال أن يَدخل المدينةَ خمرٌ. وبها الصهريج الكبير؛ والصهريج في لغة أهل المغرب البِركة؛ وهي بركة عظيمة، عليها سور وباب، يصب فيها النهر الثاني الداخل إلى مراكش، وفيها يوزّع بقياس معلوم على قصور الناس؛ ثم ينحدر بقية الماء في نهر يشق المدينة من جهة أخرى في وسط الأسواق وما بعد؛ وفيها برك تصب فيها المياه. وفي هذه الرحبة باب الشريعة، أمام مصلى العيدين، وبينهما فسيح عظيم به سوق الخيل؛ وللسلطان به قصر مطلّ عليه. ويليه باب نفيس[3]: يُخرج منه إلى بلد نفيس المفضّلة بالمياه والأعناب؛ وقدّامه بركة أقنا: يتعلم فيها الصبيان العوم. ويليه باب مخزن السلطان: كان به وإلى جانبه قصر سعيد، وقصر أَمة العزيز، وقصر ابن جامع؛ ولا يُعلم كم غُرم على كل واحد منها، حتى قال ابن سعيد في "المغرب" عن قصر ابن جامع: وهو أحد وزراء بني عبد المؤمن، وإنه

---

[1] – تفصيل طبقات الموحدين في كتاب الأنساب للبيذق والمعجب للمراكشي ونظم الجمان لابن القطان...

[2] – في طبعة 2002: "وصرفها"، وبهامشه: "في الأصل: وتصرفها"؛ ولا نرى لتلك القراءة وجها.

[3] – في طبعة 2010: "تفليس" (في الموضعين).

كان في داره ساحة يلعب فيها خمسمائة جارية على خيل الخشب وتتطاعن. ويلي ذلك باب مسوفة: يفضي إلى المقابر؛ وباب دكالة، وهو مفضٍ إلى المتنزهات. ويليه باب الرخاء، ويليه باب تاغزوت[1]، ويليه باب فاس[2]: وهو مفضٍ إلى فضاء يفضي إلى نهر كبير[3] لا يُخاض إلا في زمان الصيف، وعليه بساتين جليلة ومتنزهات. ويليه باب الدباغين، ويليه باب ينتان[4]، ويليه باب أيلان، ويليه باب أغمات، وأمامه منازل المجذومين[5]، لا يمازجون الحضرة؛ ويليه باب الصالحة، وخارجه مقابر وبساتين.

ولمراكش بَوادٍ فسيحة؛ وما اختار ابن تاشفين بقعتها إلا لمراعي إبله حولها؛ وبها كثير من أرباب العمائر ...".

نص الصفدي*

صاحب مرّاكش يوسف بن تاشفين

(بالتاء ثالثة الحروف وألف ثم شين معجمة وفاء وياء آخر الحروف ونون)

"... السلطان أبو يعقوب اللمتوني المغربي البربري، الملقَّب بأمير المسلمين وبأمير الملثمين وبأمير المرابطين، والأولُ هو الذي استقر. كان أحدَ ملوك البلاد، دانت بطاعته العباد؛ واتسعت ممالكه وطال عمره، وقلّ أن عُمِّرَ أحدٌ من ملوك المسلمين والإسلام كما عُمّر؛ وهو الذي بنى مدينة مراكش؛ وهو الذي أخذ الأندلس من المعتمد بن عبَّاد، وواقعته معه مشهورة؛ وهو أول من تسمى بأمير المسلمين. وكان يحب العفو والصفح؛ وفيه عدل وخير. وكان معتدل القامة نحيفا، خفيف العارضين، دقيق الصوت، حازما سائسا؛ يخطب لبني العباس.

---

[1] - في طبعة 2002: "تاغورت"؛ وفي طبعة 2010: "باغورت".

[2] - هو المسمى اليوم باب الخميس.

[3] - هو وادي إسيل؛ ولا تنذر حاله اليوم بما كان عليه بالأمس.

[4] - في طبعة 2002: "سان"؛ وفي طبعة 2010: "بيسان". راجع خبر ذلك الباب في مراكش من التأسيس إلى الحماية.

[5] - كنت حارة الجذم (ويقال في مراكش: الجذمى) جنوبيّ المدينة؛ ثم تحولت فيما بعد إلى جهة الغرب، بظاهر باب دكالة؛ وهي المعروفة إلى اليوم باسم الحارة، وإن لم يعد فيها اليوم جذم.

* - الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج 29، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، 2000، صص 73- 77-78.

كان برّ المغاربة الجنوبي لقبيلة تسمى زناتة؛ برابر. فخرج عليهم من جنوب المغرب، من البلاد المتاخمة لبلاد السودان، الملثمون، يَقْدَمهم أبو بكر بن عمر منهم، وكان رجلا ساذجا خيّرَ الطباع، مؤثرا لبلاده على بلاد المغرب، غيرَ ميَّال إلى الرفاهية. وكان ولاةُ المغرب من زناتة ضعفاء، لم يقاوموا الملثمين؛ فأخذوا البلاد من أيديهم من باب تلمسان إلى ساحل البحر المحيط. فلما حصلت البلاد لأبي بكر بن عمر المذكور سمع أن عجوزا في بلاد ذهبت لها ناقة في غارة، فبكت وقالت: لقد ضيعنا أبو بكر بن عمر بدخوله إلى بلاد المغرب. فحمله ذلك على أن استخلف يوسف بن تاشفين هذا، ورجع إلى بلاده الجنوبية؛ فاستمر هناك، وساس الناس سياسةً حسنة، واختطّ مراكش في سنة خمس وستين وأربعمائة، وكان موضعها مكمنا للصوص. ومراكش بلغة المصامدة: "امش مسرعا أو خوفا من اللصوص". وكان ملّكا لعجوز مصمودية ...".

نص القلقشندي*

القاعدة الثالثة – مدينة مراكش:

(بفتح الميم وتشديد الراء المهملة وفتحها وألف ساكنة ثم كاف ثم شين معجمة).

"... وهي مدينة واقعة في أول الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة، قال ابن سعيد: حيث الطولُ إحدى عشرةَ درجةً، والعرض تسع وعشرون درجةً. بناها أمير المسلمين يوسفُ بن تاشفين، مَلِكُ المُرابِطين، في أرض صَحْراوِيَّة، وجلَب إليها المياه.

قال ابن سعيد: وأول ما بُنيَ بها القصرُ المعروف بقصر الحَجَر؛ ثم بنى الناسُ حوله؛ ثم زادها يعقوبُ بن عبد المؤمن، وكَبَّرها ومَصَّرها، وفَخَّمها وضَخَّمها، وجلب إليها المياهَ والغِراس.

قال في "تقويم البُلْدان": ودَوْرها سبعةُ أميال، ولها سبعةَ عَشَرَ بابا.

قال في "الروض المِعْطار": وبنى سُورَها عليُّ بن يوسف بن تاشفين في سنة ستٍّ وعشرين وخمسمائة، وقيل سنةَ أربعَ عشرةَ وخمسمائة.

*– القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، القاهرة، 1915، ص 161.

قال: وطولها مائة وعشرون ميلاً، وعرضها قريبٌ من ذلك؛ وهي في وطءة من الأرض ليس حَوْلَها جبال إلا جبل صغير منه قُطِع الحجر الذي بَنىٰ منه علِيُّ بن يوسف بن تاشفين قَصْرَه، وعامَّةُ بنائها بالطين والطوب.

قال ابن سعيد: وهي مما سَكَنْتُ بها وعرفتها ظاهراً وباطناً، ولا أرىٰ عبارة تَفِي بما تحتوي عليه؛ ويكفي أن كلَّ قصر من قُصُورها مستقلٌّ بالديار والبساتينِ والحَمّام والإصْطَبْلات والميه وغير ذلك، حتّىٰ إن الرئيس منهم يُغْلِق بابَهُ علىٰ جميع خَوَلِهِ وأقاربه وما يحتاجُ إليه، ولا يَخْرُج من بابه إلىٰ خارج داره لحاجة يحتاجها، ولا يشتري شيئا من السوق لمَأْكَل، ولا يُقْرِئُ أولاده في مَكْتَب، ويخرج من بابه راكبا فلا تَقَع عليه العين راجلا.

قال: ولا أدري كيف أصِلُ إلىٰ غاية من الوصف أصفُ بها ترتيبَ هذه المدينة المُحْدَثة؛ فإنها من عجائب هِمَّات السلاطين، ذاتُ أسوار ضَخْمة وأبواب عالية. وبظاهرها مدينة اختطها المنصور يعقوبُ [بن يوسف] بن عبد المؤمن له ولخَواصِّه، تعرف بتامراكش، وبها قصر الخلافة الذي بناه، به دورٌ عظيمة؛ وبها بستانٌ يعرف بالبحيرة، طوله اثنا عَشَرَ ميلا، به بركة عظيمة لم يُعْمَلْ مثلُها. قال العقيليّ: طولها ثلاثمائة وثمانون باعا، علىٰ جانبها الواحد أربعمائة شجرة نارَنْج، بين كل اثنتين منه لَيْمونة أو رَيْحانة. وهي أكثر بلاد الغرب بساتينَ، وشجرها أكثرُ منها، وبساتينُها تسقىٰ بالبئر وبئاره قريبة الرشاء، علىٰ نحو قامتين من وجه الأرض. وهي كثيرة الزرع والضرع، وبها دارُ الضيافة المعروفةُ بدار الكرامة. وفيها يقول محمد بن محمد البربريّ، من أبيات يمدحهم ويصفها:

خَيْرُ قَومٍ دُعُوا إلىٰ خيرِ دارٍ ... هي للمُلْكِ نَضْرةٌ وكِمامه

عَالَمُ السَّبْعةِ الأقاليمِ فيها ... وهم في فِنائها كالقُلامَه

وبمراكش جامع جليلٌ يعرف بالكتبيين، طوله مائةٌ وعشرة أذرع، وعلىٰ بابه ساعاتٌ مرتفعة في الهواء خمسين ذراعا، كان يرمىٰ فيها عند انقضاء كل ساعة صَنْجةٌ زِنَتُها مائة درهم، تتحرك لنزولها أجراسٌ تسمع علىٰ بعد، تسمىٰ عندهم بالمنجانة[1].

قال في "تقويم البُلْدان": إلا أنَّ الناس أكثَرُوا فيها البساتين فَكَثُرَ وَخَمُها.

قال في "الروض المِعْطار": وقد هجاها أبو القاسم بنُ أبي عبد الله محمد بن أيوب بن نُوحِ الغافقي، من أهل بلنسية، بأبيات أبلغ في ذمها، فقال:

---

[1]- في الأصل: "بلبحنة"؛ والصواب ما أثبتناه، نقلا عن ابن فضل الله العمري، وقد تقدم في هذا المجموع.

مَــــرَّاكُشُ إن ســـــأَلْتَ عنهـــــا فإنَّهـــــا في الـــــبِلَادِ عَــــــارُ!
هَوَاؤُهـــــا في الشَّـــــتاء ثَلْـــــجٌ وحَرُّهـــــا في المَصـــــيف نـــــارُ!
وكــــلُّ مــــا ثَــــمَّ وهــــو خَــــيْرٌ مــــن أهلهـــــا عَقْــــرَبٌ وفَــــارُ!
فَــــإنْ أكُــــنْ قــــد مَكَثْــــتُ فيهــــا فــــإنَّ مُكْثِــــي بِهَــــا اضْــــطِرارُ!

وكانتْ هذه المدينةُ دارَ مُلْك المرابِطين من الملَثَّمِين الذين ملكوا بعد بني زيري، ثم الموحدين من بعدهم.

قال ابن سعيد: وبينها وبينَ فاس عشرةُ أيام؛ وقال في "الروض المعطار": نحوُ ثمانية أيام. قال: وبينها وبين جبال دَرَن نحوُ عشرين ميلا...".

نص المقريزي*

بناء مراكش

"... ثم كثرت طائفة المرابطين، وساروا لقتال الفرنج؛ فقُتل عبد الله بن ياسين، وذلك في عشر الستين وأربعمائة. ثم جمع أبو بكر بن عمر قبائل السوس حتى أخذ مدينة سجلماسة؛ وولى عليها يوسف بن تاشفين، من بني عمه، وعهد إليه من بعده. فلمّا مات أبو بكر خلَفه يوسف بن تاشفين، ودعي بأمير المسلمين. فافتتح بلاد المغرب شرقاً وغرباً بأيسر سعي، وبنى مدينة مرّاكش ...".

*- تقي الدين المقريزي، المقفى الكبير، ج 3، تحقيق محمد اليعلاوي، بيروت، 1991، ص 115.

نص ابن إياس*

"... وأما مراكش فإنها مدينة كبيرة من مدن الغرب الأقصى؛ بناه يوسف بن تاشفين؛ وهي ميل في ميل؛ وبها شوارع واسعة، وقصور عالية، وأسواق كثيرة. وهي دار مملكة لمتونة. وكان به جامع عظيم إلا أنه الآن معطل. وشرب أهلها من الآبار...

مراكش

"... وهي مدينة عظيمة من مدن بلاد المغرب. وكانت دار مملكة عبد المؤمن. وبينه وبين المحيط عشرة أميال. وهي وسط بلاد البربر. وكانت كثيرة الحيات والثعابين. ويشق في وسطه خليجان. وعليها البساتين اليانعة بالفواكه والثمار؛ وبها بستان عبد المؤمن الذي طوله ثلاث فراسخ. وإليها ينتسب عبد الواحد المراكشي، من علماء بغداد. وهي من المدائن المشهورة ...".

نص ابن سيباهي زاده*

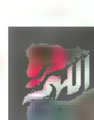
مَرّاكُش: (بفتح الميم وتشديد الراء المهملة وفتحها وألف ساكنة ثم كاف مضمومة وشين معجمة)

"... بلدة من [الإقليم] الثالث من المغرب الأقصى، وهي محدثة، بناها يوسف بن تاشفين في أرض صحراوية؛ وجلب إليها المياه؛ وأكثر الناس فيها البساتين؛ فكثر وخمها، ولا يكد الغريب يسلم فيها من الحمى (...). ودَور مراكش سبعة أميال؛ ولها سبعة عشر باب. وحرها شديد؛ وهي في شمالي أغمات، بميلة يسيرة إلى الغرب، وبينهما نحو خمسة عشر ميلا (...). في "المراصد": ومعنى مراكش: أسرع؛ لأنها كانت في موضع مخافة ...".

---

* - محمد ابن إيس، **نشق الأزهار في عجائب الأقطار**، مخطوط وقعت عليه في الشبكة. وقد ورد فيه ذكر مراكش في موضعين: ضمن مدن المغرب وضمن مدن الأندلس. وقد نشر النص الأول مع ترجمة فرنسية في L. Langlès, « L'Odeur des fleurs dans les Merveilles de l'Univers », *Notices et extraits des manuscrits de la Bibliothèque Nationale et autres bibliothèques*, tome huitième, Paris, 1810, p. 8. أم النص الثني ففيه خبر نفيس جدا، هو ذكر عبد الواحد بن علي المراكشي، صحب "المعجب في تلخيص أخبر المغرب"، وأنه "من علماء بغداد". والحشيتن التليتن للمترجم.

* - ابن سِبهي زاده، **أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك**، تحقيق المهدي عيد الرواضية، بيروت، 2006، ص 583.



نص القرماني*

مراكش

"... مدينة من أعظم مدن بلاد الغرب، بناها يوسف بن تاشفين. طولها ميل في ميل؛ وشرب أهلها من البئر. واليوم هي سرير ملك بني عبد المؤمن. وبها البساتين والكرمة كثيرة؛ ومقدار أرضها أربعون ميلا ...".

نص ابن العماد*

"... سنة خمسمائة (...)

وفيها [تُوفّي] يوسف بن تاشفين أبو يعقوب، أمير المسلمين وملك الملثمين. وهو الذي اختطّ مدينة مُرَّاكش؛ وكان عظيم الشأن، كبير السلطان، معتدل القامة، أسمر اللون، نحيف الجسم، خفيف العارضين، دقيق الصوت. وكان يخطب لبني العباس؛ وهو أول من تسمى بأمير المسلمين. ولم يزل على حاله وعزة سلطانه إلى أن توفي يوم الاثنين ثالث محرم هذه السنة، وعاش تسعين سنة، ملك منها خمسين سنة. (...)

وقال ابن الأهدل: يوسف بن تاشفين أبو يعقوب البَرْبَري الملثم. كان أعظم ملوك الدُّنيا في عصره؛ وكان عديم الرفاهية. تملّك الأندلس، واختطّ مُرَّاكش، وجعلها دار الإمارة. وفي آخر أيامه بعث إليه الخليفة من بغداد الخِلَعَ والتقليد واللّواء، فأُقيمت الخطبة العباسية بمملكته، وكان أولاً مُقدَّم أبي بكر بن عمر الصنهاجي، وكان الصنهاجي مُقَدَّمَ المُلثمين من ملوك حِمْيَر المغرب. واختُلف لِمَ سُمّوا بذلك. وفيهم يقول الشاعر[1]:

---

* - القرماني، أخبار الدول وآثار الأول، ج 3، تحقيق د. أحمد حطيط ود. فهمي سعد، بيروت، 1992، ص 479. ومع أن المؤلف من أهل القرن الحادي عشر (السابع عشر) فما زال يروج في كتبه أن مراكش يملكها بنو عبد المؤمن (الموحدون)، وقد انقضت دولتهم منذ دهر سحيق.

* - ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج 5، أشرف على تحقيقه وأخرج أحاديثه عبد القادر الأرنؤوط، وحققه وعلق عليه محمد الأرناؤوط، دمشق، بيروت، 1989، ص 427.

[1] - راجع ما تقدم في التعليق على النص 2 المأخوذ عن ابن الأثير.

قومٌ لهم دَرْكُ العُلا في حِميرٍ ... وإن انتموا صنهاجة فهُمُ هُمُ

لمّا علَوا أحْرار كُل قبيلةٍ ... غلب الحياءُ عليْهِمْ فتلثموا

...".

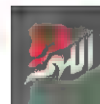
نص محمود مقديش*

"... وعلى اثني عشر ميلاً من أغمات مدينة استجَدَّها يوسف بن تاشفين في صدر سنة سبعين وأربعمائة، بعد أن اشترى أرضها من أهل أغمات بجملة أموال، وهي مرَّاكش، اختطّها له ولبني عمّه. وهي في وطيء من الأرض، ليس حولها شيء من الجبال إلاّ جبل صغير يسمّى ايجليز، ومنه قطع الحجر الذي بني منه قصر أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، وهو المعروف بدار الحجر. وليس في مدينة مَرّاكش حجر البتَّة، إلاّ ما كان من هذا الجبل؛ وإنما بناؤها من الطُّوب والطين والطّوابي المقامة من التُّراب. وماؤها الذي تسقى به البستين مستخرج بصنعة هندسية حسنة من استخراج عُبَيْد الله بن يونس المهندس، وذلك أن ماؤهم ليس ببعيد الغور، يوجد إذا احتفر قريب من وجه الأرض؛ فجاء عبيد الله المذكور إلى مرّاكش في أول بنائها، وليس بها إلا بستان واحد لأبي الفضل، مولى أمير المسلمين المقدم الذكر. فقصد إلى أعلى الأرض ممَّا يلي البستان؛ فاحتفر فيه بئرا مربّعة كبيرة التربيع، ثم احتفر منها ساقية متّصلة الحفر على وجه الأرض؛ وهو يحفر بتدريج من أرفع إلى أخفض، متدرج إلى أسفله بميزان، إلى أن وصل الماء إلى البستان وهو ينسكب مع وجه الأرض يصبُّ فيه، فهو دائم مع الأيام لا يفتر؛ وإذا نظر النَّاظر إلى سطح الأرض لم يَرَ بها كبير ارتفاع يوجب خروج الماء من قعرها إلى وجهها، وإنما يدرك ذلك من علم وزن الأرض. فستحسن ذلك أمير المسلمين من فعل المهندس المذكور، وأحسن إليه بأموال وأثواب، وأكرم مثواه مدة مُقَامه عنده. فلما نظر الناس ذلك استخرجوا مياهها، وأنشأوا البستين الكثيرة والجنّات، واتصلت بذلك عمارات مراكش وحسُن منظرها.

* محمود مقديش، نزهة النظار في عجائب التواريخ والأخبار، ج 1، تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ، بيروت، 1988، صص 60-61.

ومدينة مَرَّاكش في وقت بنائها من أكبر مُدُنِ المغرب الأقصى، وكانت دار مُلْكِ لمتونة ومدار ملكهم؛ وبها عدة قصور لكثير من الأمراء والقوّاد وخُدَّام الدَّولة. وأزقّتها واسعة، ورحابها فسيحة، ومبانيها سامية، وأسواقها محتفلة جدا، وسلعها نافقة. وبنى جامعَها يوسفُ بانيها وأميرها. فلما تغلبت عليها المصَامِيد وتملَّكوها، حسبمَا يأْتي إن شاء الله تعالى، تركوا ذلك المسجد عَطِلاً مغلق الأبواب، ولا يقيمون فيه صلاة؛ وبنوا لأنفسهم مسجداً جامعاً يُصَلُّون فيه. وشرب أهل مراكش من الآبار؛ ومياهها كلها عذبة، وآبارها قريبة مَعينة. وكان علي بن يوسف قد جلب إليها عينا بينها وبين المدينة عدة أميال؛ ولم يستتم ذلك فأتمَّه المصامدة، فأدخلوا الماء إلى المدينة، وجعلوا منه سقايات بقرب دار الحجر، وهي الحظيرة التي فيها القصر منفردا متحيّزا بذاته خارجا عن المدينة ...".

نصوص تاريخية أوربية
حول تأسيس وتسمية
مدينة مراكش



لَا غَالِبَ إِلَّا ٱللّٰه

نصوص تاريخية مترجمة حول تأسيس
وتسمية مدينة مراكش

ترجمها: ذ. سمير أيت أومغار

اهتم العديد من الأوربيين سواء كانوا تجارا أو رحالة أو ديبلوماسيين أو مؤرخين أو معماريين بقضية تأسيس مدينة مراكش وأصل تسميتها بهذا الاسم، لكن كل واحد من هؤلاء قارب الموضوع بطريقة مخالفة للآخر وبمناهج تتفاوت من حيث الدقة والصرامة، فإذا كان المؤرخان الفرنسيان غاستون دوفردان وإيفارست ليفي بروفنسال بالدرجة أولى، والمؤرخان بيير دوسينيفال وكونتان فيلبو بدرجة ثانية قد اخضعوا النصوص التاريخية الوسيطية للقراءة النقدية، فإن العديد ممن تصدى لموضوع التأسيس اكتفى باعتماد تواريخ لا تصمد كثيرا بعد المقارنة والنقد التاريخيين، وهذا حال جول إيركمان وموريس دوبرينيي والزوج مرث وإدموند غوفيون وبيير شومبيون... بل إن البعض من هذه الكتابات أشهر تحمله على المرابطين وعلى الأمير يوسف بن تاشفين، واصفين إياهم أحيانا بالجراد واللصوص، وهو حكم قيمة نبع من نفور بعض المستشرقين من المرابطين، وانطلاقهم في كتاباتهم حولهم من مواقف بعض الشعراء المعاصرين للمرابطين، الذين ضاقوا بسلوك الفقهاء أو لم يجدوا عند المرابطين ما كانوا يجدونه لدى أمراء الطوائف، كالأعمى التّطيلي وأبي بكر يحي بن سهل اليكي وابن اللّبنة وابن حمديس وغيرهما من شعراء المعتمد بن عباد، كما تأثر هؤلاء المستشرقون بمواقف موحدية معادية للمرابطين، وبمواقف الكُتاب الذين حرَّرُوا رسائل في فضل الأندلس كالشَّقُندي[1].

1- الجراري عباس، "قضايا مرابطية في منظور بعض المستشرقين"، ضمن أعمال ندوة المغرب في الدراسات الاستشراقية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة الندوات، الرباط، 1995. ص 95.

وهو حكم قيمة نابع من نفور بعض المستشرقين من المرابطين، وانطلاقهم في كتاباتهم حولهم من مواقف بعض الشعراء المعاصرين للمرابطين، الذين ضاقوا بسلوك الفقهاء أو لم يجدوا عند المرابطين ما كانوا يجدونه لدى أمراء الطوائف، كالأعمى التّطيلي وأبي بكر يحي بن سهل اليكي وابن اللّبانة وابن حمديس وغيرهما من شعراء المعتمد بن عباد، كما تأثر هؤلاء المستشرقون بمواقف موحدية معادية للمرابطين، وبمواقف الكُتاب الذين حرَّرُوا رسائل في فضل الأندلس كالشَّقُندي[1].

يضاف إلى هذا، حديث بعض الكتابات الأوربية عن موقع روماني يسمى Bocanum Emerum ربما وُجد في الموضع نفسه الذي أقيمت فوقه مدينة مراكش في العصر الوسيط. لكن ذلك لا يصمد أمام نتائج الحفريات الأثرية التي أثبتت غياب أي أثر للوجود الروماني جنوب الخط الافتراضي الرابط بين سلا ووليلي، لأن المجال الواقع جنوب هذا الحد الجنوبي ظل دائما خارج السيطرة الرومانية، وهو ما ينفي إمكانية وجود مستوطنة أو موقع روماني بموضع مراكش.

إلى جانب ما سبق، نجد العديد من الكتاب الأوربيين يرددون دون أي تحفظ الرواية الشائعة والمتداولة حول أصل تسمية مراكش، فالاسم في نظرهم يحيل من جهة على مكان غير آمن التجأ إليه اللصوص باكرا لنهب القوافل التجارية العابرة للمجال، ومن جهة أخرى على بئر وُجدت وسط المدينة ربما كانت الحافز للاستقرار بالموضع زمن حكم المرابطين.

نص جورج هوست*

"ربما أقيمت مراكش أو كما كانت تسمى من قبل مارتُكس Martox، فوق Bocanum Hemerum، وتسمى مراكش بالاسبانية مرويكوس Marruecos، وهي عاصمة البلاد ومقر إقامة الملك".

---

[1] - الجراري عبس، "قضايا مرابطية في منظور بعض المستشرقين"، ضمن أعمال ندوة المغرب في الدراسات الاستشراقية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة الندوات، الرباط، 1995. ص 95.

* - Høst, G., ***Relations sur les Royaumes de Marrakech et Fès recueillies dans ces pays de 1760 à 1768***, Traduction Frédéric Damgaard et Pierre Gailhanou, Rabat, Editions la Porte, 2002, p 25.

نص بول لامبير*

"يعود تأسيس مدينة مراكش للقرن الحادي عشر الميلادي الموافق للقرن الخامس الهجري. أما الأرض التي أقيمت فوقها المدينة والحدائق المحيطة بها فكانت في السابق مرعىٰ لرعاة أغمات، وهي مدينة قديمة كانت قائمة خلال فترة الاحتلال الروماني، لازالت آثارها مائلة للعيان علىٰ بعد مسيرة يوم من مراكش.

أما بالنسبة لأصل تسمية مراكش بهذا الإسم، فلا نجد لذلك صدىٰ لدىٰ المؤرخين المغاربة، هذا ويعتقد البعض أن المدينة أخذت إسم بئر توجد وسط المدينة أمست جافة اليوم. كيفما كان الحال، فسيدي يوسف بن تاشفين كان أول من سكن هذا الموضع سنة 454 هـ، وأقام به مسجدا وقصبة (حصن) لحفظ أمواله، فقامت حاشيته والكثير من ساكنة أغمات فيما بعد، بغية التقرب منه، ببناء مساكن حول القصبة. وإثر وفاته، أحاطها ابنه علي بسور نظرا للأهمية التي باتت تكتسيها المدينة الجديدة."

نص جول إيركمان*

"تأسست مدينة مراكش سنة 1070م علىٰ يد المرابطي يوسف بن تاشفين، في سهل فسيح، تحده شمالا سلسلة الجبيلات، وجنوبا الأطلس، وشرقا دير السلسلة الجبلية الكبيرة، أما غربا فالسهل يمتد إلىٰ حدود البحر دون أن يعيقه أي حاجز.

تبدو مراكش انطلاقا من سلسلة الجبيلات، كغابة جميلة من النخيل، تبرز وسطها مئذنة المسجد الكبير المسمىٰ الكتبية، وهي محاطة بسور شبيه بسور مدينة فاس، فتحت به ثمانية أبواب رئيسة."

---

*- Lambert, P., ***Notice sur la ville de Maroc***, *in* Bulletin de la Societe de Geographie de Paris, N°107, novembre-décembre, 1868, p 430.

*- Erckmann, J., ***Le Maroc moderne***, Paris, Challamel Ainé, éditeur, 1885, pp 35-36.

نص موريس دوبريني*

"تأسست مراكش في بدايات سنة 454 هجرية، الموافق لسنة 1062 ميلادية، على يد يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين، البرابرة الصنهاجيين ذوي الوجوه الملثمة، القادمين من الصحراء المترامية الأطراف.

فبعد انتصار هذا الأمير على أهم قبائل الجنوب المغربي، إهتم بإيجاد موضع ملائم تستقر به أسرته وقبيلته وجيشه، فاشترى من المصامدة جزءا من الأرض التي كانوا مستقرين بها ومستغلين إياها في الزراعة، وكان لهذا الموضع الذي اختاره يوسف صيت سيء، حيث كان الخوف من اللصوص يدفع بالعابرين له إلى الإسراع في خطواتهم: مُرَّ كِشن morra kichen مُرَّ مسرعا. فأقام بهذا الموضع خيمة، ثم أسس مسجدا اشتغل في بنائه مع البنائين، وقصبة صغيرة لخزن أسلحته وثرواته".

نص مجهول المؤلف*

"بوصول المرابطين للحكم، وقعت الحاجة إلى عاصمة جديدة وسط القبائل التي ساهمت في انتصار المرابطين والحفاظ على نفوذهم وحظوتهم. لهذا قام يوسف بن تاشفين اللمتوني (مؤسس الدولة المرابطية) الذي نجح في غزو أهم قبائل الجنوب، بتأسيس مدينة مراكش حوالي سنة 1062م. وقد أقامها، حسب بعض الإخباريين، قرب موضع المستوطنة الرومانية القديمة "بوكانوم هيميروم" لكنه يبقى مجرد ادعاء في ظل غياب الوثائق التاريخية والاكتشافات الأثرية".

---

*- De Périgny, M., ***Au Maroc: Marrakech et les ports du Sud***, Paris, Pierre Roger et Cie, éditeur, 1918, pp 8-9.

*- ***Marrakech et l'Atlas,*** Guide illustré publié par le Syndicat d'Initiative et de Tourisme, Marrakech, Imprimerie de l'Atlas, 1928. (Sans pagination).

نص مارث وإدموند غوفيون*

"بتنازل أبي بكر بن عمر تلاكاكين سنة 454 م عن السلطة، يبدأ الحكم الفعلي ليوسف بن تاشفين على المرابطين. وقد كان أول شيء أقدم على فعله، تأسيس عصمة تمنح كل الامتيازات الأمنية، أي القرب من المغرب والصحراء. وللقيام بذلك، وقع اختياره على سهل فسيح وخصب يمتد شمال دير الأطلس الكبير، قرب نهر تانسيفت، وعلى مسافة ليست بالبعيدة من المحيط. فاشترى إذاك من المصامدة الموضع اللازم لبناء حصن، و الذي أقام من حوله عدة منشآت كالمسجد والقصر لخزن الأموال والأسلحة. ومع ذلك فهذه المدينة التي حملت اسم مراكش، لم تتطور إلا زمن حكم علي بن يوسف، وأُحيطت فيما بعد بسور حصين".

نص بيير دوسنفال*

"لم تصل السيطرة الرومانية أبدا لجهة مراكش، وفي غياب أي احتمال لوقوع ذلك، قام بعض الكتاب على شاكلة المؤرخ الاسباني مارمول بالبحث في أغمات ومراكش عن موضع Bocanum Emerum (ذكرها بطليموس) إحدى مدن ولاية موريطانيا الطنجية التي لازال موقعها مجهولا. في المقابل يتفق المؤرخون القدامى على كون الموضع الذي اختاره المرابطون لبناء مراكش، كان سهلا أجردا، مليئا بالمستنقعات والنباتات الشوكية.

أما إسم مراكش فلا يوفر لنا أي معلومة حول أصل المدينة، فربما كان الموضع حاملا لهذا الاسم من قبل. أما بالنسبة لمحاولات تفسير الاسم المقدمة من طرف المؤلفين العرب فهي جامحة الخيال.

يبدو أن المرابطين خرجوا من سوس سنة 449 هـ/ 8-1057م ليتجهوا بعد ذلك صوب شمال الأطلس ويحتلوا أغمات أوريكة، التي استقروا بها في البداية. لكن بعد حملة 452 هـ/ 1060م،

---

* - Marthe et Edmond, G., ***Kitab Aâyane al-Marhrib 'l-Akça***, Paris, Librairie orientaliste Paul Geuthner, 1939, p 113.

*- De Cenival, P., "***Marrakush***", *in* Encyclopédie de l'Islam, nouvelle édition, Leiden, E.J. Brill – Paris, G.-P. Maisonneuve et Larose S.A., 1991, tome VI, p 576.

التي احتلوا خلالها جهة فزاز ومكناس ولواتة قرب فاس، أراد المرابطون الاستقرار بشكل أكثر صلابة وأكثر استقلالية عبر إنشاء معسكر، يكون بمثابة القاعدة لانطلاق الحملات الموالية، وللتحكم في مصامدة الجبل والربط بين الجنوب أصل المرابطين من جهة ومملكة فاس من جهة أخرى. فاشترى يوسف بن تاشفين من أحد الملاّكين أرضا وُجدت عند حدود قبيلتين مصموديتين هما هيلانة وهزميرة، وأقام بتلك الأرض معسكرا، لكنه لم يكن يفكر في تأسيس عاصمة كبيرة، لأن هذا الصحراوي لم يحس آنذاك بالحاجة لفعل ذلك. فأقام في البداية خيمة، أنشأ بالقرب منها مسجدا للصلاة وقصبة صغيرة لحفظ الأموال والأسلحة، لكنه لم يجعل لذلك سورا. وبالقرب من المعسكر المرابطي، أقام المصامدة منازل أحاطوها بأسيجة من أغصان الأشجار".

نص كونتان فيلبو*

"كانت أغمات مدينة صغيرة يقطنها التجار والبورجوازيون المحميون بالدير. يجب أن نتخيل هنا دخول المرابطين لهذه المدينة المزدهرة، والتي كان سكانها مشهورين بثرواتهم الهائلة. لقد أراد أبو بكر تثبيت سلطة المرابطين بالمنطقة قبل مواصلة غزواته. لكن أغمات كانت مدينة غير مناسبة وضيقة، بسبب توافد السكان المنجذبين للسلطة المتنامية للمرابطين. لهذا لم تناسب أغمات المشاريع السياسية لأبي بكر.

كان أبو بكر في حاجة لمجال يستقر به رفقة قبيلته، لذا قرر نقل معسكره من أغمات، وسيسمح تأسيس مدينة جديدة هنا بتأكيد قوة عشيرته اللمتونية. أختير موضع بناء مراكش في يوم من أيام سنة 1069م، وقد كان عبارة عن سهل، تم انتقاؤه لتفادي الهجمات المباغتة، وللتحكم في مختلف القبائل المصمودية المقيمة بالجبل. لكن قبيلتي هيلانة وهزميرة تنازعتا حول الموضع الذي يكون فيه بناء المدينة، وطلبت كل واحدة أن يكون بناء المدينة في بلادها ليُنسب بنؤها إليها، إثر هذا التعارض في المواقف والآراء، ارتأى الأمير اختيار موضع التأسيس بين بلاد هيلانة وبين بلاد هزميرة، واعترض على الرأي الداعي لتأسيس المدينة على نهر تانسيفت لكونه جافا لا أنيس به إلا الغزلان والنعام.

* - Wilbaux, Q., *La Médina de Marrakech: formation des espaces urbains d'une capitale du Maroc*, Paris, l'Harmattan, 2001, pp 211-212.

إلى حدود هذه الفترة، كانت المدن الصغيرة تقام عند منافذ أودية الأطلس، فأغمات ونفيس كانتا تتحكمان في الأودية القريبة منها.

كانت مراكش عبارة عن معسكر للجنود الرُّحل، لكن سرعان ما زُودت بحصن كبير به ما يكفي لضمان الانسحاب في حالة هجوم القبائل المصمودية الكثيرة العدد، ولحماية غنائم الحرب التي باتت تتزايد. وبالإمكان اعتبار بناء قصر الحجر، أحد الأبنية الأولى المشيدة بالحجر، لحظة التأسيس الفعلية للمدينة الجديدة. لقد أعطى أبو بكر في الثالث والعشرين من رجب سنة 463 هـ (8 ماي 1070م) الأمر للبدء في بناء أفران الجير اللازمة لبناء قصر الحجر".

نص بيير شمبيون *

"قدِم المرابطون من الصحراء قدوم الجراد. لقد كان هؤلاء رُحّلا ملثمين يقتصر غذاؤهم على اللحم واللبن دون الخبز، ولا يمارسون الزراعة. ناشرون للإسلام، متشبثون بتعاليم الجهاد، لذا قاموا بغزو أهل السودان واجتاحوا درعة والسوس وتادلا، وحاربوا البربر المهرطقين، ورويدا رويدا، وصل هؤلاء اللصوص المتعصبون إلى الأندلس.

ولد غازي الأندلس يوسف بن تاشفين في الصحراء، في بداية القرن 11م، وقد كان أول حاكم للمغرب تلقّب بلقب أمير المؤمنين، لكنه كان وليا صالحا أكثر منه رجلا محاربا. ولما ازدهرت أعمال هذا اللص، قام بسك النقود، وشراء أرض من امرأة عجوز، أسس بها مدينة مراكش سنة 1062م.

أقام يوسف بهذا الموضع مجموعة من الخيام المصنوعة من وبر الجمال، وأسس بالقرب منها مسجدا للصلاة وقصبة لخزن ثرواته و أسلحته. هذا هو أصل مدينة مراكش التي يعني اسمها باللسان المصمودي، كما يبدو مُرّ مُسرعا، لأن الموضع كان مخبأ للصوص، فكان المارون فيه يقولون لرفقائهم هذه الكلمات للإشارة إلى الموضع".

* - Champion, P., *Le Maroc et ses villes d'art : Tanger, Fès, Meknès, Rabat et Marrakech*, Rabat, Dar al-Aman, 2013, pp 71-72.

نص غستون دوفردان*

بقعة مراكش قبل المرابطين

"في وديان الأطلس معين لا ينضب من الأحجار المرقومة وذوات القموع، ومن المواقع المختلفة مما يعود إلى ما قبل التاريخ. أما سفوح جبل إيجيليز، بل ما بقي منها بعد أن حفرت فيها المقالع، فلم تبح بشيء للطالبين، فلم تغن بحوثهم ولم تسمن[1]. وقد ارتفعت أرض المدينة نفسها منذ ثمانمائة عام، حتى إنك لتيأس أن تعثر في موضعها - إلا باتفاق ومصادفة - على آلاتهم وماعونهم. فهل كان في الحوز حضارات أقرب إلينا في الزمن؟ وهل نجاري أحد الباحثين في الحوز[2] يدعي من نفسه القدرة على تفسير أسماء المواقع غير البربرية بالرجوع إلى لسان سومر، ويقول: هي كثيرة على طول وادي تانسيفت وحول المدينة؟ ذلك ما نحن قاصرون عن الجزم في أمره؛ وقد ادعى غيره[3] أن القادمين من البحر للغزو في العهود القديمة ربما استطاعوا ركوب تانسيفت في جفان مسطوحة، حين يمتلئ النهر من مياه روافده كلها، والوصول إلى ما يسامت مراكش اليوم؛ وهذه الدعوى فيها غلو، ولا عود إليها إلا أن يظهر مكنون جزيرة موكادور[4]. ثم إن بعضهم رووا خبرا لم يتفطنوا إلى ما فيه من مخالفة للأصول نقلوه عن مرمول[5]، مفاده أن موضع مراكش كانت فيه بوكانون Bokkanon، أي حصن بوكا Boca، ذكره بطليموس[6] في قائمة بأسماء المدن في موريطانيا الطنجية؛ وهذا الاسم يوافقه اسم توريس بوكونيس Turris

---

* - غستون دوفردان، "تاريخ مراكش من التأسيس إلى الحماية (1912 م)"، ج 1، ترجمه محمد الزكراوي وخالد المعزوزي، الرباط، 2012، صص 79 - 105.

[1] - عند قنة الجبل مغارة ضيقة ينبغي أن ينقب فيها أحد علماء هذا الشأن، وإن كان لا يخرج منها إلا بإثبات فراغها من أي أثر ذي بال.

[2] - هو السيد رينو Reynaud، دكتور في الصيدلة، مراسل لعدة مجلات علمية، أهمها مجلة « Ethnographie » بباريس.

[3] - راجع: ROUSSEAUX, *Hannon au Maroc*, « R.A », XCIII, 1949, 224.

[4] - راجع: CINTAS, *L'expansion carthaginoise au Maroc*, ch. IV

[5] - راجع: MARMOL, I, 10؛ ولا يعتقد مرمول أن مدينة مراكش هي التي تقع في موضع بوكانو هيميرو Bocano Emero، وذلك لعلمه أن مراكش بناها المرابطون؛ بل يريد إقليم مراكش، وكان الأولون يسمونه بوكانو هيميرو Bocano Emero، وربما كانت حاضرته مدينة أغمات القديمة.

[6] - راجع: ROGET, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, 38 (وكان بطليموس يكتب حوالي سنة 140م.)

Buconis الذي ذكره جغرافي رافينا المجهول[1]، وجعله اسم مدينة بولاية موريطنيا الغديتنية، وساحلها امتداد لساحل موريطانيا الطنجية. ونشر مص لطري Mas Latrie[2] قئمة بأسماء خمس وعشرين أسقفية قديمة بموريطانيا، فيها اسم بوكانوم هيميروم Bocanum Hemerum؛ قال الناشر: هي«قرب مراكش» . والقائمة وضعها ماص لطري نفسه، نقلا عما كان بين يديه من المصادر؛ لكنه سكت عن ذكرها، وليته ما فعل! وهو يكتمنا بالخصوص من أين وقع إليه اسم هذه الأسقفية بوكانوم هيميروم؛ والراجح أنه نقل ذلك عن مرسلي[3]، ولم يكن ممن يثق به الفقيد دي سينفال، وجد ذلك بخطه. وليس في كتاب الراهب ميناج Mesnage[4] تفصيل عن أصل هذه القائمة بأسماء الأسقفيات ولا عن تاريخها؛ ولا شك أن أكثر أسمائها ليست في موريطانيا الطنجية. هذا، وموقع بوكانوم عند بطليموس في موريطانيا الطنجية، وتبعه في ذلك جغرافي رافينا، لأن ما سماه موريطانيا الغاديتانية تقع فيه طينجي Tingi (طنجة) وليكسوس (العرائش) وسلا وغيرها. ونشرت بباريس في سنة 1663 خريطة[5] تؤيد هذه الأقوال، تقع فيه بوكانوم على نهر لعله أبو رقراق، عرضها دون عرض وليلي بدرجات؛ وقال بيني[6]: لا يعلم موقع بوكانا اسبيكولا Boccana Specula، ولا موقع توريس بوكونيس Turris Bocconis، ومازالا مجهولين إلى اليوم. مجمل الكلام أنه لا أمل لنا في الوقوف على أثر فنيقي ولا رومني بمراكش ولا بضواحيها؛ والحق أن من الصعب أن تجد اليوم لهؤلاء في الحوز تأثيرا بينا.

---

[1] - راجع الكتب المذكور، ص 43 (والظاهر أن جغرافي رافينا le Géographe de Ravenne كان يكتب حوالي سنة 700م).

[2] - راجع: « *Bulletin de Correspondance Africaine* », Alger, 1887, 96

[3] - راجع: *Africa Christiana in tres partes tributa*, Brixaie, 1816 - 17 ؛ وفي الملحق بالجزء الأول منه قئمة وضعها مرسلي Morcelli بأسماء أسقفيت كثيرة، ورد فيها ذكر مراكش باسم بوكانوم هيميروم Bocanum Hemerum، وذكر فاس باسم وليلي Volubilis.

[4] - راجع: *L'Afrique chrétienne*, Paris, 1912, 507

[5] - راجع: Orbis Vetus Authore P. *du Val Abbavillæo Christianissimi* Galliarum Regis Géographe à Paris, 1663

[6] - راجع: BESNIER, *Géographie ancienne du Maroc*, p. 63, « Arch. Mar. », 1904

الفصل الثاني:

فيما بناه أبو بكر بن عمر

ونذكر فيه خروج المرابطين من أغمات، وسبب ذلك وبواعثه الدفينة على وجه التحقيق؛ ثم الموضع الذي اختاروه؛ ثم نصف هجرتهم وترتيبهم؛ يلي ذلك صفة القصبة المسماة قصر الحجر؛ ثم نتحدث عن تاريخ بناء مراكش، وهو سنة 1070 م (462 هـ)؛ ونختم ذلك كله بشرح اسم مراكش؛ فنقول:

[...]

– السبب والبواعث الدفينة:

قلما تجد أهل المدينة – إن أخذت عنوة – مغتبطين بغلابيهم. ونخال أهل أغمات، كأهل سجلماسة بضع سنين قبلهم، لم يهللوا بمقدم عصابات المرابطين؛ بل لعلهم محضوهم البغضاء: فلا شك أنهم تأذوا في نفوسهم وأموالهم من فظاظة المنتصرين عليهم؛ ولا شك أن المرابطين ضاق بهم ما احتلوه من حيطان؛ وأنت تعلم كره أهل الصحراء وكل ظواعن الدنيا للمبني من حجر، وأنهم لا تكرم في أعينهم إلا الخيمة من شعر، لشدة إلفهم آفاق الصحراء الشاسعة؛ وما اعتادوا بعد المقام في عمائر ملتفة تختنق فيها أنفاسهم وتضيق حريتهم، فلا يلبث أن يدركهم الحنين إلى الفضاء الرحب. فالمرابطون ما خلقوا لأغمات، وأغمات بجناتها ومياهها ما كانت صالحة لهم ولخيامهم ونجبهم. ولم يفت ذلك أبا بكر بن عمر بعد وفاة عبد الله بن ياسين؛ ذلك كله نتبينه من كتابي "البيان" و"الحلل" عندما يصفان كيف كثر الخلق بالمدينة فاختلت أمورها؛ فأنهى أشياخ وريكة وهيلانة المرة بعد المرة إلى الأمير أبي بكر أن يبني مدينة في موضع آخر، إلى أن اقتنع فعقد العزم على اختيار موضع لإقامته يكون موافقا لما جد من أحوال زمانهم؛ وكان قبل ذلك رفض أن تكون المدينة على وادي تانسيفت، وقال:« نحن، أهل الصحراء، لا يصلح لنا السكنى على الوادي »[1]. فهل كان يخشى على أهله من فيضان وديان الصحراء المباغت، أم من ذبابة النوم – وهي لا تكون إلا بقرب الوديان[2]؟ فاجتمعوا – درءا للتنازع بين القبائل[3] –

---

[1] – البيان، 19.

[2] – قال ابن ميادة للوليد (بن عبد الملك)، وأراد أن يقطعه عينين من الحجاز:... لسنا بأصحاب عيون: يأكلنا بها البعوض، وتأخذنا بها الحميات! (الأغاني 2/ 305، والبدء والتاريخ 5/ 175 والبيان المغرب 712).

[3] – البيان، 19.

على أن يكون بناء المدينة بين بلاد هيلانة وبلاد هزميرة. وبهذا الخبر نغلب الظن أن وادي إسيل كان بين القبيلتين؛ إلا أن يكون بينهما وادي تانسيفت نفسه. وكان للموضع الذي اجتمعوا عليه محاسن تتضح بها البواعث الحقيقية لانتقالهم: فالأرض المجمع عليها ذكروا للأمير أن سيكون « وادي نفيس جنانها، وبلاد دكالة فدانها، وزمام جبل درن بيد أميرها »[1]. وإنك لتجد فيما نظروا له أسباب اختيارهم الحقيقية، وهو أن يصيروا على مسيرة يوم واحد من البلاد التي منها عيشهم، وأن يبعدوا عن الجبل إلى جهة الغرب، اتقاء لمباغتة عدوهم لهم؛ وأن تكون لهم عين على مصامدة الأطلس، وهم أقل انقيادا في مخابئهم من أهل السهل، وعددهم - قال ابن خلدون- لا يحصيه إلا الله تعالى؛ فما عاد همهم حماية أحد أوديتهم، كما كان شأنهم بأغمات أو نفيس، بل أن يكون لهم عيون على الأودية كلها.

- الموضع الذي اختاروه:

لقد وجدوا في السهل أرضا واسعة فيحاء؛ ولعل آكام إيجيليز وجهت اختيارهم. هذا، والنصوص لا تذكر شيئا عن ذلك؛ وليس في "الحلل" سوى أن الموضع الذي بنيت فيه مراكش أرض خلاء رحب الساحة، وأنه بين قبيلتي هيلانة وهزميرة؛ فهو إذن يرضي الفريقين جميعا. وقال غيره: كان الموضع غيضة؛ ولعل الغيضة وجدت حقا، إلا أن أرض المدينة كانت منحدرة من الجنوب إلى الشمال ومن الشرق إلى الغرب، فصار قوله مدفوعا؛ ثم لو كان الموضع غير صالح للسكنى لما فات ذلك النازلين فيه بخيام الشعر. والإدريسي أول من ذكر أن الأرض اشتراها يوسف بن تاشفين من أهل أغمات؛ وقد تبعه في هذا كثيرون، وعلى الخصوص صاحب "القرطاس"؛ وقال غيره: بل اشتراها من مصمودة أهل نفيس؛ وقال صاحب المعجب: اشتراها من عبد أسود[2]؛ وزاد عليه الناصري في "الاستقصا" بأن قال: « ويقال: كان في موضعها قرية صغيرة في غابة من الشجر، وبها قوم من البربر »[3]؛ وهذا لا يجوز؛ إلا أن تسلم أن الغابة المذكورة كانت شَعْرَاء، آجاما من العناب، ولم تكن غابة صفصاف كما ذكر الجنابي[4]، لأنا نعلم كره الظواعن أجمع للغابة والجبل على السواء. أما نحن فلنا في ذلك تأويل اعتبرنا فيه اقتصاد البوادي المغربية القديم، وهو أن الموضع الذي بنيت عليه مراكش، لمكانه بين قبيلتين، ولكونه براحا

---

[1] - **الحلل**، 15 - 16.

[2] - **المعجب**، 148. وتجد أساطير شبيهة بهذه، رويت في تأسيس عدوة القرويين بفس، في كتاب **"جنى زهرة الآس"**، 25.

[3] - **الاستقصا**، 24/ 2.

[4] - راجع: FAGNAN, *Extraits*, 336

خاليا، كان هو الموضع الأمثل لسوق قروية تقوم يوما في الأسبوع، وفق القانون النظري لتوزيع الأسواق في دائرة منغلقة؛ ولعل انعقاده يرجع إلى عهود قديمة، لأن أرضه لم تحتفظ منه بأثر، مع أنه في بلد كانت الشعراء كثيرة فيه ملتفة حتى سميت غابة. ثم إنه ليس من المجازفة أن نعتقد أن المرابطين ساروا على مبدأ من أقدم المبادئ في كل غزو سلمي، بأن مكنوا أهل الجبل من الامتيار من السهل؛ فليس بأجنبي عن بلاد البربر أن يتسع مفهوم الحماية فيشمل التجارة؛ وكثيرة هي الأسواق القروية التي تنعقد باسم ولي أو رئيس يكون الضامن لأمنها، فهي أرض حرم لا يتنازع عليها أحد.

وهذه مفاهيم لم تكن بالغريبة عن شيوخ المرابطين. ولا نذهب إلى أن مراكش يرجع سعدها إلى الملابسات السياسية التي أسهمت في تطور هذا السوق الأسبوعي المزعوم؛ إلا أنه ليس ببعيد أن اختيار أهل أغمات وأبي بكر لم يكن دون تفكر وروية: فليس في التاريخ بداية من عدم. وقد أكد بعضهم من مدة أن أصل المدينة الإسلامية ليس حصنا ولا قلعة، بل سوقا، ولا سيما إذا كان البناة من الظواعن[1]. واتضح بعد ذلك أن هذه الأرض وباطنها من أحسن ما يكون؛ فالمنائر الكبيرة الضخمة التي بناها المسلمون ما شكت أبدا من تضعضع أساس بنيانها، والسديمة كانت أبدا ثرة غير بعيدة الغور، وماؤها صافيا سلسبيلا.

- الخروج والتنظيم:

لعل أبا بكر تذكر مبدأ عربيا قديما، فحواه أن بناء المدن لا بد فيه من شروط ثلاثة، هي الماء والحطب والعلف. وعندما عقد العزم يوما[2] على الرحيل رأيته راكبا يصحبه أتباعه من لمتونة، وأشياخ مصمودة (أهل السهل)، والأعيان من أغمات، ليحلوا بالموضع الذي اختاروه؛ ولم يكن سوى فحص واسع لا أنيس به. ولا خبر لنا عن تلك الرحلة؛ ونرى، نحن الغربيين، أنها لم تخل من مشكلات في تنظيمها وتهييئها؛ إلا أنه يحتمل أنهم اعتبروا أصولا وقواعد في توزيع الأحياء على المجموعات البشرية أو على رؤسائها[3]؛ لكننا نجهل ملابسات هذه القسمة؛

---

[1] – راجع: MASSIGNON, *Enquête sur les corporations marocaines*, 70

[2] – في البيان (4/ 19 - 20) أنه السابع من مايو من سنة 1070م ("في سنة اثنتين وستين وأربعمائة، في الثالث والعشرين لرجب"). – قلت: وفي كتاب **التوفيقات الإلهامية** أن الموافق لهذا التاريخ الهجري هو 7 مايو 1069. وراجع ما سيأتي في الحاشية رقم (11). (المترجمان).

[3] – كان للعرب أصول معلومة لإقامة الخيام والمدن على السواء؛ وكانت مثل هذه المسائل حاضرة عند بناء البصرة في بلاد ما بين النهرين، وقد خصه بيلا بصفحات حسنة في (pp 2 - 6) PELLAT, *Le milieu basrien et la formation de Jahiz*.=

غير أنه جاء في كتاب "البيان المغرب" أن المرابطين بنوا مدينتهم «على أنفسهم ومواشيهم لعادتهم [في بلادهم] » ؛ ويستفاد منه أن خيامهم كانت كثيرة.

أما مصمودة فبنت دورها بالطين، «كل واحد على قدر جهده واستطاعته »؛ ثم أحيط بمجموع المدينة - المخيم «سياج من شوك العناب »[1]. لكن هل لقاعدة كهذه مناعة وحصانة؟ لم يريدوا - أو لم يستطيعوا - أن يتخذوا من جبل إيجيليز قلعة حصينة؛ والتضاريس في موقع المدينة ليس بها مانع يدفع عدوا كثيرا إذا زحف عليها، وسياج الشوك وإن علا والتف لا يمنح المدافعين تفوقا ظاهرا، لأنه قد يحترق في دقائق؛ وبهذا يتضح السبب الذي من أجله أمر القائد المرابطي والقواد أصحاب رأي وبصيرة بأن تبنى من أول يوم قصبة. وقد فرغ من معظمه -دون شك- بعد ثلاثة أشهر على التقريب، وهي قصر الحجر الذي نسبه صاحب "البيان" بالنص الصريح إلى أبي بكر، لا إلى يوسف بن تاشفين كما كان دائما يظن ويقال.

اتضح إذن أن تأسيس مراكش كان في الأصل بناء للدوام، لا مجرد رباط عسكري مؤقت، يتخذه جند المرابطين [قاعدة] ليغزو (أو « ليملك » ، كما قال صاحب "الاستبصار") قبائل المصامدة المجاورة لهم، وليكبح جماحهم (كما قال ابن خلدون). وبينما كان أبو بكر يراقب بناء قصر الحجر – وذلك، على ما جاء في"البيان"، في [غرة] ربيع الآخر من سنة ثلاث وستين وأربعمائة (يناير 1071) – إذا برسل وقفت عليه من الصحراء أتوه بخبر شؤم؛ وهو صحراوي أبا عن جد، ومسلم صحيح الإسلام؛ فخرج من مراكش الوليدة، وسارع لإصراخ قبيلته وقد أغارت عليها جدالة. والظاهر أنه سار أولا إلى سجلماسة حيث التحق بابن عمه يوسف بن تاشفين، فأنابه عن نفسه في قيادة فتوحات المرابطين في شمال الأطلس، وترك معه أيضا ثلث

=قلت: في **معجم البلدان** (مدة: البصرة) أن « عمر (بن الخطاب) قل: هذه أرض بصرة، قريبة من المشرب والمرعى والمحتطب». وفي **"الإمتاع والمؤانسة"** (2/ 27) أن« المدن تبنى على الماء والمرعى والمحتطب والحصنة». وفي **"البدء والتاريخ"** (4/ 102) « أن المدن تبنى على ثلاثة أشيء: على الماء والكلإ والحطب؛ فإذا فقدت واحدة من هذه الثلاثة لم تبق ». وفي **"القرطاس"** (33):« أحسن مواضع المدن أن تجمع خمسة أشياء: وهي النهر الجاري، والمحرث الطيب، والمحطب القريب، والسور الحصين، والسلطان» . ومثله في **"جنى زهرة الآس"** (ص 33). وفي **"مقدمة"** ابن خلدون (ص 851): «فصل فيما تجب مراعاته في أوضاع المدن وما يحدث إذا غفل عن تلك المراعاة » . (المترجمان).

[1] - قلت: قوله « سيج من شوك العنب(أي السدر) » ، وإن كن وضعه بين مزدوجتين يوحي بأن المؤلف نقله عن **"البيان"**، فليس هو منه؛ ولا ندري من أين وقع للمؤلف. وفي تريخ الدولتين (8) م نصه:"وأمر (يوسف بن تشفين) البربر بسكنى (مراكش)، فعملوا فيه خوص وسكنوه إلى زمن بنتها". والخوص ورق النخل وم شكله. (المترجمن).

جيشه، وتخلى له كذلك عن زينب! وكانت سهمه من الغنيمة، فتزوجها واتخذها مستشارة؛ وقد كانت ملك لشيخ من شيوخ الجبل وقبله كانت تحت أمير من أمراء السهل، فحنكتها التجارب؛ ويذكر عنها أنها كانت امرأة فائقة، وأمثالها كثيرات عند البربر! فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نساء البربر خير من رجالهم»[1]. وهل كان لأبي بكر أن يأخذ هذه التونسية إلى الصحراء، ويقهرها بالحرمان والحرارة، ولا طاقة لها بهما؟ بل هل خطر ذلك بباله؟ ولعلها أنكرت ذلك هي نفسها؛ وذلك ما يراه ابن عذاري؛ فطلقها أبو بكر وزوجها من ابن عمه يوسف[2]. ولم يستنكر ذلك أحد؛ أجل، ولو حدث مثله اليوم لما استنكره أحد في مجتمع البربر.

[...]

- تاريخ التأسيس: 1070/ 462 :

الشائع اليوم بين المتأدبين المغاربة وفي كتب العلماء المعاصرين أن تأسيس مدينة مراكش كان في سنة 454/ 1062[3]؛ ولا يرى رأيهم المؤرخون العرب الأولون. وقد لخصنا في الجدول الآتي كل ما نعلمه من أخبار عن هذه المسألة، ووقفنا عند ابن خلدون (المتوفى سنة 1406/ 808). وإذا رجعت بالزمان إلى ما قبله فلن يجدي عنك ذلك شيئا، بل لتزيدن التواريخ تعارضا وتناقضا: وذلك أن الأعداد - كما قال ألان - ليست صفة للأشياء، بل هي من صفات النفس البشرية. وتجد في الجدول المذكور أولا التاريخ الأرجح لتأليف الكتاب أو الفراغ منه، يليه اسم المؤلف وعنوان الكتاب باختصار، يليه التاريخ الهجري (وموافقه الميلادي) المذكور لتأسيس المدينة؛ ونشير قبل ذلك إلى أن علم النميات لا يساعدنا على حل هذه المسألة: فبين أيدينا دنانير عديدة من سنة 450/ 1058 - 1059، ضربت بسجلماسة باسم أبي بكر، ولا شيء بعد ذلك إلى

---

[1] - راجع: HADJ - SADOK, *Description du Moghreb et de l'Europe au III^e/IX^e siècle*، و ابن الفقيه: كتاب البلدان، 84.

[2] - في البيان(22 / 4) أن يوسف لم يتزوجها إلا في شهر مايو من سنة 1070 ("شهر شعبان المكرم من سنة ثلاث وستين وأربعمائة") بعد تمام عدتها، وهي مائة يوم، كما ينص عليه الشرع. - قلنا: وفي كتاب **التوفيقات الإلهامية** أن الموافق للفاتح من شعبان 463 هو الرابع من مايو 1070. (المترجمان).

[3] - سلم بربي دي بوكج Barbié du Bocage في *Le Maroc*, 52 بأنها سنة 1073م، ولم يعلل ذلك؛ ويرى كل من (A. BERNARD (*Maroc*, in « Géogr. pittor. », 223) و (SAURIN (*Le Maroc*, 373) أنها سنة 1070م، ولا يذكران الإدريسي؛ أما دي سنيفال فسكت وتجنب المسألة. راجع: مادة مراكش E.I.,III, 346.

سنة 1097/ 490/ 96، إذ وصلنا عنها دينار ضرب بدار السكة بمراكش، وكن - كما تعلم - باسم يوسف بن تاشفين[1].

1068 – البكري: المغرب(460/ 1067– 1068)......... لاشيء

1153 – الإدريسي: نزهة المشتاق[2] .... 470 = (1077 – 1078)

1191 – (مجهول): الاستبصار[3] .... 459 = (1066 – 1067)

1124 – المراكشي: المعجب[4] .... ؟

1228– ياقوت: معجم البلدان[5]......................... 470 = (1077 – 1078)

1232 – ابن الأثير: الكامل[6]............................ 462 = (1069 – 1070)

1286 – ابن سعيد الغرناطي: البديع[7]......................... 444 [8] (464؟) = (1071–1072؟)

(454؟) = (1062- 1063؟)

1306 – ابن عذاري: البيان[9] .... 461 = (1068 – 1069)

1306 – ابن عذاري: البيان[10]......................... 462 = (1070)

1312 – (مجهول): مفاخر البربر[11] ....[12] 475 (457؟) = (1064– 1065)

---

[1] – راجع: HAZARD, *The numismatic History of late medieval North - Africa*, 97et 103, n 95.

[2] – ص 67.

[3] – ص 208.

[4] – ص 222 من نشرة **الفاسي**. ويرى مؤلفه أن الذي أسس مراكش ليس يوسف، بل أباه؛ ولعله أراد أب بكر [بن عمر]. قلت: في كلام المراكشي اضطراب ظاهر، لكن ليس فيه ما نسبه إليه المؤلف. ففي ص 148 من **"المعجب"** ذكر المراكشي مراكش وقال:«واستوطنه البربر... وقدموا عليهم رجلا منهم اسمه تاشفين بن يوسف »؛ وفي ص 507 منه قال: «وكن الذي اختطها ملك لمتونة تاشفين بن علي » . (المترجمان).

[5] – مادة: مراكش.

[6] – 622/ 9.

[7] – راجع: FAGNAN, Extraits, 15

[8] – هذا تاريخ غير مقبول، ولا بد من تصحيحه ليصير 464 أو 454.

[9] – 300/ 1.

[10] – 19/ 4 – 20.

[11] – ص 92.

[12] – سنة 475 سنة متأخرة جدا؛ ولعل صوابها 457.

1312 – (مجهول): مفاخر البربر[1]............ 462=(1069 – 1070)

1318 – الوطواط: مناهج الفكر[2]............... 470 =(1077 – 1078)

1326 – ابن أبي زرع: القرطاس[3]...................... 454=(1062–1063)

1381 – (مجهول): الحلل، النص العربي[4]................402[5] (452؟)= (1060 – 1061؟)

1381 – (مجهول): الحلل، الترجمة الفرنسية[6]......462 = (1069 – 1070)

1382 – ابن خلدون: كتاب العبر[7] ....454 =(1062 – 1063)

ونستخلص الساعة من ذلك الجدول ما يلي:

1 – نرىٰ أن صمت البكري أمر في غاية الأهمية: ففي الوقت الذي فرغ فيه من كتابه المشهور كانت صنهاجة مسيطرة منذ قرن من الزمان علىٰ الصحراء في جزئها الغربي كله، ولقبهم (وهو المرابطون) كان يعرفه الخاص والعام؛ ولاشك أن ذكرهم طار في آفاق أفريقيا الشمالية كلها. لكن البكري في سنة 1067 – 1068 (460) لا يعرف شيئا البتة عن مراكش، ولا عن يوسف بن تاشفين، وإنما يعلم في ذلك الوقت أن أبا بكر لم يزل أميرا علىٰ المرابطين، ويصرح بأن « أمرهم منتشر غير ملتئم »[8]؛ وقد يوحي ذلك بأنه علىٰ علم بالاختلاف الواقع بين أبي بكر وابن عمه يوسف، لكنه يضيف قائلا: « ومقامهم بالصحراء» .

فهذا الخبر الجازم إعلان رسمي، وذلك أن البكري قبل ذلك بأسطر ذكر للمرة الثانية والأخيرة تاريخ تأليفه كتابه، قال: « وأمير المرابطين إلىٰ اليوم، وذلك سنة ستين وأربعمائة »، إلىٰ آخر ما قال. أجل، صدق دي سلان De Slane في أن البكري لا تأتيه بما يحدث في المغرب الأخبار كلها، ولا أيضا في أوقاتها، لانشغاله بهول ما أصاب الأندلس؛ ولكن كيف يمكن أن يجهل هذا العلامة القرطبي في سنة 460 أن الملثمين من أهل الصحراء – وسيذكر هذا بعد

---

[1] – ص 59؛ وهذا التاريخ حصلنا عليه بطرح أحد التاريخين المذكورين في تلك الصفحة من الآخر. وصورته: 541 (تاريخ فتح الموحدين لمراكش) – 79 (مدة دولة المرابطين) 462.

[2] – راجع: FAGNAN, *Extraits*, 48. – قلنا: النص في "الإعلام"، 93/ 1؛ وفيه: "سنة 490"؛ ولعله تصحيف. (المترجمان).

[3] – ص 138.

[4] – ص 16.

[5] – سنة 402 غير مقبولة بحال. وأقل ما يجب هو تصويبها لتصير 452. – قلنا: ولم ترد سنة 402 في "الحلل". (المترجمان)

[6] – يرجح هويسي في ترجمته للحلل (ص 35) سنة 462، ولعله اعتمد علىٰ مخطوطات لم تقع إلىٰ علوش. – قلنا: راجع "الحلل" (طبعة الدار البيضاء)، ص 16، وص 181 – 182. (المترجمان)

[7] – 245/ 6.

[8] – البكري، 170.

صاحب "القرطاس"[1] - قد استولوا على فاس قبل ذلك بخمس سنين أو ست، وبنوا مدينة، وحشدوا حامية من أوربا نفسها! وما أسرع ما تتناقل الأخبار في بلاد المسلمين!

ونحن أيضا يحق لنا - بعد لافي بروفنصال[2] - أن نكذب تاريخ "القرطاس"، ولو قبله ولم يمحصه مؤرخ من قدر ابن خلدون.

2 - نعترض إذن اعتراضا شديدا على سنة 454. أما سنة 470 فهي على عهدة الإدريسي، وهو أول جغرافي عربي ذكر مراكش في تواليفه؛ وقد تبعه ياقوت والوطواط، وما هم بذوي خبرة بشؤون الجنوب المغربي؛ ونستبعد هذه السنة أيضا لأنها تؤخر تاريخ بناء مراكش وتبعده كثيرا؛ ولعل حادثا وقع فيها لم نصل إلى معرفة أي شيء هو. ولنتفطن فقط إلى أن أول مؤلف سعى إلى ضبط تاريخ تأسيس المدينة ذكر سنة متأخرة بالقياس إلى التاريخ الشائع؛ وفي هذا باعث آخر على تكذيب "القرطاس".

3- لا مناص لنا من التسليم بأن بناء مراكش كان بين سنتي 459 و462[3] ؛ والاعتماد في ذلك على صاحب "الاستبصار"، وقد سكن مراكش؛ وعلى ابن الأثير، وكتابه «تقميش لا يخلو من فائدة» ؛ وعلى "بيان" ابن عذاري، وقد كان لافي بروفنصال[4] - وهو شيخ أساتذة هذا الشأن - يرى أنه جملة وتفصيلا أجود ما بين أيدينا من أصول نطلب فيها اليوم أخبار الإسلام في بلاد البربر في القرون الأول.

4 - علينا الآن أن نفسر كيف أن المرابطين استولوا على أغمات في سنة 450/ 1058 - 1059 (وهذا التاريخ عن البكري)، ولم يخرجوا منها - على ضيق أهلها بهم - إلا بعد تسع سنين، أو بعد سبع، وقد تكون اثنتي عشرة سنة، كما جاء في "الحلل" نقلا عن "البيان": فهل نتخيل، اعتمادا على نص البكري، أن المرابطين - بعد أن مات عبد الله بن ياسين، وقاومتهم برغواطة، لم يرتدوا إلى أغمات وحسب، بل ساروا بغنائمهم إلى الصحراء، ثم عادوا إلى أغمات بعد سنين؟[5] ولعل في نص

---

[1] - القرطاس، 139.

[2] - راجع: LÉVI – PROVENÇAL, *La Fondation de Fès*, Alger, 136

[3] - وقد نذهب بالتاريخ إلى سنة 464، إذا صح لتقويمنا لكتاب "البديع" - لابن سعيد - وَجْه.

[4] - راجع: LÉVI – PROVENÇAL, « *Un nouveau récit*»…, « *Arabica* », 1954, I, 19.

[5] - أول سكة وقعت إلينا، مما ضربه المرابطون بأغمات، تاريخها سنة 486 هـ/ 93 - 1094 م؛ وأول سكة لهم بسجلماسة من سنة 450 هـ/ 1058 - 1059م.

لابن خلدون[1] في تاريخ بني حماد ما يؤكد ما تخيلناه. قال ابن خلدون وذكر:« بلقين... وبلغه استيلاء يوسف بن تاشفين والمرابطين على المصامدة، فنهض نحوهم سنة أربع وخمسين وأربعمائة (1062 - 1063)، وفر المرابطون إلى الصحراء » . تلك فائدة لا نقدرها بثمن، لأن ابن خلدون يتناقض فيها مع نفسه، إذ يؤكد بعد ذلك[2] أن مراكش بنيت في سنة 454.

5 - والآن، لو كان لنا أن نختار بين سنتي 459 (1067) و462 أو (1070)، مع أننا لا نرى فائدة في البحث في بناء مراكش في أي يوم ابتدئ فيه وفي أية ساعة، إذن لملنا بالثقة إلى تاريخ ابن عذاري، لأنه ألف كتابه بمراكش في مجتمع بربر الجنوب المغربي المتشددين، ولأنه ليس بمستحيل أن يذكر الناس ما يتعلق بتاريخهم ووقائعهم مما حدث قبلهم بقرنين من الزمان.

6 - وفي الختام، نعتقد أن من العدل أن ينسب لأبي بكر شرف اختيار موقع مراكش والسبق إلى الإقامة فيه، وذلك على الأرجح في مايو سنة 1070(رجب سنة 462)، وفخر الابتداء في بناء أول قصبة في تاريخ المرابطين. فمؤسس مراكش هو أبو بكر، ولا ينقص فضله ذلك من فضل يوسف بن تاشفين، لأن دهاءه في أمور السياسة استطاع أن يضع بين يدي مراكش أمبراطورية صارت بها من كبريات العواصم في القرون الوسطى؛ ونتج حتما عن إعجاب أهل زمان يوسف به، وهو الرجل الفذ، أن شرفوه وحده بأن قرنوا باسمه تأسيس مراكش؛ ونستطيع بفضل ابن عذاري أن ننصف ابن عمه أبا بكر بن عمر، ونشركهما معا في ذلك المجد.

- في اسم مراكش:

عالج جزءا من هذه المسألة رولمان A. Ruhlmann[3]، مستعينا بها وثقه دي سنيفال وكولان؛ وفي كتاب ماص لطري[4] أخبار كثيرة غير ذلك. والصيغة الأصلية المألوفة للاسم الذي عرفت به المدينة منذ تأسيسها هي مَرَّاكُش (بفتح الميم وتشديد الراء وضم الكاف)[5]، وينطق اليوم مْرَّاكّش (براء مشددة مفتوحة ومد وبتسكين فتحة الميم وضمة الكاف)؛ ولكن في مخطوطة

---

[1] - العبر، 6/ 229.

[2] - قلنا: راجع "العبر"، 6/ 254. (المترجمان)

[3] - راجع: *Une mention du Maroc dans La chanson des Nibelungen*, « Hespéris », 1937

[4] - راجع: MAS – LATRIE, *Traités de paix et de commerce*

[5] - وهي الصيغة المرسومة في مصاحف الأمراء الموحدين، وهي محفوظة بمراكش. راجع DEVERDUN, *Deux tahbis almohades*، و"معجم البلدان" (مادة: مراكش)، و"تقويم البلدان"، 134.

فريدة[1] من القرن 11م (5 هـ)، محفوظة بخزانة جامع القرويين بفاس، وجدنا رسمه مروكش. ويرى كولان أنها كانت تنطق مَرّوكُش (بفتح الميم وتشديد الراء وضم الكاف)، وأنها لا شك معربة عن Marruecos الأسبانية، وفيها تحل سين العامية الإسبانية محل الشين العربية؛ أما قولهم مَرّاكِش (بفتح الميم وتشديد الراء وكسر الكاف)، فمتأخر، واختاره من كبار المؤرخين ابن خلكان وحاجي خليفة وصاحب "القاموس"، وكلهم حجة؛ لكن الظاهر أنه وزن اخترعه كتاب مغاربة رغبة منهم في تحليته بصيغة عربية. فما هو أصل هذا الاسم؟ أثبت له المؤرخون اشتقاقا إنما نسجه خيالهم. فالمراكشي[2] قال: « وإنما سميت بعبد أسود كان يستوطنه يخيف الطرق، [اسمه مراكش]» . ولفظة "كش" كان معناها "العبد"؛ فليس ببعيد أنها أصل هذا الاشتقاق. وأما ابن خلكان[3]، فيرى أن في اشتقاقه جناسا[4]: وذلك أن معنى هذه الكلمة بلغة المصامدة – على ما قال – هو: « امش مسرعا » ، لأن الموضع الذي تقوم فيه مراكش اليوم كان مكمنا للصوص، فكان المارون فيه يقولون لرفقائهم تلك الكلمة. ويبدو من الحكمة اتباع رأي دي سنيفال، وهو أن ذلك الموضع كان مشهورا من قديم. فهل كان لذلك الاسم معنى في البربرية؟ قال رين[5]: « اسم مركوش Marekouch صيغة ثالثة مشتقة من أركوش Arkouch، ومعناه أوركوش Ourkouch، أي أبناء كوش» ؛ فمعنى مراكش إذن عند هذا المؤلف هو « بلاد أبناء كوش » .

ونشير في الختام إلى أن التاجر الفرنسي لمبير ألف رسالة مطولة في مدينة مراكش[6]، ذكر فيها أن المدينة – مثل القيروان في الأرجح[7]– سميت باسم بئر لا ماء به اليوم، كان على وجه التقريب في وسط المدينة؛ وليس ذلك بمستحيل. ومراكش، أيا كان اشتقاقها[8]، مذكورة منذ

---

[1] – كتاب التبيان، 172 و 139.

[2] – المعجب، 148.

[3] – وفيات الأعيان، 113/ 7 و 124، والاشتقاق نفسه في "معجم" ياقوت (مادة: مراكش).

[4] – للأوربيين أيضا رأي مثله؛ قالوا : مرقس Marcus أصل مراكش. وكتب غري جاكسون Grey Jackson كتابا مليئا بالأخطاء والأوهام (راجع: *Account of the Empire of Morocco, Londres, 1809*)، ادعى فيه أن تيتس Titus أصل تطوان. أما مرقس فقد كان بالمغرب علما من أسماء الأعلام اليهودية في القرن 16 (10). راجع: EISENBETH, *Les Juifs de l'Afrique du Nord*, 150.

[5] – راجع: RINN, *les origines Berbères*, 332.

[6] – راجع: « Bull. *de la Soc. de Géogr. de Paris* », 1867, n° 107, 430.

[7] – راجع: G. MARÇAIS, *L'architecture musulm. d'Occident*, p. 2, n. 2.

[8] – ولتمام الفائدة نذكر أيضا *Manuel espagnol de l'officier* لصاحبه كلدرون Calderon وفيه أن مراكش معناه بالعربية « مزين، موشى » وأن Martok كان اسمه في القديم وكان معناه بلغة الأفارقة « مدينة كل شيء » أو « المدينة التي لا تجد فيها كل شيء ». والله وحده أعلم من أين أتى مؤلفه بهذه الترهات.

القرن 12م (6 هـ) في مكاتيب غربية: فتجد Marrochs في رسالة غير مؤرخة من الربرتير قومس برشلونة Reverter Vicomte de Barcelone ، وقد كان أسيرا بمراكش، وهي من أوائل مدة حكم رامون برنجير الرابع ملك أرغون، أي من إحدى السنوات التي تلي سنة 1131 (525)[1]؛ ثم تجد ملك "مروكش" Roi de Marroch في عقد صلح مع أهل بيزة في سنة 1133م (527)[2].

ولنا من أواسط القرن 12 م (6 هـ) نصان فيهما « ملك مراكش Regis Marroch » (حوالي 1141/ 535)، في مصنف لأوردريك فيتال Orderic Vital[3] . أما في "تاريخ الأمبراطور الأذفونش"[4] Chronica Adephonsi imperatoris، الذي يصور أبهة ألفونسو VII ملك ليون وقشتالة، وقد ملكها من سنة 1126 (520) إلى سنة 1157 (552)، فنجد هاتان العبارتان:

« Marroccos, in civitatem… quae dicitur »

و « Marroccos…,in civitatem Marrochinorum »

وفي نهاية هذا القرن (في سنة 1198/ 594)، توصل ملك مروكش Rex Marochetanus برسالة من إينوصان الثالث[5]. ثم صار اسم مراكش يذكر كثيرا؛ ونحيل القارئ على كتاب ماص لطري (ص 66) وعلى دراسة رولمان (ص 53): فإنه يرى بأم عينيه أن استعمالهم صيغة Marochium قد استقر عندهم وثبت.

أما عن القرنين 14م و15 م (8 و9)، فلنا الدلائل الساحلية الإيطالية والخرائط القطلانية، وهذه من أبدع ما صنع في بابه؛ وسيجد كليهما القارئ في المصنف البديع الذي وضعه لارونصيير في "اكتشاف أفريقيا"[6]؛ وفي الدائرة الأرضية التي صنعها أنجليوس دولقرت Angelius Dulcert (في ميورقة سنة 1339) تجد أيضا لفظ Marochus، وفي تلك التي صنعها الأخوان البندقيان بيزيغاني Pizzigani (سنة 1367) تجد Marrochuum؛ وفي أطلس شارل الخامس القطلاني (في سنة 1375) تجد Maroch؛ وفي الدائرة الأرضية الجُنْوِيّة، وهي متأخرة زمنا (في سنة 1457)، تجد Maroco .

---

1 - راجع: CARRERAS Y CANDI, «*Relaciones de los vizcondes de* « ***Barcelona con los arabes»***, Homenaje à D.F Codera, 212, n°2 .

2 - راجع: ***MAS – LATRIE***، الكتاب المذكور، 22.

3 - راجع: ***Historia ecclesiastica,*** éd. Le Prévost, Paris, 1855, 19

4 - راجع: FLOREZ, ***España Sagrada***, XXI, 359, 373, 397

5 - راجع: *MAS – LATRIE* الكتاب المذكور، 8.

6 - راجع: LA RONCIÈRE, ***La découverte de L'Afrique au Moyen*** Age, I, *L'intérieur du **Continent***

ويرجع الفضل في ورود اسم مراكش في مؤلفات الجغرافي الحديثة إلى الحسن الوزان الأفريقي: فقد فرغ من مُسَوّدَتِهِ في "وصف أفريقيا" في سنة (931) 1525 - 1526[1]، وفيه ذكر Marocco، وإلى المجهول البرتغالي الذي خلف لنا وصفا لمراكش (باسم Marrocos) مؤرخ بسنة 1596 [2].

ويمكن أن نستخلص من جميع هذه القراءات والصيغ ما استخلصه رولدن ومستشدروه من النتائج، وهي أن لفظ مراكش أصله بربري، ماثل القوم فيها بعد مقطعه الأخير us (أي ضمة ممدودة وشين) بالكاسعة us (ضمة ممدودة وسين) وهي الدالة على المرفوع في اللاتينية (وكانت تنطق السين فيها شينا في العامية الأسبانية المتأخرة)؛ بهذا يتبين علة اشتقاق الصيغ الثانوية مثل Marochio وMarochium Marrochinorum؛ إلا أن ذلك اللفظ اختصر في الأخير في اللغات الأوربية، بحذف كاسعة الرفع، واجتزئ فيه بالجذر المنقوص Mar(r)oc؛ ومنه اشتقت الصيغ الحديثة، وهي Marocc-o في الإيطالية، و Marocc – o في الأنجليزية، و Marrokk-o في الألمانية، وMaroc في الفرنسية.

أما العامية الأسبانية فعلى العكس، احتفظت بالصيغة البربرية الأصلية Marruecos (وكانت سينه تنطق في القشتالية شينا)؛ وهي صيغة لم يغيروا كثيرا في صوائتها، لتوافق القواعد الصوتية في الأسبانية. ثم أطلقوا اسم مراكش Maroc بعد ذلك على المملكة كلها، مثلما فعلوا في تونس والجزائر وطرابلس.

وكان دي سنيفال قد عثر على نص لاتيني[3] يشهد بأن اسم مراكش بصيغة Marok قد أطلق على البلد برمته منذ القرن 15م (9 هـ)؛ إلا أن هذا العالم الفقيد رفض الوثوق بهذا الشاهد الوحيد كل الثقة، لما عهد فيه من احتراس وتحفظ؛ ونحن نضيف إليه شاهدا آخر أعرف وأشهر، وجدناه في "الكوميديا الإلهية"، ولا يخفى عليك ما تثيره مسألة أصول هذه التحفة الدانتية[4] من عناية لا تخلو من تعصب، شأنها شأن مسألة الأثر الذي كان للإسلام على الحضارة الغربية؛ فلا

---

[1]- راجع: MASSIGNON, ***Le Maroc***, 34

[2]- راجع: CASTRIES, ***Une description du Maroc***, 12

[3]- جاء في DU CANGE, Dictionnaire مادة Strictus (ومعناه: المضيق) قوله: « ad eskippandum et traducendum per strictus Marrok tot saccos lanae »، وهي منقولة عن RYMER, Foedera, XI, 438 , Litterae Henrici VI,anno 1460؛ وعليه هذه الحاشية:« stricta Marrochii fretum gaditanum »، وهو مضيق جبل طرق اليوم.

[4]- أجمل الكلام على ذلك بما لا مزيد عليه الأستاذ لافي ديلافيدا في:

Levi Della VIDA, ***Dante et l'Islam d'après de nouveaux documents***. « Revue de la Méditerranée », n° 60, 1954.

مدعاة للتعجب والاستغراب؛ بل لن تستغرب البتة إذا أخطرت ببالك ما كان بين إيطاليا ودولة الموحدين من علاقات كثيرة، ولا سيما ما كان من الخلافات بين سبتة وأهل جنوة في سنة 1234 (631)[1]، وما كان من مراسلات بين آخر خلفاء الموحدين والبابا في سنة 1250 (647)[2].

ففي النشيد السادس والعشرين من "كتاب جهنم"، وصف دانتي رحلة أوذيس ووفاته[3]: فقد كان هذا البحار الشهير يضطرم شوقا منذ القدم للاطلاع على بقاع الدنيا ومعرفة أهلها؛ فعاد وركب البحر مع رفاقه الأولين، وقال: [البيت 103] «أبصرت عيناي العدوتين، حتى أسبانيا، وحتى مراكش (Morrocco)؛ وأيضا جزيرة سردانية، والجزر الأخر التي تطفو في هذا البحر... [البيت 109] حتى لا تحدث أحدا نفسه بالذهاب أبعد من ههنا. فخلفت أشبيلية عن ذات اليمين، وقد خلفتني، بعد، سبتة عن ذات الشمال » . وفي النص من الوضوح ما يغني عن الإطالة: لقد قابل دانتي بين إشبيلية وسبتة، فلا يمكن أن يقابل إلا بين أسبانيا والمغرب. وإنه لمن دواعي الغبطة أن نرى مراكش يتسمى باسمها المغرب الأقصى كله أول مرة في تحفة من تحف الأدب العالمي[4]. وينبغي مع هذا الإشارة إلى أن مصنف دانتي، وقد ألفه صاحبه حوالي سنة 1300، لم ينشر إلا بعد أن مضى عليه حين من الدهر؛ وأن أول ترجمة كاملة "للكوميديا الإلهية" إلى الفرنسية لا يرجع تاريخها إلى أبعد من النصف الثاني من القرن 16م[5].

ومع هذه السابقة المشهودة لم يكثر ورود لفظ المغرب Maroc بالمعنى الذي له اليوم إلا في أواسط القرن 18 على وجه التقريب. وأول شاهد عليه نجده عند بيدي دي مورفيل Bidé de Maurville في سنة 1755[6]: فقد كان هذا المؤلف يجري على الاصطلاح القديم فيقول: « ملك مراكشLe roi de Maroc »، و« دولة مراكش » L'empire de Maroc؛ إلا أنه قال (في ص II

1- راجع: DUFOURQ, *La question de Ceuta au XIIIe siècle*, « Hespéris », 1955.

2- راجع: TISSERAND et WIET, ***Une lettre de l'almohade al – Murtada au Pape Innocent IV***. « Hespéris », 1926. - قلنا: ونص الرسالة العربي في: عبد الله عنان: **"عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس"**، وفي: محمد حمادة: **"الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقية"**، ص 438 - 435. (المترجمان).

3 - أفادتني بمعلومات كثيرة المنفعة السيدة رفيانا Reffienna، الأستاذة المبرزة في الإيطالية، العاملة بليسي نيس lycée de Nice؛ فأشكرها شكرا خالصا.

4- قل مؤلف الكتاب: لقد أخطأت في هذا الحكم؛ وذلك أنه ورد منذ سنة 1202 في كتاب ***La conquête de Constantinople***، لصاحبه Villehardouin ، قوله: « مضيق مراكش » (détroit de Maroc)؛ وقد نشر هذا الكتاب فارال Faral في Les Belles - Lettres، باريس، ص 52 .

5 - راجع: MOREL, ***Les plus anciennes traductions***. française. de la Divine Comédie.

6 - راجع: ***Relations de l'affaire de Larache***, 1755

من المقدمة): « منذ سنوات كانت تدرس مسألة عقد معاهدة سلم بين فرنسا والمغرب » (et le Maroc)، وهذا اختصار لعبارة « مملكة المغرب » Royaume du Maroc؛ وعنون برنردان دي سان بيار Bernardin de Saint Pierre (1737 1814) إحدى مسرحياته[1] بقوله: « أمسائيل وزُرَيدة، أو البيضان عبيد السودان في المغرب» au Maroc؛ وفي الصفحة 3 منها قوله: « للسودان عزة وسلطان في دولة المغرب » L'empire du Maroc.

وليس ببعيد أن تكون حظوة اللفظ من حظوة المدينة: وذلك أن عناية السلطان سيدي محمد بن عبد الله قد بعثتها وأحيتها؛ ولئن كانت دولته لم تبدأ إلا في سنة (1170) 1757، فإنه أعاد لعاصمته شيئا من بريقها ولألائها أيام كان، بعد، خليفة أبيه بمراكش. وكيفما كان، ففي مدته تأصل استعمال صار عادة جارية منذ أواسط القرن 19، وهو إطلاق اسم مراكش Maroc على البلاد كلها.

وفي سنة 1814، كانت عادة علي باي العباسي[2] في « رحلاته » أن يكتب « مملكة مراكش » Royaume de Maroc، و« في مراكش » à Maroc؛ إلا أن الظاهر أنه يريد بذلك البلاد برمتها ومراكش بلا خلاف؛ وكان يسمي سكان البلاد أجمعين باسم Maroquins .

وفي سنة 1844، عنون ديديي Ch. Didier كتابا نشره بباريس باسم « جولة في المغرب » Promenade au Maroc؛ وفي سنة 1846، عنون رونو E. Renou كتابه بقوله: «صفة دولة مراكش» Description géographique de l'Empire de Maroc، يتلوها ذكر المسافات؛ ثم أخبار بلاد السوس والأجزاء الجنوبية الأخرى من المغرب » du Maroc[3]؛ وقال في المقدمة (ص3): « نصوص المؤلفين الذين كتبوا عن المغرب Le Maroc »، وأيضا «رحلة إلى مراكش » à Maroc.

وفي سنة 1853، كرر الفاضل كاريت[4] Carette عدة مرات قوله: « دولة المغرب » L'empire du Maroc؛ لكن، في السنة التي بعدها، نجد الراهب مين Migne[5] مازال يقابل بين

---

[1] - نشرها سوريو Souriau في كان Caen سنة 1905.

[2] - راجع مثلا: *Voyages* I, 32 - 33. - قلنا: وعلي باي العباسي هذا اسمه الحقيقي هو دييكو باديا؛ وهو جاسوس أسباني، جاء إلى المغرب سنة (1803) 1218، مبعوثا من ملك أسبانيا لتهييج الجنوب المغربي، فيسوغ ذلك لملكه احتلال الصحراء. وكان الذي ألمح إلى الملك بذلك هو مستشاره كودوئ، الملقب "أمير السلم". راجع: عبد العزيز بنعبد الله، **"الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، معلمة الصحراء"**، الملحق 1، ص 153. (المترجمان).

[3] - راجع: ***Exploration scientifique de l'Algérie, VIII***

[4] - راجع مثلا: ***Recherches sur l'origine***..., p. 128

[5] - راجع مادة Maroc في ***Dictionnaire de géographie sacrée et ecclésiastique***

مملكة فس و« المغرب بما تعنيه الكلمة اليوم » Le Maroc. وفي سنة 1860، نشر ليون غودار Léon Godard بباريس كتابا في مجلدين سماه « صفة المغرب Du Maroc وتاريخه... به خارطة عمة للمغرب » du Maroc؛ وفي السنة التي بعدها وضع باربي دي بوكاج Barbié du Bocage « مذكرة جغرافية عن المغرب » Le Maroc [1]. ومنذئذ ثبت الاستعمال الجاري اليوم، وصار لفظ « المغرب » Maroc شائع الاستعمال للدلالة على البلاد كلها؛ إلا أنه سوف يظل يطلق لمدة يسيرة على العاصمة أيضا.

وبينما كان اسم مراكش، في صيغة Maroc، يدل عند الأوربيين على البلاد برمتها لا على المدينة، ولم تتغير صيغته في البلدان الناطقة بالعربية لأنها ظلت تسمى المغرب[2] مَرُّوكش أو مَرَّاكِش -بفتح الميم وكسر الكاف-[3]، استعادت الصيغة العامية مْراكْش - بتسكين الميم والكاف- حظوتها، فشاعت شيئا فشيئا. ومع تزايد السياح القادمين من الغرب لزيارة المدينة، واستقرار لفظ المغرب Maroc للدلالة على البلاد بأجمعها، فرضت نفسها تلك الصيغة العامية للتمييز [بين المدينة والبلاد]. وهي لم تكن أبدا مجهولة ولا منسية، وهاك شواهد على ذلك.

- دربلو d'Herbelot[4]، في سنة 1776، يذكر الصيغتين: مراكَش Marakasch، ومراكِش Marakesch؛

- وفنتور دي باراديس Venture de Paradis[5]، سمع من بعض المغاربة Marocains النازلين بباريس في سنة 1788، قولهم: مراكِش Merakich؛

- وغرابرغ دي همسو[6] Graberg de Hemso، كتب في سنة 1834 ما نصه: « مراكش Marocco، أو على الأصح مراكْش Maraksce، أو مراكَش Markasce »؛

- وفي سنة 1833، سمى شربونو Cherbonneau حاضرتنا مراكِش Merrakech؛

---

[1] - راجع: *« Bull. de la Soc. de Géogr. de Paris »*, **mai** – juin, 1861.

[2] - راجع: LÉVI PROVENÇAL, *Le Maroc en face de l'étranger à l'époque moderne*, « B.E.P.M. », fév. 1925, p. 95.

[3] - راجع: BERCHER, *Lexique arabe français*, 200, n° 1443؛ ونشير أيضا إلى حدث جلل، وهو أن طابع بريدي فرنسيا، من الصنف المشهور المسمى الزراعة *La Semeuse*، قد صنع برسم طنجة خاصة، وشرع في بيعه في مارس 1915، وطبع فوقه بالحرف العربي: مراكش Marrakus. (راجع: BENATAR et GUIGNE, *Les Timbres-postes du Maroc*, 2e éd., Amiens, 1930)

[4] - راجع: *Bibliothèque orientale*, 563

[5] - راجع: *Itinéraires de l'Afr.* septentr., 235

[6] - راجع: *Specchio geografico del Imperio di Marocco*

- وفي سنة 1839، وضع بالبي Ad. Balbi «مختصرا جغرافيا» نشره ببروكسيل، عقد فيه نصلا لدولة المغرب l'empire de Marock، «عاصمتها Maroc، أو (Merakasch) Marok؛

- ونجد الرسم عينه الذي عليه الناس اليوم، وهو Marrakech، سنة 1886، في النشرة الجديدة لكتاب « جغرافية الكون »، لصاحبه إليزي ركلو Elisée Reclus[1]. ولكن، من المحتمل أن هذا الاسم لم يشع استعماله قبل ظهور كتاب«استكشاف المغرب» Reconnaissance du Maroc، لشارل دي فوكو Ch. de Foucauld: ففي سنة 1891، ما زال مرسيي E. Mercier، في كتابه «تاريخ أفريقيا الشمالية» Hist. de l' Afr. du N.، يسمي Maroc مراكش العاصمة.

ومن لفظ مروكش Marrukuš، وهو ظني، ولفظ مراكش Marrakuš، وهو يقيني، وصلت عاصمة الجنوب، في زمن لا نظنه بعيدا، إلى أن تسمت أكثر فأكثر باسم مَرّاكِش Marrakiš. أما الصيغة الدارجة من اسم مراكش Merrakeš، فواحدة لم تتغير أبدا، بشهادة أقدم ما وصلنا من أخبار؛ وغلب على المدينة في الفرنسية إلى نهاية القرن 19 اسم Maroc؛ إلا أنه ابتداء من القرن 18، شاع إطلاقه على البلاد كلها. وفي سنة 1912، وقف تطور هذا الاسم في الفرنسية، إذ صار اسم مراكش فيها ما هو عليه اليوم، واتخذ اسم Maroc علما رسميا على البلاد كلها".

---

[1] - راجع: *La Terre et les Hommes*, XI, 741


واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

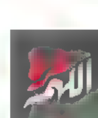
مصادر كتاب
مراكش التأسيس والتسمية

المراجع:

- ابن الشرقي حصري، أحمد، "ارتسامات ومعطيات تاريخية حول مدينة مراكش"، الطبعة الأولى، مراكش، 1986.
- بلعربي، الصديق، "مقالات ومحاضرات الصديق بلعربي"، جمع وتنسيق أحمد متفكر، الطبعة الأولى، مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، 2001.
- دوفردان، غستون، "تاريخ مراكش من التأسيس إلى الحماية (1912 م)"، ترجمه الأستاذان محمد الزكراوي وخالد المعزوزي، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى، 2012.
- مجموعة من الباحثين، "أعمال ندوة أسوار المدن بتانسيفت"، مراكش، منشورات مجموعة البحث في تاريخ المجال والإنسان بتانسيفت بمراكش، الطبعة الأولى، 2002.
- مجموعة من الباحثين، "مجلة أطلس مراكش"، (نشرة دورية تعنى بالبحث والتوثيق والنشر حول مدينة مراكش)، العدد الأول، السنة الأولى، شتنبر، 1993.
- مجموعة من الباحثين، "مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي"، (خلاصة أشغال الملتقى الأول حول مدينة مراكش سنة 1988)، منشورات مركز الدراسات والأبحاث حول مراكش، وجمعية الأطلس الكبير بإشراف جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية. الطبعة الأولى، 1989.

المصادر:

- ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، 1973.
- ابن الأثير، علي بن محمد الشيباني الموصلي، الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، بيروت، 1979.
- الأيلاني، أبو علي صالح بن عبد الحليم، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوبية، الرباط، دار أبي رقراق، الطبعة الأولى 2005.



- ابن الخطيب، محمد بن عبد الله السلماني الغرناطي، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الرابع، حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، 1977.
- ابن الصبح، عبد الله الأندلسي، أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار، وَرَدَ النص عند جمعة شيخة، "مراكش من خلال رحلة ابن الصباح الأندلسي"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، العدد 6، 1990. صص. 120 – 109.
- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أشرف على تحقيقه وأخرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، وحققه وعلق عليه محمود الأرناؤوط، دمشق-بيروت، دار ابن كثير، 1989.
- ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد، التاريخ، بيروت، دار الكتب العلمية، 1996.
- ابن إياس، محمد بن أحمد، نشق الأزهار في عجائب الأقطار، نسخة مخطوطة. وقد نشر النص العربي مع ترجمة فرنسية له في:
– L. Langlès, « L'Odeur des fleurs dans les Merveilles de l'Univers », Paris, Notices et extraits des manuscrits de la Bibliothèque Nationale et autres bibliothèques, tome huitième, 1810.
- ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد الإشبيلي، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، دار الفكر، 1979.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه الدكتور إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1994.
- ابن سِباهي زاده، محمد بن علي البروسوي، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تحقيق المهدي عيد الرواضية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2006.
- ابن سعيد، علي بن موسى بن عبد الملك العنسي الغرناطي، كتاب الجغرافيا، حققه ووضع مقدمة وعلق عليه إسماعيل العربي، بيروت، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، سلسلة ذخائر التراث العربي، الطبعة الأولى، 1970.
- ابن عذاري، أحمد بن محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الرابع (قطعة من تاريخ المرابطين)، كتب التعليقات إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1967.
- أبو الفداء، إسماعيل بن علي بن محمود، تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، باريس، 1840.
- البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1954.
- التسفتي، عبد الله بن إبراهيم، رحلة الوافد في أخبار هجرة الوالد في هذه الأجبال بإذن الواحد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، 1992.

- الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، بيروت، 1977.
- السملالي، العباس بن ابراهيم، "الإعلام بمن حل مراكش من الأعلام"، راجعه عبد الوهاب بن منصور، الرباط، المطبعة الملكية، الطبعة الثانية 1993.
- الشريف الإدريسي، محمد بن عبد الله السبتي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الأول، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1964.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2000.
- العاملي، بن سماك، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، حققه الدكتور سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، الطبعة الأولى، 1979.
- العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق د. حمزة أحمد عباس، أبو ظبي، المجمع الثقافي، 2002.
- العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أشرف على تحقيق الموسوعة وحقق هذا السفر كامل سلمان الجبوري، بيروت، دار الكتب العلمية، 2010.
- القرماني، أحمد بن يوسف، أخبار الدول وآثار الأول، تحقيق د. أحمد حطيط ود. فهمي سعد، بيروت، عالم الكتب، 1992.
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، نشره فردناند فوستنفلد، جوتنجن، 1848.
- القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، المطبعة الأميرية، 1915.
- مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق د. سعد زغلول عبد الحميد، بغداد، دار الشؤون الثقافية، 1986.
- المراكشي، عبد الواحد بن علي التميمي، المُعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبطه وصححه وعلق على حواشيه وأنشأ مقدمته محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، الدار البيضاء، دار الكتاب، الطبعة السابعة، 1978.
- المراكشي، محمد بن عثمان، الجامعة اليوسفية بمراكش في تسعمائة سنة، تقديم ونشر وتصحيح د. حسن جلاب، مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الثانية 2001.
- المراكشي، محمد بن محمد بن عبد الله المسفيوي، إرشاد الشيخ والشارخ للملخص بعض التواريخ، ضمن مجموعة اليواقيت العصرية المحتوية على ستة كتب في أهم التواريخ والحوادث والأحوال الوقتية وغيرها من عجائب الوقائع، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1349هـ.
- المراكشي، محمد بن محمد بن عبد الله المسفيوي، السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، تقديم وتحقيق د. حسن جلاب، وذ. أحمد متفكر، مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الأولى، 2002.

- المشرفي، محمد بن محمد بن المصطفى، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعدّ بعض مفاخرها غير المتناهية، دراسة وتحقيق إدريس بوهليلة، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى، 2005.
- مقديش، محمود بن سعيد، نزهة النظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1988.
- المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1991.
- الناصري، أحمد بن خالد، كتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق أحمد الناصري، أشرف على النشر محمد حجي وإبراهيم بوطالب وأحمد التوفيق، الرباط، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، 2001.
- النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق الأستاذ عبد المجيد ترحيني وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، 2004.
- الوزان، الحسن بن محمد الفاسي، "وصف إفريقيا"، ترجمه عن الفرنسية، محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1980.
- Champion, P., Le Maroc et ses villes d'art : Tanger, Fès, Meknès, Rabat et Marrakech, Rabat, Dar al-Aman, 2013.
- De Cenival, P., "Marrakush", in Encyclopédie de l'Islam, nouvelle édition, Leiden, E.J. Brill – Paris, G.-P. Maisonneuve et Larose S.A., 1991, tome VI.
- De Périgny, M., Au Maroc: Marrakech et les ports du Sud, Paris, Pierre Roger et C^ie^, éditeur, 1918.
- Erckmann, J., Le Maroc moderne, Paris, Challamel Ainé, éditeur, 1885.
- Høst, G., Relations sur les Royaumes de Marrakech et Fès recueillies dans ces pays de 1760 à 1768, Traduction Frédéric Damgaard et Pierre Gailhanou, Rabat, Editions la Porte, 2002.
- Lambert, P., "Notice sur la ville de Maroc", in Bulletin de la Société de Géographie de Paris, N°107, novembre-décembre, 1868.
- Marthe et Edmond, G., Kitab Aâyane al-Marhrib 'l-Akça, Paris, Librairie orientaliste Paul Geuthner, 1939.
- Syndicat d'Initiative et de Tourisme, Marrakech et l'Atlas, Guide illustré, Marrakech, Imprimerie de l'Atlas, 1928.
- Wilbaux, Q., La Médina de Marrakech : formation des espaces urbains d'une capitale du Maroc, Paris, l'Harmattan, 2001.

الفهرس

نصوص تاريخية مشرقية

نصوص تاريخية أوربية

صدر ضمن سلسلة مراكشيات

❖ **ضمن سلسلة أبحاث جامعية حول مراكش، صدر:**

- **"مراكش زمن حكم الموحدين: جوانب من تاريخ المجال والإنسان"** في جزأين، محمد رابطة الدين، طبعة 2، 2016.
- **"مراكش وأحوازها من ق 7 هـ / 13 م إلى ق 10 هـ / 16م التاريخ المنسي"**، عبد الخالق كُلاب، طبعة1، 2017.
- **"صور ونماذج من اللسان المراكشي الدارج"**، أمينة حسيم، طبعة1، 2006، طبعة 2 مزيدة، 2016.
- **L'art architectural marocain: Analyse esthétique de la médina de Marrakech** نور الدين سملاق، طبعة 1، 2017.
- **"اللقى الأثرية المرتبطة بالتدبير المائي بمواقع جامع الكتبيين وخزانات سيدي بوعثمان وقصر البديع (دراسة وتثمين)"** حسناء الحداوي، طبعة 1، 2018.
- **"مراكش وتراثها المنسي: أكدال البراني نموذجا"** سعيد أيت بوكديز، طبعة 1، 2018.

❖ **ضمن سلسلة ذاكرة أماكن بمراكش، صدر:**

- **"مراكش: التأسيس والتسمية: دراسات ونصوص تاريخية"**، جمع وتنسيق عبد القادر عرابي، طبعة 1، 2015، طبعة 2، 2019.
- **"مساجد مراكش عبر التاريخ من التأسيس إلى العهد العلوي"**، أحمد متفكر، طبعة 3 مزيدة ومنقحة 2010.
- **"تاريخ مدرسة ابن يوسف بمراكش"**، رشيد العفاقي - سمير أيت أومغار، طبعة 1، 2016.
- **"حديقة الأموات: بحث في تاريخ مقبرة الأشراف السعديين بمراكش"**، سمير أيت أومغار، طبعة1، 2017.
- **"معجم عراصي مدينة مراكش"**، حسن جلاب، طبعة 2، 2017.
- **"ذاكرة أماكن: معالم تاريخية من مدينة مراكش (الجزء الأول)"** سمير أيت أومغار ولوبنى زبير، طبعة 1، 2018.
- **"حومات مدينة مراكش: دراسات وأبحاث"** جمع وتنسيق عبد القادر عرابي، طبعة 1، 2018.

❖ **ضمن سلسلة تراجم وأعلام مراكش، صدر:**

- **"سبع سيدات مراكشيات باستحقاق"**، محمد الصالح العمراني بنخلدون، طبعة 1، 2009.
- **"السعادة الأبدية في التعريف بالحضرة المراكشية"**، (مختصرة) لمحمد بن محمد بن عبد الله الموقت المراكشي، مراجعة وتعليق أحمد متفكر، طبعة 3، 2011.
- **"فتيات ونساء مراكش رائدات النهضة المغربية"**، مليكة العاصمي، طبعة 1، 2013.
- **"من أعلام الفتوى عبر العصور بمراكش"**، أحمد متفكر، طبعة 1، 2013.

- "السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية"، في جزأين، لمحمد بن محمد بن عبد الله الموقت، تقديم وتحقيق الدكتور حسن جلاب والأستاذ أحمد متفكر، طبعة 2، 2015.

- "درر الحجال في مناقب سبعة رجال"، حسن جلاب طبعة 2، 2016.

-"موسوعة سبعة رجال مراكش"، حسن جلاب، في جزأين، طبعة 1، 2017.

- "أبو يعقوب يوسف بن علي الصنهاجي"، حسن جلاب، طبعة 1، 2017.

- "أبو فارس عبد العزيز التباع"، حسن جلاب، طبعة 1، 2017.

- "زوايا عبد الله الغزواني"، سعيدة الأشهب، طبعة 1، 2015.

- "الطب والأطباء بمراكش عبر العصور"، أحمد متفكر، طبعة 1، 2016.

- "علماء جامعة ابن يوسف في القرن العشرين"، أحمد متفكر، طبعة 3، 2018.

❖ **ضمن سلسلة مونوغرافيات، صدر:**

- "مراكش: مباحث في التاريخ والحضارة"، حسن جلاب، طبعة 1، 2016.

❖ **ضمن سلسلة أعلام المسرح بمراكش، صدر:**

- "مجالس المختار الملالي: ذاكرته، حياته، مسرحه"، عبد اللطيف فردوس، طبعة 1، 2017.

- "غيوم وقطرات.. بوح ذاكرة جريحة"، عبد الحفيظ السيدي، طبعة 1، 2017.

❖ **ضمن سلسلة أعلام الموسيقى والغناء بمراكش، صدر:**

- " الذاكرة الغنائية المراكشية"، دراسة وتوثيق، أحمد رمزي الغضبان. طبعة 1، 2015.

- "أغاني نساء مراكش" اللعابات، الطقيطقات، الهواري، التهضيرة، ج.1، جميلة العاصمي، طبعة 1، 2012.

- "أغاني نساء مراكش: الأمداح -الحضرة - تاكناويت"، ج.2، جميلة العاصمي، طبعة 1، 2015.

- "عبد الكريم القسبجي: حكاية صوت بصم مسار جيل جيلالة" العربي رياض، طبعة 1، 2017.

❖ **ضمن سلسلة الثقافة الشعبية بمراكش، صدر:**

- "ذاكرة مراكش: صور من تاريخ وأدبيات الحلقة بساحة جامع الفنا، مقاربة ثقافية"، في جزأين، عبد الرحمان الملحوني، طبعة 2، 2015.

- "الطنجية المراكشية ومحيطها من الأدبيات الشعبية"، لطيفة العاصمي، طبعة 1، 2015.

❖ **ضمن سلسلة مذكرات، صدر:**

- **Marrakech 84, la torture ontinue… de la villa secrète de Guéliz à Derb Moulay Chrif**

عبد الغني القباج، طبعة 1، 2007.


وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا



مرّاكش

مراكش المدينة الساحرة بهوائها ومآثرها التاريخية، مراكش المدينة التي كانت عاصمة لأربع دول هي:

الدولة المرابطية والدولة الموحدية والدولة السعدية وفترة من الدولة العلوية الشريفة.

مراكش التي قال فيها الولي الصالح أبي العباس السبتي:(**مراكش مدينة العلم والخير والصلاح**). ووصفها عبد الواحد المراكشي بـ (**بغداد المغرب**). وقيل غير هذا، وهو كثير.

إن فكرة وضع هذا الكتاب، وجمع مواده من مصادر ومراجع متنوعة؛ فكرة حسنة عنت للأستاذ والناشر عبد القادر عرابي، الذي بذل جهدا مشكورا في جمع هذه الموضوعات وترتيبها ووضعها في كتاب يكون في متناول الباحثين والدارسين لتاريخ مدينة مراكش ولعامة القراء.

فقد جاء هذا الكتاب ليكشف اللثام عن جوانب ذات أهمية من تاريخ هذه المدينة، جوانب كانت في فترة مثار نقاش بين المؤرخين والدارسين لتاريخ المدن، كما أنه يجيب عن تساؤلات عن اسم (مراكش)، الذي تضاربت حوله التفسيرات والتأويلات. كما تضاربت الآراء حول تاريخ تأسيس هذه المدينة.

إنه كتاب يعطينا الجواب الشافي عن كل هذه التساؤلات من خلال الموضوعات التي بسط القول فيها السادة الأساتذة المهتمين بتاريخ مراكش، وغاصوا في المصادر لإبراز الحقيقة، والكشف عن الجواب الصحيح لكل تلك التساؤلات.

ذ. أحمد متفكر

مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال

آفاق

483/4 الوحدة 4 الداوديات - مراكش - المغرب - 59 73 30 24 05

70 درهما

ISBN 978-9954-618-44-8

9 789954 618448